بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر و تأملات

في

شرح أسماء الله الحسنى

لفضيلة الشيخ/ الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المُحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

وخطيب مسجد " عبد الغني النابلسي" بدمشق

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر و تأملات

في

شرح أسماء الله الحسنى

لفضيلة الشيخ/ الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المُحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

وخطيب مسجد " عبد الغني النابلسي" بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

حول فضيلة الشيخ
محمد راتب النابلسي

وُلد الشيخ الجليل في دمشق عام ١٩٣٨من أسرة علم ، فقد كان والده عالماً من علماء دمشق،وقد ترك له مكتبة كبيرة تضم بعض المخطوطات .

إلتحق شيخنا الجليل بمدارس دمشق الابتدائية و الإعدادية والثانوية ، ثم بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمشق ، وتخرج عام ١٩٦٤ ، ثم التحق بكلية التربية بجامعة دمشق ليكمل الدراسات العليا فحصل على الماجستير ، ثم التحق بجامعة " ترنتي " ببريطانيا للحصول على الدكتوراه في " تربية الأود في الإسلام ".

بعد ذلك عمل في مجال التدريس بالتعليم الثانوي الرسمي ، ثم الجامعي ، حيثُ عُيِّن أستاذاً مُحاضراً في كلية التربية – جامعة دمشق من عام ١٩٩٦ ، حتى ١٩٩٩.

و قد طلب شيخنا العلم الديني الشرعي في وقت مبكر من حياته ، حيث تتلمذ على أيدي عدة علماء من دمشق ، فدرس التفسير ، و الحديث ، و الفقه ، و السيرة ، و الفرائض .. حتى نال إجازة إسلامية من أستاذه بكلية الآداب ، هو الدكتور الشيخ " صبحي

الصالح " أستاذ علوم القرآن وعلوم الحديث وفقه اللغة بجامعة دمشق .

و في عام ١٩٨٤ عُيِّن شيخنا الجليل خطيباً بجامع الشيخ عبد الغني النابلسي ، و مدرساً دينياً بعدة مساجد بدمشق ... و لا يزال - بفضل الله تعالى - حتى الآن يخطب و يدرس .

كما عُيِّن شيخنا مديراً لمعهد تحفيظ القرآن بجامع النابلسي ، وعضواً مُشرفاً على مجلة " نهج الإسلام " التي تُصدرها وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية السورية .

و لشيخنا الجليل عدة دروس مسموعة ومكتوبة ، متاحة على أقراص ليزر ، تبيعها عدة شركات ، منها : شركة " المِشكاة " للبرامج و الحاسبات ، الكائنة بعمارات خلف العبور - أمام دار الهيئة الهندسية - مصر الجديدة - القاهرة .

تليفون : ٤٠٢١٠٢٨ - ٠١٠١٥٤٤٣٣٢

وهي متاحة أيضاً على موقعه بالإنترنت :

http://www.nabulsi.com

*****

الله

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنـــك أنـــت العليم الحكيم ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، و أرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه و أرنا الـــباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة المؤمنون! اسم الله الأعظم هو الله وحول هـــذا الموضوع مباحث كثيرة .. وبحوث كثيرة . فهذا الاسم كما قال علماء التوحيد علَمٌ على الذات ، أو علَمٌ على واجب الوجـــود وأن أعظـــم الأســـماء هـــي قولنا الله و قد احتج القائلون بأن كلمة الله هي اسم الله الأعظم لأسباب عديدة .

الأول : أن هذا الاسم ما أطلق على غير الله فإن العرب كانوا يســـمون الأوثان آلهة إلا هذا الاسم فإنهم ما كانوا يُطلقونه على غير الله سبحانه وتعالى والدليل قوله تعالى :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

(سورة العنكبوت)

فكلمـــة الله تعني عندهم خالق السماوات والأرض وما سُـــمي أحــدٌ علـــى وجهِ الأرض بهذا الاسم حتى ولا الآلـهة التـــي زُعمت من دون الله لم تُسَمَّ بهذا الاسم أبداً ... وقال تعالى :

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

(سورة مريم)

يعنـــي هـــل هناك من يُسمّى بهذا الاسم ؟ ولما كان هذا الاســـم في الاختصاص بالله تعالى على هذا الوجه وجب أن يكون أشرف الأسماء كلها .. فاسم الله هو اسم الله الأعظم ، الجامـــع لكـــل الأسماء الحُسنى والصفات العظمى .. الجامع للكمـــالات كلهـــا ... المنزّه عن النقائص كلها ... علَمٌ على الذات واجب الوجود .

الحُجَّة الثانية : أنّ هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله ســـبحانه وتعالى بينما سائر الأسماء: "الرحمن .. الرحيم .. الملـــك .. القـــدوس .. الســـلام .. المـــؤمن .. المهيمن .. العزيـــز .. الجـــبار " وجمـــيع الأسماء مُضافة إليه .. قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(سورة الأعراف)

" وَلِلَّـــهِ الأسْـمَاءُ الْحُسنى "... أي أن الأسماء الحسنى أضـيفت إلى الله سبحانه وتعالى . أضاف سائر الأسماء ولا محالـــة في أن الموصوف أشرف من الصفة .. لأنه يقال : (الرحمن الرحيم ، الملك القدوس) كلها أسماء لله تعالى ولا يُقال : الله اسم الرحمن الرحيم بل الرحمن الرحيم اسم الله . فدلّ هذا على أن اسم الله هو الأصل .

شيء آخر .. قال تعالى :

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾

الآن .. لـــو أنّ الكافـــر قال .. " لا إله إلا هو" لم يصح إســـلامه .... فلا يصح إسلامه إلا إذا قال " لا إله إلا الله" .. لأنـــه إذا قال الأولى . قد يُضمر معبوده الوثني ، فيجب أن يقـــول " لا إله إلا الله " إذن .. الله اسم الذات الأعظم . والله سبحانه وتعالى قال :

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

(سورة محمد)

لـــم يقل لا إله إلا هو ، " فَاعْلَمْ أنَّهُ لا إلَهَ إلا اللَّهُ " وقال عليه الصلاة والسلام :

" عَـــنْ أَبِـــي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "

الحجة الثالثة : التي تدل على أن كلمة اللهم هي اسم الله الأعظم قوله تعالى :

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

(سورة الأنعام)

فإن الله أمر عبده بالإعراض عن كل ما سِوى الله والإقبال بالكلية على عبادته بأن ذكر هذا الاسم فدلّ على أن هذا الاسم أشرف الأسماء كلها .

أحياناً .. يشتد النقاش حول الدنيا . وحول موضوعات كثيرة .. نقاشات ومحاورات ومشاحنات .. وحظوظ وأهواء .. ومصالح واتجاهات وانقسامات .. فالله سبحانه وتعالى يقول " قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ " .. أي .. في الكون شيئان :، الله وهو الحق ، و ما سِوى الله .. وهو لهوٌ باطل ... والله سبحانه وتعالى يقول :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

(سورة النمل)

مــن خصائص هذا الاسم . اسم الذات الأعظم .. أن كل اسم إذا دخل عليه النداء أسقطت عنه الألف واللام .

تقــول " يــا رحمــن يارحــيم " لا تقول " يا الرحمن يا الــرحيم " .. مــا قالهــا أحد ..... إلا اسم الله الأعظم تقول " يــاالله " فالألف واللام في هذا الاسم صار كالجزء الذاتي مــنه ، فــلا جــرم أنـــه لا يسقط حالة النداء . وفيه إشارة لطــيفة ، وذلك أن الألف واللام للتعريف فعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذا التعريف لا يزول عنه أبداً .

قــيل : " يا إمام .. متى كان الله ؟" .. أجابه " ومتى لم يكن ؟!! " ، قال الألف واللام " ألف التعريف ولام التعريف " لا تُقطعــانِ عــن هذا الاسم إطلاقاً لأنه إذا ظهر في الوجود ظهر في كل شيء وما خلا منه شيء .

و الحجــة الرابعة : أن الأصح عند أكثر العلماء أن كُنه هذا الاسم لا سبيل للعقل إلى معرفة كيفية اشتقاقه وثبت أن كنه الحق سبحانه وتعالى لا سبيل للعقل إلى معرفته. أي .. كمـــا أن ذات الله لا يســتطيع أحد أن يعرفها .. وأن يعرف كنهها .. والنبي عليه الصلاة والسلام يقول :

" تفكَّروا في خلق الله و لا تفكَّروا في ذاته فتهلكوا "

كذلك .. لا أحد من العلماء يعلم من أي فعل مشتق هذا الاسم! إذن هذا هو الاسم الأعظم الذي يأخذ خصائص الذات الإلهية .

الحجـــة الخامســـة : أن أول آية في القرآن الكريم هي قوله تعالى :
بسم الله الرحمن الرحيم على قول بعض العلماء ، وعلى قــول الباقــين هي قوله تعالى .. الحمد لله رب العالمين .. وهــذا الاســم الأعظم مذكور في هاتين الآيتين اللتين تُعدّان أول آيتين في كتاب الله .
الحجـــة السادســـة : كما أن أول الأسماء المذكورة في القرآن الكريم هذا الاسم فذلك هو آخر الأسماء المذكورة في القرآن الكريم :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾

(سورة الناس)

آخر اسم ورد في كتاب الله " إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ".
الحجة السابعة : أن لفظ الإله على قول كثير من العلماء مشــتق مــن العبادة على ما سيأتي بيانه ، و إذا كان الأمر كــذلك وجــب أن يكون هذا الاسم أعظم الأسماء لأن العبادة غاية التواضع والخضوع وذلك لا يحسُن إلا إذا كان المعبود في غاية الجلالة والعظمة ، وجّه بعض العلماء على أنَّ هذا الاســم مشــتق مــن العــبادة والذي يستحق العبادة وتمام الخضــوع لاشك أنه في غاية الكمالات كلها ، إذن كأن اسم

الله جل و علا جمع كل المحامد و جمع كل الأسماء الحسنى و الصفات العظمى .

هــذا من قبيل الحديث على أن الله سبحانه وتعالى اسم الله الأعظــم ، لكن بعض العلماء يقول " الله سبحانه وتعالى كــلّ لا يتجــزأ .. و لا يتبعض " فالاسم الذي يدل عليه يدل عليه كله إذن اسم الله الأعظم ليس في الكلمات بل في حالة الداعــي .. أي إذا شعرت أنه لا إله إلا الله بأي اسم ناديته فهذا الاسم هو اسم الله الأعظم ...

ولو أن المرء يعتمد على زيد من الناس وعلى عبيد من الناس وثقته بماله وقوته وله علاقات مع بعض الأشخاص ، وواثــق مــن مكانــته ، فــإذا دعــا الله عز وجل .. باسم الله الأعظــم وقــال يا الله .. يا رحمن يا رحيم .. برحمتك أســتغيث .. هو لم ينادِ ربه باسمه الأعظم . إلا إذا كان الله عند المنادِي هو أعظم كل شيء ... هذا المعنى .. أعمق .. فالقضية ليست في الكلمات ، القضية أنه إذا كان مُشركاً بالله عــز وجل وله اتكال على غير الله وله اعتماد على ما سِواه فإنه لن يستطيع أن يناديه باسمه الأعظم مادام مشركاً به .

أما إذا أخلص لله العبادة وأخلص له بالتوكل وأقبل عليه فــبأي اســم يــناديه ، فهذا الاسم هو اسم الله الأعظم لأنه رأى فــي قلبه أن الله أعظم من كل شيء . هذا التوجيه جيد جــداً ! فالإنســان حيــنما تكــون حالــته مع الله عز وجل حالة الإخلاص ، وحالة التعظيم ، وحالة الإكبار ، وقال (الله

أكبــر) من كل قلبه ، فهو بهذه الحالة قد نادى ربه باسمه الأعظــم . وسوف نتابع في دروس قادمة إن شاء الله تعالى أسماء الله الحسنى واحداً واحداً ولكن مع الأمثلة ...

هــذا الاســم .. لأنــه علمٌ على الذات .. والحديث عن الــذات.. مســتحيل ..أي يستحيل علينا أن نتعرف إلى ذات الله .. فــنحن نتعــرف إلــى أســمائه الحسنى وإلى صفاته العظمـــى .. من خلال خلقه .. فالنبي عليه الصلاة و السلام نهانـــا عن أن نفكر في ذات الله ، لا أحد يستطيع أن يعرف كنه الله عز وجل لأنه :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

(سورة البقرة)

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء)

وهـــنا مثل بسيط جداً .. إذا ألقيت ورقة رقيقة جداً من هذا الورق الذي تُلف به اللفائف .. الدخان .. إذا ألقيت هذه الـــورقة فـــي فـــرن لصهر الحديد .. بعد أن ألقيتها بساعة أو بأكثر .. قلت ماذا حلّ بها !!؟.

مـــا هذا السؤال ! ماذا حل بها !!؟ " .. هي من الوهج العلـــوي تلاشـــت! فالانسان .. إذا أراد أن يفكر في ذات الله يهلك وهذا منهي عنه . إذا جاءته مثل هذه الخواطر .. " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ " .

لكن باب التفكر في مخلوقات الله .. لا حدود له .. كلما وجدت آية فكِّر بها ، وتأمّل دقة الصنع ، حكمة الله ، و لطفه وقدرتـــه ، وغِناه ، ورحمته ، وسعته ، الله الواسع قال أحد العارفين: " والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سُمِّيت الواسع " .

فالإنســـان في أيام الخريف .. يمشي في البستان تسقط ورقـــة هـــل هـــناك جهة في الكون تستطيع إحصاء الساعة الأولى من يوم الخميس " ١٤ يوليو عام ٤٧ مثلاً " كم ورقة ســـقطت من الأشجار بالأرض كلها .؟. و غابات الأمازون ، ربنا عز وجل قال :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

(سورة الأنعام)

كـــلام ربنا عز وجل " وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا " لاحـــظ نفسك .. قد يأتيك خاطر من الخواطر .. لايُرضي الله عـــز وجـــل .. لـــو أنك تابعته و كنت عند الله (أثيراً : أي مُفضَّـــلاً) .. تأتـــيك العقوبة مباشرة . أحياناً مثلاً .. يكون الإنسان ماشياً فيِ الطريق .. وقد يصطدم بشيء .. " ما من عثـــرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر ".

وهـــنا سؤال دقيق : ماذا تتوهم أو تظن .. أن الله عز وجل معك دائماً .. فهل تنسى أنه مع غيرك أيضاً .؟. مع أي إنســـان في الأرض .. فإنسان ساكن في آلاسكا .. وثانٍ في الأرجنتين .. وثالث في أستراليا.. ورابع في الغابات .. وهل هـــو مع الإنسان فقط ؟! . بل مع الحيوانات كلها ؛ فلا تُقتل البهائم إلا بغفلة... صياد في غابة .. يطلق بندقيته .. يموت هـــذا العصـــفور بالذات . هذا العصفور بالذات موته بقضاء وقـــدر . وكـــذلك النبات !؟ نمو النبات .. وحركات الأحياء الدقيقة في باطن التربة .. تحت التراب كم حيوان ؟

مرة اطلعت على صورة .. مكعب من التراب كم حيوان فـيه .. ديـدان الأرض .. البكتريات .. الجرذ .. الفئران .. الأفاعـي .. هـذه كلهـا تعيش داخل التربة لوظائف مهمة جداً ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ (٤١)

(سورة فاطر)

فـإذا تفكَّر الإنسان كيف أن الله سبحانه وتعالى مع كل مخلـوق .. سـميع لقـوله ، علـيم بحاله ، ناظر لنفسه ، مُطَّلـع على قلبه ، يعلم سره وما يخفى عنه ، ذلكم الله رب العالمين :

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (١٠)

(سورة الشورى)

هذا هو الذي يستحق العبادة وحده .. لا معبود سواه ، لا معـبود إلا الله ، ليس في الكون جهة تستحق أن تعبدها وأن تُفني عمرك من أجلها وأن تمضي شبابك كله في طاعته إلا الله سـبحانه وتعالى ، لذلك ! أندم الناس من باع آخرته

بدنـــيا غيره ..، مَن باعها بدنياه خاسر ... أما بدنيا غيره فأشد خسارة !

"عَــنْ أبِــي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّــهُ عَلَــيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إلا وَاحِدًا مَنْ أحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ "

ونحن الآن .. إن شاء الله .. في الدرس القادم .. وفيما بعـد مقـبلون علـى تعلم أسماء الله الحسنى . فهل نذكرها فقــط ؟ لــيس هذا هو المقصود ، فأمر الله سبحانه وتعالى أســمَى مــن ذلك أسمَى من أن يكون أمراً لفظياً .. أو ذكراً أجــوف لا معنـــى لـــه ولكن المقصود أن تعرف حقيقة هذه الأسماء ، وعلامَ تدل وما معنى قولك الله رحيم ؟ وما معنى قــولك الله رحمـــن ؟ والفــرق بين أن يكون الله رحماناً أو رحيماً ؟

و مـــا معنى .. المانع ، والجامع ، والضار ، والنافع ، والخافض والرافع والمعز ، والمذل ، والمعطي ، هذه كلها أســـماء لله سبحانه وتعالى حُسنى في خمس آيات في كتاب الله ورد أن أســماء الله تعالى كلها حسنى . فأسماؤه حسنى وصفاته فضلى .

و الحمد لله رب العالمين

******

لا إله إلا الله

أيها الإخوة الأكارم ؛ الاسم اليوم هو قول الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

(سورة محمد)

" فاعلم أنه لا إلهَ إلا الله " ، هذه الكلمة التي هي كلمة التوحيد، كأن الإسلام كله وكأن الإيمان كله وكأن الإحسان كله جُمع في هذه الكلمة ، والمسلمون يرددون هذه الكلمة تردادا كثيرا في كل وقت وفي كل مناسبة إلى درجة أنهم لا يلتفتون إلى معناها ، مع أن هذه الكلمة شعار الإسلام ، و معناها أن الدين كله ضُبط بهذه الكلمات ، ألم يقل المولى عز و جل :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

(سورة الأنبياء)

فهـــي خلاصة رسالات الأنبياء جميعا ، فالشيء الدقيق هو أن تضغط ديناً بكامله ، أن تجمع الأديان السماوية ، أن تجمـــع رســـالات الأنبياء جميعا في كلمات فهذه الكلمة كلمة التوحـــيد لا إلـــه إلا الله نرددها كل يوم عشرات المرات بل مئات المرات ولو عرفنا حقيقتها لكنّا في حال آخر غير هذا الحال النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضلُ الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي:" لا إله إلا الله وحده لا شريك له"

" لا إله إلا الله حصن الله من دخلها أمن من عذابه " لا إلـــه إلا الله كلمـــة التوحيد ، ينبغي أن نقف عند هذه الكلمة دروســـا كثيـــرة لكن بادئ ذي بدء نقف عند المعنى اللغوي لهـــذه الكلمَة ، يقول علماء التوحيد : " الله علم على الذات الكاملـــة علـــم الواجب الوجود وهو الله ، وفي الكون ممكن الوجـــود وهو ما سوى الله وفي الكون مستحيل الوجود " ، فالله علم على الذات الكاملة على واجب الوجوب ، علم على الخالـــق ،علـــم على البارئ المصور المسيِّر العزيز الجبار المتكبـــر ، أسماء الله الحسنى كلها جُمعت في لا إله إلا الله، بعضـــهم قال : الله اسم الله الأعظم ، و بعضهم قال الرحمن الـــرحيم ، و بعضـــهم قـــال أي اسم تهتز له و تتفاعل معه فهـــو اســـم الله الأعظم ، لكن إذا أردت أن تشير إلى الذات الكاملـــة ، إلـــى الـــواجب الوجود المتصف بصفات الوجود

وصفات الكمال وصفات الوحدانية فهو الله :علَم على الذات جُمعت أسماء الله الحسنى كلها في كلمة ((الله)) . و في هذه الكلمة لا إله إلا الله ، الله علَم على الذات الواجب الوجود . طيب ما معنى إله ؟

في المعجم جاء : ألَه يَألَه إلَهة وألوهة وألوهية يعني : عبد عبادة فألَه بمعنى: عبَد الإله المعبود ، لكن ألِه ألَهاً أي تحيَّر ، و ألَه إليه أي لجأ إليه ، واحتمى به.. هذه هي المعاني المستفادة من معنى ألَه يألَه إلَهَة و ألوهة وألوهية أي عبد ، فعبد ليس معنى عبد أي أطاع ، أطاع مضاف إليها معنى آخر: و هو : أطاع وأحب ؛ فأطاع و لم يحب فليس هذا عبادِة ؛ وأحب ولم يطع فهذا مستحيل ، فغاية الحب مع غاية الطاعة .

فأحب وأطاع بمعنى عبد ، من المعبود ؟ هو الله ، بعض ما يقوله العلماء حول هذه الكلمة : " لا معبود بحق إلا الله " ، من الذي يستحق العبادة ؟ هو الخالق ، إذن لا خالق إلا الله ، من الذي يستحق العبادة ؟ هو الرازق ، هو المُعطي ، هو المانع هو الرافع هو الخافض هو المعز هو المذل هو الفعَّال لما يريد هو العزيز هو الجبار هو القهار ، فإذا قلت لا إله : لا معبود ؛ من هو المعبود ؟ هو الجبار ، من هو المعبود ؟ هو القوي من هو المعبود ؟ هو المسير من هو المعبود ؟ هو الخالق هو البارىء المصور الرازق المانع هو المعطي الرافع والخافض ، فالذي يستحق العبادة

هو الرازق ، إذن لا إله : أي لا معبود لا رازق إلا الله ، فإذا قلت لا إله إلا الله أي لا مُعطي ولا مانع ولا رافع ولا خافض ولا معـز ولا مذل ولا رازق ولا وهاب ولا مغني ولا مبدي ولا معيد إلا الله .

كـل الأسـماء الحسـنى إذا جمعـت هي الله ؛ أي هو المعبود .

إذن : ألِـه يأله إلهة وألوهة أي عبد يعبد والعبادة هي غايـة الخضوع مع غاية الحب ولن تحب ولن تطيع إلا إذا عـرفت الله عـز وجـل ، فالعبادة ثلاثة مراحل : معرفة،ثم طاعة ، مع حب وسعادة .

المعنـى الثاني : أله ، الأولى أله ، الثاني أله ، أله يأله ألـه أي تحيـر ، الإنسان يتحير بمن ؟ بالصغير أم بالكبير؟ بالجلـيل أم بالحقير؟ بالغني أم بالفقير ؟ فالتحيُّر من معانـي العظمـة ، تحار به الألباب تحار به العقول تحار به النفوس تحار به الأفئدة ، إذن من جهة هو معبود لماذا هو معبود ؟ لأنه خالق لماذا هو معبود ؟ لأنـه رازق ، لماذا هو معبود ؟ لأنه فعال ، لماذا هو معبود ؟ لأنه قوي ، لماذا هو معبود ؟ لأنه محيي مميت معز مذل ...إلخ هذا المعنى الأول .

المعنـى الثانـي : لماذا هو معبود؟ عظمته تحار منها العقول ألِهَ يأله ألَهاً أي تحيَّر

والمعنى الثالث : أله إليه أي لجأ إليه يعني لا ملجأ لك أيها الإنسان إلا الله ، فمعنى لا إله إلا الله لا معبود ولا عظيم ولا ملجـأ إلا الله ، طـبعا الإله هو الله لكن هذه اللام نافية للجـنس ، مـا الفرق بين اللام النافية للجنس واللام النافية نفيا عاديا ؟

قـد تقول مثلا : لا طالب في الصف بل طالبة ، فجنس الذكـور لـيس موجـوداً أما إذا قلت لا طالب في الصف بل طالـبان ، في الحالة الثانية نفيت أنت ماذا ؟ نفيت المفرد ، فاللام التي تنفي المفرد تسمى اللام الحجازية ، أما اللام التي تنفي الجنس تسمى اللام النافية للجنس ، فإذا قال لك أحدهم هل عندك خبز ؟ فقلت : لا خبز عندي ، المقصود لا خبز ولا قمح ولا طحين ولا أي شيء من أنواع القمح لا خبز عندي بـل لحـم أمـا لاً خبز عندي نفيت المفرد قد يكون عندك أجناس القمح أما الخبز نفيته وحده .

إذن لا إلـه تنفـي أن يكون في الكون إله غير الله عز و جل .

بعض العلماء قال : المعنى الأول قاله ابن عباس رضي الله عنه لا إله إلا الله أي لا نافع وضار ولا معز ولا مُذل ولا معطـي ومانـع إلا الله ،أما بعض العلماء ، فقال : " لا إله يُرجى فضله ولا إله يُخاف عدله ولا إله يُؤمَن جَوْره ولا إله يـؤكل رزقـه ولا إلـه يُسـأل مغفرته إلا الله الذي هو رب

المؤمنـــين وغفـــار ذنوب المؤمنين وملجأ المؤمنن وستَّار المخطئين غاية رجاء الراجين ومنتهى مقصد العارفين ".

أنا أتمنى من الإخوة الأكارم أن يتحققوا ويتوقفوا ملياً عـــند هـــذه الكلمـــة هذه كلمة الإسلام الأولى ، هذه كلمة التوحـــيد الدين كله مجموع في هذه الكلمة قال بعضهم : لا إلـــه إلا الله إشارة المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتسديد إلى الملِك الحميد ، إشارة المعرفة والتوحيد .

تعلمـــون أن نهاية العلم التوحيد ونهاية العمل التقوى ، أنـــت إذا وحَّدت واتقيت والحقيقة أنك متى توحد أو تستقيم تشـــعر أن هناك جهات أخرى تملك أمرك فأنت موزَّع بينها جمـــيعا ... و لكـــن متـــى توحد وجهتك إلى الله عز وجل ؟ ومتـــى تعـــبده وحـــده ؟ متى تطيعه وحده ؟ متى تُقبل عليه وحـــده ؟ متى ترجوه وحده ؟ متى تخافه وحده ؟ متى تطمع بعطائه وحده ؟ إذا أيقنت أنه لا إله غيره .

قضـــية دقيقة جدا ما دام هناك شعور بوجود جهة في الأرض بإمكانها أن تنفعك وأن جهة أخرى بالأرض بإمكانها أن تضـــرك فأنـــت فـــي هذه الحالة لن تستطيع أن تعبد الله وحـــده ، لـــذلك الله عز وجل لم يأمرك أن تعبده إلا بعد أن طمأنـــك أن الأمر كله عائد إليه فلا إله إلا الله لك أن تفهمها علـــى الـــنحو التالـــي : الإله هو المعبود ، ومن الذي يعبد الخالق :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

(سورة البقرة)

ولا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله مَن الذي ينبغي أن يعبد ؟ هو الرازق من الذي ينبغي أن يعبد ؟ هو المعطي و المانع و الرافع و الخافض و المعز و المذل و القوي و القهار و الجبار ، فكل الأسماء الحسنى بمجموعها تدل على أن صاحب الأسماء الحسنى الذي يستحق العبادة فهو المعبود هذا هو المعنى الأول .

أله يأله ألها تحير، عظيم : الله عز وجل لا نهاية لقوته مهما عرفت عنه فهو أعظم ، لا نهاية لجبروته لقوته لجماله لرحمته لعدالته لحبه لعباده أي منتهى النهايات هو الله سبحانه وتعالى .

والمعنى الثالث : لا ملجأ لك إلا الله أله إليه أي لجأ إليه وقال بعضهم : لا إله للرغبة إذا رغبت فالله وحده الذي ينبغي أن ترغب فيه ولا إله للرهبة إلا الله وإذا خفت فينبغي أن لا تخاف إلا الله ، فإذا حدثتك نفسك أن تخاف ليس في الكون كله جهة ينبغي أن تخاف منها إلا الله ، وإذا حدّثتك نفسك أن تحب هناك في الكون أشياء جميلة هناك أشخاص

هناك نساء هناك أماكن هناك بيوت هناك مركبات إذا حدثتك نفسك أن تحب شيئا ينبغي أن لا تحب إلا الله .

هـذا المعنـى الـرابع أي لا إله للرغبة إلا الله ولا إله للـرهبة إلا الله الذي هو كاشف الكُربة هذا الدليل قاله النبي عليه الصلاة والسلام :

" لا يَخافَنَّ العبدُ إلا ذنبَه ولا يَرجُوَنَّ إلا ربه "

فحالة التوحيد مع المؤمن حالة مريحة،و حالة التوحيد هي الصحة النفسية وخلاف التوحيد يمرض الإنسان ، حينما يشعر أن إنسانا من بني جنسه أمرُه بيده وهو لا يُحبه ، أو وهو يتمنى تحطيمه هذا الشعور وحده شعور مرَضي شعور يسحق شعور مدمِّر ، أنت إذا أيقنت أن أمرك بغير يد الله عز وجـل هـذا اليقين وحده يكفي لسحق الإنسان ، فينبغي إذا أردت أن تحب أن لا تحب إلا الله وإذا أردت أن تخاف أن لا تخـاف إلا من الله وإذا أردت أن تعتمد على جهة فلا ينبغي أن تعتمد إلا على الله وإذا أردت أن تثق بجهة فلا ينبغي أن تثق إلا بالله .

علمـاء السلف الصالح ضغطوا كل هذه المعاني بكلمة معـبود ، الـذي يستحق العبادة ، هل يستحق العبادة إنسان فـان ؟ إنسـان سيموت ؛ إنسان كان في العدم ثم حدث ثم سينتهي إلى عدم ؟؟!!! لا هذا لا يستحق العبادة .

أنــت لا تحــتاج أنت إلى آلهة الأرض ، هذا هو سبب الصحة النفسية أن الإنسان أمره كله بيد جهة واحدة يسعى إليها يرضيها يخافها يرجوها يطيع أمرها.

عــن عمران بن حصين قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبــي يا حُصين كم تعبد اليوم إلـها قال أبي :"سبعة، ستة في الأرض وواحــدا فــي الســماء قـــال : " فأيهم تُعِدُّ لرغبتك ورهبتك قال : " الذي في السماء " قال : " يا حصين أما إنك لــو أســلمت علمتك كلمتين تنفعانك "قال فلما أسلم حصين قـــال : " يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني" فقال قـــل : " اللهم ألهمني رُشدي وأعذني من شرِّ نفسي " رواه الترمذي

هذه بعض معاني كلمة لا إله إلا الله .

هـــناك موضوع لطيف حول هذه الكلمة كلمة التوحيد ، فلو أننا جمعنا الأحاديث التي تتحدث عن فضل لا إله إلا الله هـــناك أحاديـــث كثيرة جدا و هناك آثار عند السلف الصالح كثيـــرة جدا ، طبعا كما قلت في بداية الدرس لا إله إلا الله لا يسبقها عمل و لا تترك ذنبا ، كيف ؟ ننظر بالشرك فقبل أن تحقق من أنه لا إله إلا الله أنت في حياتك آلهة كثيرة دعك مما ينبغـــي أن يقال في العالم الإسلامي ، كن مع الحقيقة هـــناك شخص توحيده ضعيف في حياته ، أشخاص كثيرون لهـــم تأثير عليه فإذا توجه إليهم وسعى إلى إرضائهم وخاف من غضبهم وعلق عليهم الآمال فهذا هو الشرك ، فإذا كنت

تــرجو زيدا وتخشى عبيدا وتطمع بما عند فلان وتخاف من علاّن فالعمل الصالح الخالص لله عز وجل لن يكون .

فكلمة التوحيد لا يسبقها عمل لأن عملك يشوبه الشرك قـبل أن تؤمن بلا إله إلا الله ترجو غير الله وتخاف غير الله وتعلّق الأمر على غير الله ، وإذا تحققت منها لا تترك ذنبا ، لمــاذا تعصي الله من أجل أن يرضى عنك زيد ؟ ، فزيد بيد الله .

كلكــم يذكر القصة التي كنت أرويها لكم سابقا ؛ أن أحد خلفــاء بنـــي أميَّة وهو الخليفة يزيد أصدر توجيها إلى أحد الــولاة وهو والي البصرة ، وكان عند والي البصرة الحسن البصــري من كبار التابعين فجاء التوجيه مخالفا لما ينبغي أن يكــون ، مخالفــا للحــق فوقع في حيرة من أمره ! هذا الوالــي عنده الحسن البصري ، قال ماذا أفعل ؟ أجابه كلمة توحيدية قال له :

" إعلم أن الله يمنعك من يزيد و لكن يزيداً لا يمنعك من الله " !!!

إذن الله هــو المعبود فأنت حينما ترى إنسانا يعصي الله ليُرضـــي فلانا أو يقصِّر في أعماله الصالحة ليُرضي زيدا ، ويقتــرف الآثام ليرضي عبيدا هذا توحيده ضعيف جدا ، إذن فـــي الحـــياة اليومـــية أشخاص يراهم الإنسان آلـهة يراهم يســتحقون العبادة ويستحقون الطاعة و يستحقون الخضوع

ويستحقون الحب ، فما هو التوحيد ؟ أن تتخلص مما سوى الله عــز وجل مطلقا ، لا حُبًا ولا كراهية ولا خوفا ولا طمعا ولا أملا ولا إرضاء .

أفضــل الذكر لا إله إلا الله ، فلما كان من أفضله فالعدو لمــا جاءته المحنة فزع إلى هذا الذكر ، من هو هذا العدو ؟ فــرعون ، حيــنما أدركه الغرق فزع إلى كلمة التوحيد قال " آمــنتُ أنَّهُ لا إله إلا الذي آمَنَت به بنو إسرائيل " ، أحيانا الكافــر باعتــباره أوراق رابحة كثيرة وهو أن ماله يُنْفذه ، مركــز قوي يُنْفِذه ، أتباعه يعينونه ، فهؤلاء كلهم في نظره آلهــة ، فحينما يقدر الله له شيئا كريها وكل هذه الآلهة التي تــوهَّمها لا تستطيع أن تفعل شيئا عندئذ يُسقط في يده ،يندم ويقول : لا إله إلا الله .

قد يظن الإنسان أن المال كل شيء في مقتبل حياته كلما امــتد به العمر يرى أن حجم المال يصغر إلى أن يعدُّه شيئا ولكن ليس كل شيء فإذا جاء الموت لا يرى إلا الله وأن هذا المال عارية مستردَّة وأن الله ملَّكه إياه ليتقرب إليه ... أريد أن أوسِّع معنى الألوهية قال تعالى :

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

(سورة الفرقان)

" أرأيت من اتخذ إلهه هواه " إذا أحببت شيئا وعصيت الله من أجله فقد عبدته " ، والعوام يقولون تزوَّج فتاة يعبدها ، ما معنى يعبدها ؟ يحبها ويثق بها ويمنحها كل إخلاصه وكل طاعته ولو أمرَتْهُ بمعصية !!! فالعبادة كما قلت لكم غاية الحب مع غاية الطاعة فإذا منحت تلك الطاعة وذاك الحب لغير الله عز وجل فذاك هو الجهل لذلك حينما قالوا : نهاية العلم التوحيد ، حينما ترى أن كل الخلق دُمَى يحرِّكها الله عز وجل :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

هذا العدو – عدو الله – عز وجل حينما أدركه الغرق ، لجأ إلى الله قال :

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾

(سورة يونس)

أما وليّ الله سيدنا يونس حينما أدخل في بطن الحوت ودخل في ظلمات ثلاث : فقال:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾

(سورة الأنبياء)

لماذا قُبلت هذه الكلمة من سيدنا يونس ولم تقبل من فرعون ؟ كلاهما في المحنة قال : لا إله إلا الله ، العلماء قالوا : " ١- فرعون ما عرف الله قبل المحنة لذلك ما نفعته عند المحنة ، سيدنا يونس عرف الله قبل المحنة فلما جاءت المحنة نفعته هذه الكلمة هذا أول فرق "،

٢- فرعون ماذا قال:

فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾

(سورة النازعات)

أما يونس فنادى وهو مكظوم :

فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤٤﴾

(سورة الصافات)

لاحظ أنت جميع الناس حينما يقع في مأزق ، في مرض عُضــال ، في مشكلة كبيرة ، أمامه شبح مصيبة ، ينسى كل الشــركاء ، ليــته عرف هذه الحقيقة وهو في الرخاء ! أما حينما تأتيه المصيبة حينما تُحدِّق به الأمور حينما يُسقط في يده لا يرى إلا الله .

حدثنــي أخ صديق أن طائرة تُقِل خبراء من بلاد مُلحدة تــرفع شعار : " لا إله و لا يوجد الله " ؛ هذه الطائرة مرت بســحابة مكهربة وفي أجواء هوائية كثيرة جدا وفي طقس قــاس فصــار بعضهم يقول : " يا الله " ، والقرآن ذكر ذلك ،فالإنســان إذا ركــب البحــر و هاج البحر وماج وأصبحت السفينة العظيمة كأنها ريشة في مهب الرياح عندئذ لا يُرىَ

إلا الله ، إذن الشــيء الواقعي أن المؤمن يرى أن الله وحده بيده كل شيء هذا يؤكده قولـه تعالى والآية دقيقة جدا :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

(سورة الشورى)

طيب بيد من كانت ؟ كانت بيد الله ولا تزال بيد الله وهي دائما بيد الله ولكن أهل الدنيا المعرضون يرون الأمر بغير يد الله ، أما المؤمن وهو في الدنيا يرى الأمر بيد الله ، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

٣-هناك شيء آخر : وهو أن سيدنا يونس قال " لا إله إلا أنــت يا رب " كلمة أنت يخاطبه وجها لوجه أما فرعون مــاذا قـــال: " لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل "، سيدنا يـونس قال لا إله إلا أنت وكأنه يرى الله معه ، أما فرعون سـمع أنــه يوجد إله لموسى بيده كل شيء فلما شرع في الغـرق شـعر أن إلــه موسى هو الذي أغرقه فقال " آمنتُ بالذي آمنَت به بنو إسرائيل " ، فذِكر ضمير الغائب دليل على أنــه غيــر متحقّق ، أي غير متأكد ، لذلك قال الله تعالى :" إعرفني في الرخاء أعرِفْك في الشدة" ،

٤- قُبلت لا إله إلا الله من سيدنا يونس لأنه كان من المسبِّحين ولم تقبل من فرعون لأنه لم يكن من المسبحين .

حينما تقع في محنة مهما كان مستوى إيمانك مهما كانت نوع عقيدتك مهما كان مستوى توحيدك تقول يا الله ، لكن إذا كان إيمانك قبل المحنة عظيما تقول يا الله لا إله إلا أنت ، فلك عنده رصيد ، لك عنده سابقة عمل صالح ، لك عنده معرفة برحمته ، لك عنده معرفة بعفوه بقدرته بحبه ،

٥- فرعون حينما ذكر هذه الكلمة لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ما قالها تعبُّدا بل قالها من أجل خلاصه ، شتَّان بين من يضطر إلى الإيمان بالله وبين من يؤمن بالله طواعية .

الآن كلكم يعلم أن العالم كان مقسوم إلى شرق وغرب إلى أمم تقدِّس الفرد وإلى أمم تقدس المجموع كِلا الفريقين تطرَّفا وعادا إلى الوسط ، والإسلام وسطي والفريقين لم يعودا إلى الإسلام إيماناً به ولا اعتقادا بأنه منهج الله عز وجل... ولكن طبيعة الظروف التي وافقت هذا التطرف ألجأتهم إلى الوسطية ، فالذين آمنوا بالفرد إيمانا مطلقا على حساب المجموع اضطروا أن يعودوا إلى حقوق المجموع ، والذين آمنوا بالمجموع على حساب الفرد اضطروا إلى أن يرعوا حقوق الفرد ، إذن عادوا إلى الوسط هذا معنى قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ
ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن
يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ
هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ
١٤٣

(سورة البقرة)

ففرعون حينما قال : لا إله إلا الله قبل أن يغرق قالها ليتخلص من الغرق ، هذا يفسر لنا أن بني إسرائيل حينما خرجوا من البحر رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ؟ ألم تروا أن البحر أصبح طريقا يبسا ؟ قالوا إنهم آمنوا بموسى ليتخلصوا من فرعون ، إيمانهم مشوب بمصلحة لذلك أرقى أنواع الإيمان أن تؤمن بأن الله عز وجل هو الخالق ويستحق العبادة ، هذا ما قالته رابعة العدوية : " إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكنني رأيتك أهلا للعبادة "

وما يعبدونه من أجل جنات عدن ولا الحور الحسان ولا الخيام
سوى نظر الحبيب فذا مُناهم وهذا مطلب القوم الكرام

قـــال بعضهم أن كل الطاعات يرفعها ملك إلى رب العزة إلا كلمة لا إله إلا الله فتصعد وحدها وهذا معنى قوله تعالى :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

(سورة فاطر)

هـــناك نقطة دقيقة جدا مرت معي في حديث شريف – قلـــته لكم سابقا – " من ازداد علما ولم يزدد هدى " – كأنه يـــوجد خـــط العلــم وخـــط الهدى – خط العلم أن تقرأ كتابا وتفهمـــه وتستوعبه وتحفظه ، أن تستمع إلى محاضرة وأن تقف عند دقائقها وخطوطها الرئيسة والأدلة التي قيلت حول أفكارهـــا هذا هو العلم أن تقتبس معلومات ، حقائق ، أفكار ، تصورات ، قناعات ، فما هو الهدى إذن ؟ الهدى أن تعرف أن الله ســـبحانه وتعالـــى لا إلـــه إلا الله لا إله إلا هو ، أن تـــوحّده وتعبده ، يمكن أن أقول لكم الدين كله أن توحّد الله وأن تعـــبده . فـــي القـــرآن ورد قصص أنبياء كثيرين " أن اعبدوا اللهَ ما لكم من إلهٍ غيرُه " :

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ
أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(سورة هود)

هــذه الآية وردت مكررة عشر مرات أو بأقل : " اعبدوا الله مــا لكم من إله غيره " ، فصار ديننا هو أن تؤمن أنه لا إلــه إلا الله وأن تعـبده ، فـنهاية العلم هي التوحيد ونهاية العمل هي طاعة الله عز وجل .

رُوي في الأثر أن العبد إذا قال : لا إله إلا الله أعطاه الله مــن الثواب بعدد كل كافر وكافرة ، والسبب أنه عندما قال هــذه الكلمة فكأنه قد رد على كل كافر وكافرة فلا عَجَب أن يستحق الثواب !!! و بماذا أمرنا الله عز وجل بالقرآن ؟

فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

(سورة محمد)

ـــ ـ و العلــم يقتضي البحث و الدرس و اليقين و التدقيق و التمحيص و استحضار الأدلة و الانتهاء بقناعة ثابتة ، أما الذي يبقى في تردد و في شك فهذا لم يتعلم

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

(سورة الحجرات)

بعضهم قال في تفسير:

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾

(سورة الشورى)

قــال : الحــاء حلمُــه وحُكْمُــه وحُجَّتُه ، والميم مُلْكه ومَجـده ، والعــين عَظَمته وعُلوُّه وعِزّته وعِلمه وعَدله ، والســين سَــناؤه وسِرُّه ، والقاف قهره وقدرته ،وكأن الله تــبارك وتعالــى يقــول: بحِلمي و حِكمتي وحجتي ومجدي وملكــي وعظمتــي وعدلي وعلمي وعزتي وعلوي وسري وثنائــي وقدرتي وقهري لا أعذب في النار من قال لا إله إلا الله ، لمــاذا لا يعذَّب ؟ لأنه عرف أن الأمر كله بيد الله عز وجــل فاســتقام على أمره ، هذا الدين عرَّف أن الأمر كله راجع إليه .

بالمناسبة هناك في القرآن آيات توحيد رائعة جدا . قوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وقوله تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

" إنــك على كل شيء قدير " هذه الآية دليل على فكرة دقــيقة جــدا أنه لا يوجد في الكون شر مُطلق ومعنى الشر المطلق الشر المراد لذاته . أيضا :

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾

(سورة الزمر)

وقوله تعالى:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ
وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

وقوله تعالى:

أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

(سورة الأعراف)

الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل أيٌّ شيء خلقه أمْرُه عائدٌ إليه . وقوله تعالى :

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

(سورة الإخلاص)

وقوله تعالى :

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

(سورة العنكبوت)

وقوله تعالى :

قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

(سورة الكهف)

وقوله تعالى:

۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة لقمان)

وقوله تعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾

(سورة الرعد)

وقوله تعالى :

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ
عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

وقوله تعالى :

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

(سورة فاطر)

وقوله تعالى :

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ
يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(سورة النمل)

وقوله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾

(سورة الزخرف)

من الأحاديث :

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلتُ أنا و النبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له" موطأ مالك

عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : " يا غُلام إني أعلّمك كلمات : إحفظ اللهَ يحفظك احفظ اللهَ تجِدْهُ تِجاهك إذا سألتَ فاسأل الله وإذا استعنْتَ فاستعِن بالله واعلم أن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لك ولو

اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلا بشيء قد كتبه الله عليك ... رُفِعت الأقلامُ وجَفَّت الصحف " رواه الترمذي .

فإذا الإنسان جمع الآيات التي تعني التوحيد وحفظها فهذا جميل جدا ، وتبعث فيه الاطمئنان ، لأن أسباب الخوف دائما أن تشعر أن هناك جهة في الأرض يمكن أن تؤذيك أما إذا شعرت أن الله وحده بيده كل شيء و هو رحيم و غني و ودود و قدير و عليم فإن هذا الشعور مُسعد و مطمئِن .

من فوائد هذه الكلمة أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " : ليس على أهل لا إله إلا الله وَحشة عند الموت وكأنِّي أنظر إلى أهل لا إله إلا الله عند الصَّيْحة ينفضون شعورهم من التراب يقولون : " الحمد الله الذي أذهب عنا الحزَن " .

إذن فالشيء المخيف في القبر تحت التراب هو الوحشة ألم يقل المولى عز وجل :

ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

(سورة غافر)

من ستة آلاف سنة :يُعرضون على النار غُدُوًّا وعَشِيًّا !!! أما أهل لا إله إلا الله فلا يشعرون بوحشة في قبورهم والقبر المخيف يغدو روضة من رياض الجنة ، لماذا ؟ لأنهم عرفوا الله فاستقاموا على أمره ، وحَّدوه فاستقاموا على أمره .

كنت أضرب مثلا دخلت إلى دائرة حكومية فيها مئة موظف ومعك معاملة ، لن يستطيع أحد أن يكتب لك موافق وتأخذ ثمار هذه المعاملة إلا المدير العام فهل يمكن أن تتجه لما سواه ؟ أن ترجو عاملاً، أن ترجو موظَّفا ؟ مادام صلاحية التوقيع للمدير فقط فلابد من أن تتجه إليه وحده ، قلت لكم سابقا أن الله قال :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

(سورة النساء)

ممكن أن يكون لك مبلغ كبير في مدينة ، وأن تركب القطار الذي يوصلك للمدينة يمكن أن ترتكب ألف غلطة في القطار ، لكن القطار في طريقه إلى المدينة وسوف يصل في الوقت المحدد وسوف تقبض هذا المبلغ ، قد تركب في الدرجة السادسة وتكون دفعت بطاقة من الدرجة الأولى قد تختار عربة فيها شباب أخلاقهم شرسة قد تركب في جهة

مخالفة لجهة القطار هذا ممكن ! قد تحس بالجوع الشديد ولا تدري أنه في بعض القاطرات مطعم ، هذه كلها غلطات ولكن القطار في طريقه للمدينة وسوف يصل في الوقت المناسب وسوف تقبض هذا المبلغ .

إذن!! إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفِر ما دون ذلك لمن يشاء ومَن يُشرك باللهِ فقد افترى إثماً عظيما " لكن هناك غلطة لا تُغتفر وهي أن تتجه إلى قطار لا يوصلك إلى هذه المدينة ، كأن يكون سيسير باتجاه معاكس ؛ أو قطار آخر متوقف لا علاقة له بالحركة إطلاقا ، هنا تكمن المشكلة ، فالشرك بالله لماذا هو خطير؟ لأنك تتَّجه لما سوى الله عز وجل وما سوى الله لا شيء ... و لماذا يُعدُّ الإيمان عظيماً ؟ لأنك تتَّجِه لمَن بيده كل شيء .

إذن الخُلاصة هي : " لا معبود بحق إلا الله " ، لا يستحق أحد أن تعبده إلا الله ، ولا إله إلا الله ، هي نهاية العلم وطاعته نهاية العمل :

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " مَن قال حين يصبح أو يمسي اللهم إنِّي أصبحتُ أشهدُك و أشْهد حَمَلة عرشِك و ملائكتك و جميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت و أن محمدا عبدك و رسولك " أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه و من قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه فإن قالها أربعا أعتقه الله من النار رواه أبو داود ، و ما مِن عبد يقول أربع

مـرات : " اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيدا و أشهد حملة عرشـك و ملائكتك و جميع خلقك و إني أشهد أنك لا إلـه إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك "إلا كتب الله له بها عتقا من النار

فـي الحقيقة إذا قارنّا الشهادتين : شهادة أن لا إلـه إلا الله ؛ و الشـهادات العلمـية المخـتلفة التـي يسعى الناس لنـيلها ، لـوجدنا أنه بالعصور الأخيرة صار هناك شهادات علمـية مـزوَّرة أما شهادة لا إلـه إلا الله ، فأنت ترى أثرها وعندئذ تطبِّق أمر الله عز و جل ، ثم أنه إذا كان آخر الزمان لم يكن لشيء من طاعة الناس فضل كفضل لا إله إلا الله لأن صـلاتهم وصيامهم يشوبها أنواع من الرياء والسمعة ولا إخـلاص فـي شيء منها ، أما كلمة لا إله إلا الله فهي ذِكرُ الله !!! والمـؤمن لا يذكرها إلا عن تصميم قلب ... هذه من فوائد لا إلـه إلا الله .

كما أن الإنسان كي يحصل على شهادة علمية فلابد أن يـبذل جهـداً و وقتاً ومالاً..هذه الشهادة نفعها وقتي ، أما شـهادة لا إلــه إلا الله فعلـيها يتـرتب مستقبله في الدنيا والآخـرة ، لذلك وجب عليه أن يبذل جهداً أكبر و بإخلاص أكثر ، و يبذل من وقته الثمين ، و يتابع الدروس ، و يتأمل و يحلّل حتى يصل إلى الإيمان بهذه الكلمة ... وإن لم يؤمن بهـا فعملـه مشـوب بالشرك والعياذ بالله . يقول الله عز وجل :

" قُل إن كان آباؤكُم وأبناؤكُم و إخوانُكُم ، و أزواجُكم ، وعشيرتُكم وأموالٌ اِقْتَرَفتُموها وتِجارةٌ تَخشَونَ كَسادَها ومساكِنُ تَرضَونَها أحبَّ إليكُم من اللهِ ورسولِه وجِهادٍ في سبيلِه ، فتَربَّصوا حتى يَأتي اللهُ بأمره ، واللهُ لا يَهدي القومَ الفاسقين (سورة التوبة – ٢٤)

فالإنسان متى يعصي الله عز وجل ؟ حين يرى أن رضى أي شيء سوى الله أثمَن من رضاه سبحانه!!!

كنت أقول هذه الكلمة من يقول الله أكبر و يعصي ربه ، فهو لا يشعر بها و لا يحقّقها بقلبه ... فإذا أطاع زوجته وعصى ربه فرؤيته القلبية أن رضاها أثمن من رضى الله عز وجل ، حينما تُؤثِر شيئا مما سوى الله على طاعة الله أنت ترى هذا الشيء أكبر من الله لأنك بذلك جعلت إرضاء الله درجة ثانية ، أما إرضاء هذا الشخص درجة أولى فكلما تحقق الإنسان من كلمة لا إله إلا الله انضبط وما رأى مع الله أحدا .

هذه كلمة التوحيد ، هذا شعار الإسلام هذه الكلمة التي يقولها الإنسان إذا أسلم لا إله إلا الله محمد رسول الله : التوحيد و الإيمان بالرسالة ثم الطاعة ... الإيمان بأنه لا إله إلا الله ... والإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عبادة الله من خلال طاعة الله و رسوله ... هذا هو الدين .

بقـيت نقطـة ، كيف يستزيد الإنسان من الإيمان بهذه الكلمة ؟ بأن يُدخلها في أسماء الله الحسنى ... لأن الله من أسمائه أنـه إله ؛ ولا إله إلا الله ولا معبود بحق إلا الله : فإذن مَن الذي يستحق العبادة ؟ هو الخالق إذن لا خالق إلا الله ، مـن الذي يستحق العبادة ؟ هو الرازق ، إذن لا رازق إلا الله ؛ هو القوي ، إذن لا قوي إلا الله ، هو الكريم إذن لا كـريم إلا الله ، الجميل ، العليم ، المعز ، المذل ، المحيي ، المميت ، الحسيب ، الرقيب ، الشهيد ، فأسماء الله الحسنى كلهـا يجب أن تتحقق منها ، عندئذ تعلم أنه لا يُعبد إلا الله عز وجل ، والسؤال مرة أخرى : " كيف نستزيد من الإيمان بهذه الكلمة ؟ " بمعرفة الله ، فالكون خَلْقه و الحوادث أفعاله والقـرآن كلامُـه أنت ممكن أن تستقصي من القرآن الكريم الآيـات التـي تدل على التوحيد ، فإذا كان إيمانك بأن هذا القرآن كلام الله والله يقول :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ

(سورة البقرة آية ٢٥٥)

يقـول " لـه الخلق والأمر " ، يقول " إليه يُرجع الأمر " يقول "ما يفتح اللهُ مِن . رحمةٍ فلا مُمسِكَ لها . "... هذا الدلـيل النقلي ، أما العقلي فحينما ترى في هذا الكون انسجام تعرف أن هناك إله واحد هناك نظام دقيق ، فالتفكر

في الكون قد يوصلك إلى لا إله إلا الله وإذا تأملت في أفعال العباد في الأفعال الإلهية .

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾

(سورة هود)

إذا رأيت المستقيم أكرمه الله ورأيت المُرابي محقهُ الله ، و رأيت المنحرف المعتدِي دمَّره الله إذا رأيت أن هناك أفعال مؤداها العدالة هذا شيء يمكن أن يرسّخ إيمانك بلا إله إلا الله مع ملاحظة أن الله سبحانه و تعالى جعل الدنيا دار عمل وجعل الآخرة دار جزاء فإذا جازى المُسيء في الدنيا فهذا جزاء ردعي لبقية المسيئين و إذا أكرم المُحسن فهذا إكرام تشجيعي لبقية المُحسنين أما الحساب الكامل ، فيقول عنه سبحانه :

كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

(سورة آل عمران)

فإيمانــنا يزداد بهذه الكلمة عن طريق التفكر في الكون أولا وعــن طريق تدبر آيات الله ثانيا وعن طريق النظر في أفعال الله ثالثا .

و الحمد لله رب العالمين

*****

السلام

السلام

أيها الأخوة المؤمنون : مع الدرس الثالث من دروس أسماء الله الحسنى والاسم الجليل من أسماء الله الحسنى السلام ، يا أيها الأخوة الأكارم ورد هذا الاسم في نص القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

[الحشر : ٢٣]

و ورد أيضا في قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

[يونس : ٢٥]

دعوة الله كلها ملخّصة بدار السلام و ورد في قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾

[الواقعة : ٩٠-٩١]

وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾

[سورة مريم : ١٥]

هذه الآيات التي وردت في كتاب الله عز وجل وورد فيها اسم السلام ، ما معنى هذا الاسم ؟ يقول العلماء : هذا الاسم معناه أنه جل جلاله ذو السلامة ، ذو السلام أي ذو السلامة كأن تقول الرَضَاع من الرَضَاعة ، هذا الاسم أساسه اللّغوي السلامة و معنى السلامة أي أن ذاته جل جلاله سلمت من كل عيب وسلمت صفاته من كل نقص و سلمت أفعاله عن الشر ، ولكن لابد من وقفة دقيقة عند العبارات سلمت ذاته من كل نقص ، و سلمت صفاته من كل عيب ، و سلمت أفعاله من الشر ، أليس في الأرض شرور ؟ فكيف يقول العلماء في شرح هذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى : سلمت أفعاله من الشر ؟ .

في الإجابة على هذا السؤال ، وأنا أعلق أهمية كبرى على هذه النقطة ، لأنك إذا فهمتها فهما صحيحا أحسنت الظن بالله عز وجل وحسن الظن بالله ثمن الجنة ، هل سلمت أفعاله عن الشر المطلق ؟ ما هو الشرالمطلق الذي نفعله لذاته ؟ أي إذا كان في الإنسان التهاب حاد في الزائدة الدودية ألا يمسك الطبيب الجراح المشرط الذي نرجوه أن

يجـري لنا هذه العملية ؟ !! ألا يمسك هذا الطبيب المشرط ويشـق اللحم وينفر الدم ويخدر هذا الإنسان فبعد أن ينتهي مفعـول التخدير ألا يتألم هذا الإنسان ، هل أردنا أن نجرحه حـبا بجـراحته ؟ هـل أردنا أن نقطع هذا اللحم حبا بإيقاع الأذى ؟ أم أن هـذا الطبـيب الرحيم البارع أمسك المشرط وفـتح البطن ليستأصل هذه الزائدة الملتهبة وفي استئصالها يكـون الشفاء والراحة، فإذا جاء إنسان ليطعن إنسانا آخر بالسكين بلا سبب وبلا ذنب نقول : هذا فعل الشر المطلق أي أوقـع فـيه الأذى لذات الأذى ، أما حينما يفتح جدار البطن ليستأصـل هذه الزائدة الملتهبة فهذا ليس شرا مطلقا ؛ هذا هـو الشر الذي من أجل الخير، هذا هو الألم الذي من أجل الراحة ، هذا هو فتح الجلد الذي هو من أجل راحة النفس ، فلذلك حينما نقول : من معنى اسم الله السلام أنه ذو السلام والسلام من السلامة كما أن تقول الرَضاع من الرِّضاعة .

إذن ذات الله منـزهة عـن كل عيب ، و صفاته منزهة عـن كل نقص ، و أفعاله منزهة عن الشر المطلق ، حينما تُوقِـع الشـر لِـذات الشر فهذا شر مطلق . يا أيها الأخوة الأكـارم ، يجـب أن تعتقدوا ويجب أن تؤمنوا أنه ليس في الكـون كلـه شـر مطلق ،فهذه الشرور لا بد منها من أجل إحداث النتائج الطيبة ، فقد خُلِق الإنسان ليسعد إلى الأبد فإذا إنحـرف عـن هدفـه فلا بد من تصحيح مساره ، لا بد من معالجـته ، لا بد من دفعه ، لا بد من ردعه ، لا بد من فعل

... شيء يدفعه إلى هدفه النبيل ، فالذي يؤمن بأن هناك شرور إنما تقع لذاتها فهذا لا يعرف الله أبدا ، لقول الله عز وجل :

" قُلِ اللَّهمَّ مالكَ المُلك ،تؤتي المُلك مَن تشاء وتنزعُ المُلك مِمَّن تشاء،وتُعِزُّ مَن تشاء ،وتُذِلُّ مَن تشاء بيَدِكَ الخير،إنَّك على كل شيء قدير "

[آل عمران : ٢٦]

مثلا : هل في الأرض كلها أب إن رأى ابنه مارس انحرافا أو اقترف ذنبا خطيرا ، أو أخذ شيئا ليس له ، أو كذب كذبة كبيرة ، أو اعتدى على أخيه ، هل في الأرض كلها أب يقف مكتوف اليدين ؟ ألا يعالجه ، ألا يوبخه ، ألا يضربه ، ألا يحذره ، ألا يقرعه ، و هل في الأرض كلها أب يأتي إلى ابنه الحبيب الذي لم يفعل شيئا إطلاقا ويوقع به الأذى حبا بالأذى ، هذا الأب منزَّه عن ذلك،هذا الأب العادي الذي لا يملك من الرحمة والحكمة شيئا منزه عن هذه الصفة ، فما بالك بالله الذي خلق هذا الأب؟

إذن الشر المطلق لا وجود له في الكون ، وما أصابَ مِن مُصيبة فَبِما كسبَتْ أيديكم" . و كلما كان الانحراف أشد كان العلاج أقصى . شيء آخر . هذا أول تعريف جل جلاله من أسمائه السلام ، سلِمت ذاته من العيوب وسلمت صفاته من النقص و سلمت أفعاله من الشر المطلق إن كل شر تراه أعينكم هو شر موظف لمصلحة الإنسان البعيدة لا القريبة ،

مثال للمصلحة القريبة : قد يفقد الإنسان ماله كله وقد أصيب بمـرض عضـال ، فذهب المال في العلاج فهذا الفقد للمال وهـذا المـرض العضال في نظر صاحبه شر خطير . ولكن حيـنما يُخلـق الإنسان لسعادة أبدية ويكون هذا العلاج في خدمـة عـودته إلى الله عز وجل و أنفق المال لهذه الغاية النبـيلة فهذا هو الخير البعيد . المعنى الثاني من أسماء الله أنه سلام أي ذو السلامة لعباده ليس في الوجود كله سلامة إلا منسوبة إليه . الآن أدخل معكم في موضوع ؛ والله الذي لا إله إلا هو أتمنى من كل قلبي أن نسلك معا في فهم أسماء الله الحسـنى فهمـا بمنهج واضح جدا ، دعنا من التعاريف النظرية ؛ دعنا مما قاله العلماء ، وما أجل ما قالوه عن اسم الله السـلام ، أنـت كإنسان هل تستطيع أن تكتشف في هذا الكـون حوادث آيات ، أدلة ، تؤكد أن الله سلام ؟ أنا سعيت بـبعض الشواهد المختارة من حياتنا من أجسامنا مما حولنا لأؤكـد لكـم أن هذا الكون كله ماهو إلا تجسيد لأسماء الله الحسنى ، وما هو إلا مظهر لصفاته الفضلى . مثلا : الإنسان إذا كسـرت عظامه كيف تلتئم ؟ لا أحد يعرف إلا أن الخلية العظمـية حيـنما تصـاب بالعطب ، والعظام حينما تنمو في بدايتها تنمو إلى أن تصل إلى حد رسَمَه الله لها لأن الله عز و جل باسط و قابض . و من رحمة الله بنا أن الإنسان ينمو فـإذا بلغ في نموه الحد المعتدل المقبول يقف النمو ، وهناك مـرض خطير جدا هو أن الإنسان ينمو دون توقف ، و هو

مرض العملقة ، فرحمة الله عز وجل توقف نمو العظام عند هذا الحد . وقال العلماء : هذه الخلية العظمية تهجع وتنام ، قد يمضي على نومها أربعون عاما فإذا كسرت عظمة إنسان استيقظت هذه الخلايا وأعادت بناء ذاتها والتأمت مع أخواتها ونحن لا ندري ، لو أن العظم لا يلتئم ماذا نفعل ؟ لو أن عظم الإنسان إذا انكسر لا يلتئم ماذا نفعل ؟ فالتئام العظم يجسِّد اسم الله السلام ، الله عز وجل خلقك في أحسن تقويم وخلق في طبيعة الجسم إمكانية الترميم و الإلتئام و الشفاء .
أنت إذا سرت على قدميك اللطيفتين ما الذي يضمن لك أن لا تقع ؟ إنه جهاز للتوازن أودعه الله في أذنك الداخلية ثلاث قنوات فيها سائل ، و أهداب ، فإذا مِلت على أحد محوريك ارتفع السائل في مكان دون الآخر وهذه الأشعار الدقيقة أحست بالميل فأعطت أمرا إلى الدماغ كي تعود إلى ما كنت عليه ، لولا هذا الجهاز الذي أودعه الله في الأذن الداخلية لاحتاج الإنسان إلى قدم قطرها سبعون سنتمتر ، و إلى مركز استناد واسع ، إذن من أجل سلامتك جعل الله لك هذا الجهاز جهاز التوازن في الأذن ، ومن أجل سلامتك أنت أيها الإنسان جعل الله عزَّ وجَل في عظامك ، من الداخل أعصابا حسية بالغة الحساسية لماذا ؟حتى إذا كُسر العظم يبقى على حالته لأن إبقاؤه على حالته هو ثلاثة أرباع العلاج ، فجعل الله في نِقي العظام ذلك العصب الحسي البالغ الحساسية من أجل سلامتك لأن اسمه السلام .

وأعصاب الحس في الأسنان من أجل أن تبادر إلى طبيب الأسنان فتعالج أسنانك قبل أن تفقدها كلها ، فهذا العصب الحسي البالغ الحساسية في أسنان الإنسان من أجل سلامة الأسنان و هو تجسيد لاسم الله السلام .

جهاز المناعة - وهو حديث العالم اليوم - جيش عظيم أودعه الله في الدم : الكريات البيضاء بعض هذه الكريات تستطلع أحوال العدو وبعض هذه الكريات تصنع المصل المضاد بناء على استطلاع الكريات المستطلعة وبعضها تأخذ هذا السلاح المضاد الحيوي وتقاتل به الجرثوم وأنت لا تدري . من أجل سلامتك أودع الله فيك جهاز المناعة ، هذه الكريات البيضاء التي يقوم بعضها باستطلاع بنية العدو ومراكز ضعفه وبعضها لتصنيع المصول وبعضها لمحاربة الجرثوم إذا دخل معتديا على جسم الإنسان ، وما مرض الإيدز الذي هو شغل العالم الشاغل إلا ضعف في جهاز المناعة ، فمن أجل ماذا خلق الله جهاز المناعة في الإنسان ؟ من أجل سلامتك . إذن هذا يجسّد اسم الله السلام .

القلب : جعل الله عز وجل فيه مركز تنبيه كهربائي خاص به ، ما من عضلة في جسم الإنسان إلا وتأتمر بعصب حسي وعصب محرك، الإنسان عصب حسي ينقل إحساس المحيط إلى الدماغ وعنده عصب محرك ينقل أوامر الدماغ إلى العضلات وهذه من بديهيات التشريح ، كل عضلات

الجسم تتحرك بأمر الدماغ لذلك الشلل من أين ؟ من الدماغ ، إذا تضيق شريان في الدماغ في منطقة الحركة يصاب الإنسان بالشلل ، إلا عضلة القلب إلا هذه العضلة فقد زودها الله جل جلاله بمركز توليد كهربائي خاص بالقلب ؛ لأن القلب خطر جدا ، المشكلة أن مركز التوليد هذا إذا تعطّل فهناك مركز آخر يعمل بعده مباشرة والدول المتقدمة جدا عندها أجهزة توليد كهرباء احتياطي فلو أن مراكز التوليد الأساسية أصابها خلل أو عطب تعمل المراكز الإحتياطية ، في القلب ثلاثة مراكز توليد كهرباء خاصة بالقلب إذا تعطل الأول يعمل الثاني وإذا تعطل الثاني يعمل الثالث ، لماذا خلق الله هذه الإحتياطات ؟ من أجل سلامتك .

قال لي طبيب متخصص في الكليتين : لو أننا جئنا بمبضع الجراح واستأصلنا الكلية الأولى وجئنا إلى الكلية الثانية واستأصلنا تسعة أعشارها بالمبضع ، فإن عُشر الكلية الثانية يكفي لتصفية دم الإنسان ، إذن الله عز وجل - من أجل سلامتك - أعطى كليتيك عشرين ضعفا عن حاجتك، فإذا قرأت اسم الله " السلام " تذكّر أنه زوّدك بوسائل السلامة هذا من معاني إسم الله العظيم جل جلاله .

الأوعية مقسمة في جسدك إلى :أوردة وشرايين لحكمة أرادها الله عز وجل . جعل الشرايين في داخل الأعضاء والأوردة في الظاهر ، لإن الشريان موصول بالقلب مباشرة

فإذا أصابه جرح فقد الإنسان دمه كله لأنه مثل المضخة ، لو أن إنسانا فــتح شريانه هل تدري ما يكون ؟ قال لي طبيب جراح أوعية : في أثناء بعض العمليات حينما يفتح الشريان وإلى أن نغلقه بملقط فإن الدم يصل أحيانا إلى سقف الغرفة لشــدة الضــغط، فهذا الشريان الذي أودعه الله في الإنسان حفاظا عليه وضمانا لسلامة صانعه (الله عز وجل) جعله في الــداخل وجعــل الأوردة في الخارج ، فعندما تأخذ أبرة في العرق كما يقولون هذه ليست في الشريان ولكن في الوريد ، فمَن صمَّم الشرايين في الداخل والأوردة في الخارج ؟؟؟!!!! إذن إسم الله السلام جاء ضمانا لسلامتك .

عــندما يجــوع الإنسان لدرجة يكاد يموت جوعا ، أنت كإنسان عندك مواد غذائية ؛ عندك مثلا بقول حبوب وعندك [illegible]ـون . فأنــت مهما أوتيت من علم عظيم [illegible] تحــول هذا القمح إلى مواد دهنية إلى لحم ؟ هذا شيء فوق طاقة الإنسان ولكن الجسم مزود بآلية عجيبة جدا ، بإمكانه أن يحول المواد النشوية إلى مواد دهنية عند الحاجة ، فهذه المــرونة فــي تحويل المواد من أجل سلامتك ... والإنسان عندما يجوع يستهلك شحمه وحينما يجوع بعد ذلك يستهلك عضــلاته ، فــي بعض حالات المجاعات العضلات تُستهلك العضــلة ،حتــى لا يبقــى في يد الإنسان إلا جهازه العظمي وعليه الجلد ، أما العضلات المخططة هذه فتُستهلك، تؤكل ، ماذا قال هذا الفتى الشاب لعبد الملك ابن مروان حينما دخل

عليه فقال عبد الملك ابن مروان : حينما رأى الصغار في مجلسه غضب وقال لحاجبه : ما شاء أحد أن يدخل علي حتى هؤلاء الصبيان ، فقال له : "أيها الأمير إن دخولي عليك لن ينقص قدرك ولكنه شرفني ، لقد أصابتنا سنة أكلت الشحم – أذابت الشحم – وأصابتنا سنة أكلت اللحم وأصابتنا سنة ذقت العظم ، إذن أول شيء في الإنسان يُستهلك شحمه وبعد ذلك تستهلك عضلاته إلا عضلة القلب ، من صمم هذا التصميم ؟

إذا أردت أن تميت الإنسان جوعا فإنه يستهلك كل عضلاته إلا عضلة القلب ضمانا لسلامته ، أي أنه لن يموت بسبب الجوع !!!!

بل إن في مخزون الإنسان الغذائي مخزون لا يُستهلك إلا عند المجاعات ، الإنسان يجوع ، ما معنى أنك جائع ؟ يعني مخزونك في الكبد نقص ، المخزون الغذائي في الكبد لا في الشرايين لو فحصت دم إنسان جائع لوجدت النسب كلها نظامية في دمه ، ولكن المخزون في الكبد هو الذي نقص ، هذا كله من أجل سلامة الإنسان هذا معنى " ذو السلامة " .

شيء آخر : الإنسان أحيانا ينام ، وزن جسمه الذي فوق عظمه يضغط على العضلات التي تحت العظم هذا الضغط يسبب ضيق في التروية أودع الله في الإنسان مراكز تنبيه للإحساس بالضغط فإذا تنبهت هذه المراكز لضغط

الجسـم عليها ولضيق الأوردة والشرايين وضعف التروية ، الـدماغ يأمـر الجسم وأنت نائم بالتقليب من شق إلى شق وهذا معنى قوله تعالى :

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

[الكهف : ١٨]

والتقلـيب ذات اليمـين وذات الشمال ، مرة إلى اليمين ومـرة إلى الشمال لئلا تقع من على السرير ، هذا من أجل سلامتك .

وأنت نائم هذا الريق هذا اللعاب في الفم إذا ازداد أعطى تنبيها إلى الدماغ والدماغ أمر البلعوم فتجعل هذا اللعاب في المعـدة وأنت نائم ، هذا من اسم الله السلام . أتمنى عليكم الآن أن نحـاول أن نفهـم أسـماء الله الحسنى لا من خلال التعريفات النظرية التي أوردها بعض العلماء ولكن من خلال التفكُّـرات اليومية لعل الله سبحانه وتعالى يفتح عليكم بهذا المجال .

الله عـز و جل جعل أخطر عضو عندك هو " الدماغ " أين وضعه ؟ في الجمجمة ، ماذا جعل فيه ؟ أغشية بعضها فوق بعض ، وماذا جعل بين الدماغ وبين الجمجمة ؟ سائل ،

مــا وظــيفة هذا السائل ؟ هذا يمتص الصدمات ، إذا تلقى إنسان ضربة على رأسه أو وقع على جمجمته ، وإذا فسرنا الضــربة بارتجاج في السائل ، هذه الضربة أو هذا الضغط يـوزع على سطح السائل كله ، فإذا هو عُشر الميليمتر فلا يتأثر ، فالله جعل الدماغ في صندوق محكم وجعل الصندوق لــه مفاصــل ثابــته ، هــذه المفاصل الثابته تمتص بعض الصــدمات، لــولا هــذه المفاصل لكان الإنسان لأقل ضربة تنكســر جمجمته ، أما هذه المفاصل فإنها تتمفصل تمفصلا متكــيفا مع شدة الضربة ، فكلما تعرضت الجمجمة لصدمة تــتداخل العظام مع بعضها ثم تعود لمكانها ، هذا من أجل سلامتك.

أين جعل النخاع الشوكي ؟ في العمود الفقري أخطر شيء في الإنسان .

أيــن جعــل القلــب ؟ في القفص الصدري . أين جعل الرحم ؟ في الحوض :

ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾

[المؤمنون : ١٣]

الــرحم يقع في الوسط الهندسي تماما من جسم المرأة أين جعل معامل كريات الدم الحمراء و هي أخطر معامل في جسم الإنسان ؟ في نِقي العظام ، أترون كيف هي السلامة .

أينَ وضع العين ؟ في المِحْجَر ، العين جعل لها محجرا يقيها الصدمات ولو تلقى الإنسان ضربة على وجهه فالضربة لا تصل إلى العين ، لأنها في حصن في كوة المحجر ، فالعين في المحجر والدماغ في الجمجمة والنخاع الشوكي في العمود الفقري والقلب في القفص الصدري ومعامل كريات الدم الحمراء في نِقي العظام والرحم في الحوض ، ما هذا الإحكام البديع ؟!!لماذا جعل الله عز وجل أنف الصغير الرضيع قاسيا ؟ لئلا ينطبق على بعضه فينغلق اثناء الوضع ، فيختنق الطفل ، ثم كلما كبر الطفل أصبح هذا الغضروف لينا ، هذا من حكمة الله عز وجل ، هذا الرحم إذا تقلص من أجل سلامة المرأة ماذا يحصل؟ يتقلص تقلصا لطيفا . هذا هو الطلق ، فإذا خرج الطفل إلى خارج الرحم تقلص الرحم تقلصا حادا قاسيا لماذا ؟ قال : لأن الطفل حينما خرج من الرحم تقطعت عشرات ألوف الأوعية الشعرية فلو تقلص تقلصا لينا لماتت الأم من النزيف، يمسك الطبيب أو القابلة يجس الرحم فإذا كان صخريا تعد الولادة سليمة ، لو أن هذين التقلصين عكِسا لماتت الأم ولمات وليدها ، لو جاء التقلص عنيفا لاختنق الوليد ولو جاء رخوا لماتت الأم ، فمن أجل سلامة الأم وسلامة وليدها كان التقلص الأول لينا متزامنا متسارعا والتقلص الثاني عنيفا حادا قاسيا من أجل سلامة المرأة و وليدها .

والله أيهـــا الأخوة الأكارم لو بقينا ساعات طويلة أياما عديــدة وأشهرا مديدة وسنوات لا تنتهي ما انتهينا من إسم الله " السلام " إذا أردنا أن نأخذه من خلق الإنسان ومن خلق الحيوان .

هذه الحوينات ، أحد إخواننا الأطباء جزاه الله خيرا ذكر لــي قبل أيام أن هذا الحوين الذي خلقه الله في الخصيتين ، هــذا يتم خلقه خلال ثمانية عشر يوما هذا الحوين و يخزن في الخصيتين ويعطل فاعليته ، فإذا خرج ليستقر في الرحم حيــنما يبدأ بالإنطلاق من مكان تخزينه تبدأ فاعليته ، ولولا هــذه الصــفة لكان كل الرجال عقيمين ، يأتي العقم لأن هذا الحــيوان لـــه عمـــر وعمـــره عشر ساعات فإذا صنع في الخصــيتين ولـــم يســـتهلك يموت ، إذن يُصنع ويتم صنعه ويخـــزن وتعطـــل فاعليته فإذا انطلق من تخزينه ليستقر في الرحم بدأت فاعليته وعاش عشر ساعات إلى أن يستقر في البويضة ، هذا تصميم من ؟ تصميم الله عز وجل فأنا أتمنى عليكم وقد دخلنا في دروس أسماء الله الحسنى أتمنى عليكم أن تـــنحو فـــي فهـــم هـــذه الأسماء منحى يوازي التعاريف النظـــرية والشواهد العملية و أن نفكر تفكيرا ذاتيا حُرا في بعـــض مظاهر خلق الإنسان وخلق الحيوان و خلق النبات ، هـــذه الشـــجرة التـــي عمرها خمسين سنة وأنت تأكل منها زيـــتونا كـــل سنة لها تصميم ، تصميمها أنك إذا غبت عنها ولـــيس هـــناك مطر في السماء تستهلك ماء أوراقها ، فإذا

استهلكت ماء أوراقها كأنها تقول لك : يا صاحبي أنا عَطشَى تجد أوراقها ذبلت ، إذا ترك أحدنا شجرة دون سقي أول ماء تســتهلكه ماء أوراقها فتجد الأوراق قد ذبلت ، فإذا لم تُسقَ تستهلك ماء أغصانها فإذا لم تُسقَ تستهلك ماء فروعها فإذا لــم تُســق تســتهلك ماء جذعها فإن لم تسق تستهلك ماء جذورها وهذا آخر ماء تستهلكه.

لــو أن الآيــة عُكست في تلك الشجرة وتركت الشجرة دون ســقي أســبوعين لماتـــت ، لأنها ستبدأ باستهلاك ماء الجــذر فيجف الجذر ومن ثم تموت الشجرة ، إذن منأوحى إلـــى الشــجرة أن تســتهلك مـــاء أوراقها أولا من أجل أن تســقيها ؟ هــذا تصميم الله للشجرة . هذا النسغ الصاعد . هناك أوعية صاعدة وأوعية هابطة في الشجرة، فحينما تنمو هــذه الشــجرة تنمو عرضًا ربّما نَموها العرضي ضيق من أوعيــتها . لــذلك هذه الأوعية ذات الحيوية البالغة للشجرة مدعمة بألياف حلزونية لئلا ينمو القشر ولحاء الشجرة على حســابه ، من صمم هذا ؟ الله سبحانه وتعالى . هذه البذرة التي جعلها الله عز وجل آية تقاوم سنوات وسنوات ، أخذوا قمحا من الأهرامات و زرعوه فنبت ، بذرة القمح كائن حي فــيها رشيم يعيش هذا الرشيم ستة آلاف عام تقريبا زرعت فأنبــتت ، الذي أراه أن أي شيء في الكون من النبات إلى الحيوان والماء ، فالماء : إذا جمد و زادت كثافته لغاص في أعماق البحار ولانتهت الحياة من على سطح الأرض ، لكن

الماء العنصر الوحيد في الكون الذي إذا برّدناه قلت كثافته وزاد حجمه قطفا ، لو أنه عكس ما هو عليه الآن لأصبحت البحار كلها متجمدة ولانْعَدم البَخر وانعدم المطر ومات الزرع ومات الحيوان وتبعه الإنسان ، جرِّب بنفسك: إئت بالماء برده فينكمش إلى درجة أربعة فوق الصفر مئوية، تنعكس الآية ويزداد حجمه ، هذا من اسم السلام من أجل سلامتنا ، وحينما يزداد حجم الماء،فإنه هو الذي يفتت التربة فالتربة أساسها صخري بهذا الماء أصبحت مفتتة إذا فاقرأ معي قوله تعالى :

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾

[الطارق : ١١ـ١٢]

إذن ازدياد حجم الماء عند التبريد هو الذي جعل الصخر ترابا من أجل سلامة الحياة ، فإذا أردنا أن نعرف أسماء الله الحسنىمن هذا الطريق،فهو طريق رائع جدا وواسع جدا و [illegible] أي واحد منكم بإمكانه بدءا من كأس الماء إلى رغيف الخبز إلى أعضائه وأجهزته وخلاياه وأنسجته عليه أن يعرف أن إسم الله السلام واضح في خلقه بل في طعامه وشرابه ، ربنا عز وجل قال :

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾

[الملك : ٣]

أي أن خلقه كله متقن ، وقال تعالى :

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

[طه : ٤٩-٥٠]

وتذكر أيضاً أن هجرة الطيور من أجل سلامتها ، فهي تقطع سبعة عشر ألف كيلومتر، تطير بعض أنواعها ستا وثمانين ساعة دون توقف ، هل في الأرض كلها طائرة بإمكانها أن تطير ستا وثمانين ساعة من دون تزود بالوقود ؟ غير ممكن " لأنه "أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ".

و السمكة زوّدها الله بجهاز تعرف به أين هي من سطح الماء ، إذا أمسكت سمكة تجد في ثلثها الأعلى خط تحت الحراشف هذا خط مفرَّغ من الهواء . وهي في أعماق

البحر كلما هبطت نحو الأسفل إزداد الضغط على هذا الخط ، وهذا جهاز الضغط في كل الغواصات ، كل سمكة جهزها الله بجهــاز ضــغط ، تعرف أين هي من سطح الماء كلما نزلت تعرف عمق ما وصلت إليه من أجل سلامتها . أنظر إلى كل الحــيوانات الأهلــية التــي هي من حولنا ترى أن سلامتها عجيــبة هذا كله من إسم السلام . إذن معناه: إما أنه سلِمت ذاتُه من العيب وسلمت صفاته من النقص وسلمت أفعاله من الشر أو أنه ذو سلامة لخلقه ، فليس في الوجود كله سلامة إلا وهي منسوبة إليه أو سلم المؤمنون من عذابه أو هو ذو سلامة على أوليائه .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

[النمل : ٥٩]

أي:سلمت ذاته وسلم خلقه من كل أذى ومن كل ضرر .

من معاني هذا الاسم أن ذكر الله عز وجل يورث الأمن والطمأنينة والسلامة والدليل قوله تعالى :

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

[الرعد : ٢٨]

فــي القلب وحشة ، في القلب خوف ، في القلب قلق لا يســكن هذا القلق ولا تسكن هذه الوحشة ولا يأنس إلا بذكر

الله ، وأنـــا أقــول لكم هذه الكلمة : ابحثوا عن كل شيء ، لـــيس فـــي الأرض كلها شيء يمنحكم سعادة إلا أن تذكروا الله .

إن القلـــوب لتصـــدأ صدأ الحديد ، قيل : وما جلاؤها ؟ قال : ذِكْر الله وتلاوة القرآن .

إذن مـــن أســـماء الله الســـلام إنـــك إذا ذكرته شعرت بالسلام ، وأنك إذا ذكرته زال عنك الخوف ، وأنك إذا ذكرته زالت عنك الوحشة ، وأنك إذا ذكرته أنست به، واطمأننت . بينما البعيدون عن الله عز وجل يأكل قلوبهم الخوف ، يختل تـــوازنهم ينسحقون لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزِّل به عليهم سلطانا فألقى الله في قلوبهم الرعب ، أما علامة المؤمن فهو مطمئن .

إذن من أسماء الله السلام إذا ذكرته يمنحك السلام ، إذا ذكـــرته يمنحك الاطمئنان ، إذا ذكرته تشعر بالقرب منه إذا ذكـــرته تشـــعر أنه يدافع عنك وأنك في رعايته وفي حفظه وفي تأييده وفي توفيقه وفي رعايته يدافع عنك .

مـــن معانـــي اسم السلام أنك إذا اتصلت بالله عز وجل طهَّرتَ نفسك من العيوب وهنا ندخل في معان دقيقة ، وأول معنى أن ذاته جل جلاله تنزهت عن كل عيب وصفاته تنزهت عـــن كـــل نقص وأفعاله تنزهت عن كل شر ، أي شر ؟ هذا

الشـــر المطلق أما الشر الهادف ؟ فهذا علاج والعلاج دائما مُر .

من المعاني الأخرى : أنه ذو سلامة أي يمنح السلامة لعـــباده إما في خلقهم كما تحدثنا قبل قليل وإما في نفوسهم فذكر الله يورث الأمن والطمأنينة والسلامة.

والآن فالاتصـــال بـــالله ينقّـــي النفس من عيوبها : من الـــبخل ، و الشـــح ، و الحقـــد ، و الضـــغينة ، و الحسد ، والكِبْر ... هذه الصفات الذميمة التي يشقى بها الإنسان إذا اتصلت بالله عز وجل تتنزه أنت عنها ، إذن هو ذو سلام في جســـمك أعطاك أعضاء و أجهزة و أعطاك خلايا و أنسجة و دقـــة بالغـــة فـــي جهازك العظمي و العصبي و العضلي و الدوران و الشرايين و الأوردة و إذا كنت خائفا و ذكَرته بـــث فـــي قلبك السلام فإذا اتصلت به طهَّرك من كل العيوب و النقائص جعلك طاهر النفس لأن من أسمائه السلام .

شـــيء آخـــر : الله ســـبحانه وتعالى يهدي عباده سُبُلَ السلام ، كل إنسان له بيت وأسرة فممكن أن يكون في بيته خصام ، أو شحناء ، أو بغضاء ، أو طلاق ، أو أحيانا ضرب لـــزوجته ، هذا البيت فيه شقاق ، أو ضغينة ، أو حقد ، أو مشـــاجرة ، أو نفـــور ، فإذا اتبعت توجيهات القرآن الكريم ومـــنهج النبـــي يهديك الله سبل السلام في بيتك فترى البيت وديعا فيه طمأنينة فيه راحة نفسية فيه مودة فيه مؤاثرة فيه محبة لأنك اتبعت ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا

دخلـــت إلى بيتك فسلّم على أهلك بقولك : " السلام عليكم " فيذهب الشيطان ، إن الشيطان كما قلت لكم سابقا يدخل بيتا فـإذا دخـل صـاحب البيت ولم يسلم قال لإخوانه : أدركنا المبـيت ، فيكون طوال هذه الليلة مشاكل ، فإذا جلسوا إلى الطعـام ولـم يسـمُّوا الله قال : أدركنا العشاء ، فإذا دخل صـاحب البيت فلم يسلّم وجلس إلى الطعام ولم يسمِّ الله قال الشـيطان لإخوانه : أدركنا المبيت والعشاء في هذا البيت ، ومـن معانـي اسم الله السلام وانه يهديهم سبل السلام أنه أمـرك أن تختار المرأة الصالحة فلما اخترتها لأنها صالحة سـعدت بها وأسعدتها فإذا آثرتَ الجمال على الصلاح شقيت بـك وشـقيت بها ، هذا إن آثرت الجمال وحده ، فالجمال مطلـوب ولكنك إنَ آثرته وحده على صلاحها أو على دينها شقِيتَ بجمالها .

ومن مظاهر الهداية إلى سُبل السلام في عملك : إذا أنت تعاملـت بالـربا وتـراكمت علـيك ديـون ضخمة وظهرت المشكلات وتوقف البيع فجأة وعليك سندات فأفلست ، لو أنك اتبعت السنة النبوية وأمْر الله عز وجل لما وقعت في مشكلة في دخلك

إذن فـي تجارتك يهديك سبل السلام في زواجك يهديك سـبل السـلام في علاقاتك بجيرانك يهديك سبل السلام هذا معنى السلام ، فأنت إذا طبقت القرآن الكريم أوصلك في كل موضـوع وفـي كـل جانب إلى السلام والله يدعو إلى دار

السلام وهي الجنة ، فالسلام مريح جدا فإنك تعيش في طمأنينة وتعيش براحة وتحس أن الله خالق الكون معك لا يتخلى عنك ولا يُسلِمك إلى عدوك ،بل يدافع عنك ويحفظك ويؤيدك وينصرك لأنك دفعت الثمن قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

[المائدة : ١٢]

إذن من معاني السلام أن ذكر الله يورث الأمن ... والسلامة من معاني السلام ، أي أن الاتصال بالله عز وجل يُكسب السلامة من العيوب والنقائص والأدران والحماقات والحقد والحسد والضغينة والعلو في الأرض والكبر . هذه الصفات الذميمة المهلكة إذاً اتصلت بالله عز وجل نقّاك منها . من معاني السلام أنك إذا طبقت شرعه يهديك سبل السلام كقوله تعالى :

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

[الإسراء: ٩]

أي إذا طبقت الشرع يعطيك السلامة في الدنيا ، وإذا أقبلت على الله يعطيك سلامة النفس ، وإذا أطعته في كل مناحي حياتك يعطيك سلامة الآخرة ، قال الله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ

[الحشر : ٢٣]

تصاحب أحيانا شخصا شريرا أو تشاركه في بعض أعمالك فيدمر لك حياتك ، وقد يتزوج إنسان إمرأة شريرة وفي هذا السياق حدثني شخص قال لي : إنه رآها في الملهى فأعجبته فتزوجها ، بعد أن تزوجها نشب خلاف بينه وبينها لأنها ليست منضبطة ، أنت من أين أخذتها ؟ من أين تزوجتها ؟ فذهب إلى بيت أهلها ، واسترضاها فلما استرضاها أبت إلا أن تسجل عليه مبلغ مائة ألف ليرة لترجع إليه ، رجعت إليه شكلا وأقامت عليه دعوى واتفقت مع المبلّغ ، وأخذت التبليغ من مبلّغ المحكمة ولم تبلغه لزوجها ومضت مدة الدعوى وأصبح الحكم قطعيا ، ثم سيق الزوج إلى السجن بتهمة التخلف عن دفع المهر المقدم . هكذا مجريات القضاء ، فلما علم ذلك حاول قتلها وقتل أمها وأختها في ليلة واحدة وقتل نفسه ، ولكن إصابتهم لم تكن قاتلة فأخذوا للمستشفى ونجون الثلاث من الموت الأم وابنتها وأختها وهو أصبح تحت الثرى ، ليس للإنسان سلام

إذا تــزوج إمرأة أعجبته من مكان ساقط فدمرته .هذه قصة وقعــت هــنا في دمشق قبل ستة أشهر . أما إذا التزم أحدنا شــرع الله عز وجل فإنه سبحانه يبارك له في زواجه وفي عمله وفي رزقه وفي صحته وفي أولاده يهديهم سبل السلام

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

[الإسراء: ٩]

" فَمَن اتَّبع هُداي فلا يَضِلُّ و لا يَشْقى "

[طه : ١٢٣]

يجب أن تعرف أن السلامة كلها أن تكون مع الله . السلامة كلهــا أن تكون وفق أمر الله . السلامة كلها في معرفة الله وفــي عبادته ، و في فهم كتابه ، وفي تنفيذ شرعه ، و في الالتزام بما أمر .

الآن وردت كلمــة الســلام فــي القرآن بمعنى آخر قال الله تعالى :

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ

[يونس : ٢٥]

ما هي دار السلام ؟ الجنة ليس فيها نغص ولا حسد ولا فيها مرض ولا فيها قلق ولا فيها خوف ولا فيها منازعة ولا فيها حروب ولا فيها شيء من هذا كله .

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

[يونس : ٢٥ــ ٢٦]

هذه دار السلام ، هذا معنى آخر . السلام ورد في آية أخرى قال :

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾

[الواقعة : ٩٠ــ ٩١]

الله سبحانه و تعالى يخبرك عن سلامة هؤلاء ، يقولون : نحن في صحة جيدة وفي سعادة كبرى ، إن أصحاب اليمين يكونون في سلام في الجنة . ورد أيضا في قوله تعالى :

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

[مريم : ١٥]

قال بعض العلماء واسمه سفيان ابن عُيَيْنَة : أوحش ما يكون العبد في ثلاثة مواطن ، يوم وُلِد . كان في الرحم

مسرورا ومرتاحا من المتاعب والمشاكل وخرج إلى الدنيا ، طـبعا هــو انــتقل مــن مكان ضيق إلى مكان واسع ولكي يألف الدنيا يبكي فورا ، ثم يوم يموت يدع كل شيء زوجته و أولاده وبيــته وغــرفة نــومه ومكتبته ومركبته ومحله التجاري وعنده يوم في الأسبوع يجتمع فيه مع أصحابه ، له رغباته وميوله ، فلما توقف قلبه يأخذونه إلى القبر ، خرج بلا عودة وترك كل ما ذكرناه آنفا .

هــو الــذي زيَّــن البيت ورتبه وعنده مكتبته الخاصة وغــرفته الخاصة يضع فيها حاجاته الشخصية بعض الهدايا المهــداة إليه يتمنى أهله أن يفتحوا درجه فلا يسمح لهم في حياته وعندما يسلم الأمانة يفتحون الدرج ويأخذون السيارة ويفــتحون المحل ويرتبون ويبيعون و يشترون هكذا تجري الوقائع فلذلك ويوم يموت ويوم يبعث حيا

قالت : يا رسول الله أيعرف بعضنا بعضا يوم القيامة ؟

قــال : نعــم يا أم المؤمنين إلا في ثلاثة مواطن ، عند الصراط وعند الحشر وإذا الصحف نُشِرَت .

فتقع عين الأم على ابنها تقول له : يا ولدي ألم أجعل لك بطني وعاء وصدري سقاء وحجري وطاء هل من حسنة يعــود علــي خيرها ، يقول : آه يا أماه إنني أشكو مما أنت مــنه تشكين لا أستطيع ، قال ربنا عن سيدنا يحيى : وسلام

عليه يوم ولد ، أصعب يوم لديه ومثل ذلك ويوم يموت ويوم يبعث حيا . فأمنه الله إذ قال : " و سلام عليه "

فإن الإنتقال من بيت لبيت صعب فقد ألِف جيرانه وألِف إخوانه وأحبابه والإنتقال إلى بيت آخر،فلذلك

وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾

[مريم : ١٥]

الآن ورد كلمة سلام في القرآن بمعنى آخر قال :

" وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما "

[الفرقان : ٦٣]

شاهد شخص سيدنا عليا في المنام فقال له : سلاما سلاما ، استيقظ الشخص وهو سعيد جدا ، وروى ما رأى على أحدهم فقال له : تفسير منامك أنك جاهل لقوله تعالى : " ما معنى سلاما " ؟ هناك أشخاص أصلحهم الله صالحون إذا خاطبهم شخص يقولون له سلام ، ما سلام هذه ؟ العلماء قالوا معنى سلام : تكلموا كلاما لا عيب فيه لا خطأ فيه لا جهل فيه لا قسوة فيه لا تطاول فيه لا إهانة فيه لطيف رقيق . إن كلمة " سلام " وحدها لا تفيد ذلك الشخص الذي لعله أساء وأخطأ بل على الصالحين أن يعظوه وينصحوه .

" ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك "
[آل عمران : ١٥٩]

لا غلط فيه ولا جهل ولا مبالغة ولا كذب ولا تدليس ولا إحتيال ولا غش ولا معاني مبطَّنة .

" وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " [الفرقان : ٦٣] لـيس معنى ذلك : قل له سلام ، قالوا : كلاما سليما من كل عـيب من كل خطأ من كل جهل من كل قسوة من كل تطاول مـن كـل عدوان من كل إهانة هذا معنى " سلاما " . أيها الأخـوة : وبعـد ، فما واجب المؤمن بالنسبة لهذا الإسم ؟ المؤمن الحق من سلم من المخالفات الشرعية سِرا وعلنا ، وبرئ من العيوب ظاهرا وباطنا ، قال الله عز وجل :

وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ

[الأنعام : ١٢٠]

أي أن يكون سليما من الذنوب بريئاً من العيوب ولتكن علـى هـذا النحو علاقتنا باسم السلام ، ليتحقق لنا معنى الآية الكريمة :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[الشعراء : ٨٨ـ٨٩]

القلب السليم ، هو القلب البريء من الشك والشرك ،

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾

[الحجرات : ١٥]

فالسليم من برئ قلبه من الشك والشرك ومن النفاق والشقاق والرياء والمداهنة ومن سلمت نفسه من الشهوات وسلم عقله من الشبهات ، لا شبهات في عقله ولا شهوات في نفسه وألقى الشك والشرك والنفاق والشقاق والرياء والمداهنة جانبا بل تحت قدميه . الآن هذا واجب المؤمن من حيث اسم السلام أما ما حقه على الله هذه أهم نقطة في الدرس :

أنت آمنت وفكرت في الكون وتعرفت إليه واستقمت على أمر الله وحضرت مجالس علم وضبطت شهواتك وضبطت جوارحك وغضضت من بصرك عن محارم الله نزهت أذنك عن سماع الغناء لم تختلط مع النساء الأجنبيات وكنت ملتزما ولم تخالف الشرع فما لك عند الله بعد ذلك ؟؟؟ اسمعوا ما قال العلماء في هذا الموضوع قالوا : " أي عبد طبق أمر الله عز وجل و أقبل عليه فحق المؤمن على الله أن يسلّمه . من ماذا ؟ قال : أن يسلّمه في الدنيا من المؤذيات وأن ينيله ما فيها من الخيرات لك عند الله حق ، هناك مصائب خطيرة جدا و أنت مؤمن والمؤمن حساس وربنا عز

وجـل بعــلاج لطيف بينك وبينه ينبهك ، ويكف عنك العذاب المهين العذاب الأليم العذاب العظيم كما يدفع فقرا يكاد يكون كفــرا أو شــقاقا أو خــيانة زوجــية أو قــتلا ، فالمــؤمن حيـنما يستقيم على أمر الله يسلمه من المؤذيات وينيله من الخيــرات ، الدنيا كلها متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة زوجــته صالحة ، أولاده أبرار ، رزقه في بلده سمعته طيبة نظـيفة وأخلاقــه عالية محمود السيرة و محبوب هذه من ثمــرات الاســتقامة ، الله عز وجل اسمه السلام يسلمك من المــؤذيات و يمنحك الخيرات هذه سلامة الدنيا . فما سلامة الدين ؟ اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، قال : ســلامة الــدين في ثلاثة مقامات ، في مقام الشريعة ومقام الطريقة ومقام الحقيقة .

فــي مقــام الشــريعة يسلم عقلك من البدع والشبهات ويســلم قلبك من الهوى والشهوات ، لا يوجد في عقلك بدع ولا أغلاط كبيرة لا عقيدة زائغة ولا عقيدة فاسدة يسلم عقلك مــن الــبدع والشــبهات ويســلم نفسك من الشهوات ومن الهوى .

وأمــا في مقام الطريقة فعقله أمير على شهوته وعلى غضبه وليس أسيراً لهما . عقله هو الأمير ينقاد هواه لعقله ولا ينقاد عقله لهواه هذا سلامة في مقام الطريقة .

وأما سلامتك في مقام الحقيقة فلا تلتفت إلا إلى الله .

لذلك المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويده

قــال بعض العلماء : كيف يسلم الناس من لسانه ويده وهو لم يسلم من نفسه فهو أسير نفسه وأسير شهواته .

و الحمد لله رب العالمين

******

المؤمن

المؤمن

أيهـا الأخـوة المؤمـنون : إن الإيمان بوجود الله عز وجـل ، دون أن تتعرف إليه يعني أنك لم تفعل شيئا ، لأن الشيطان نفسه ماذا قال حينما خاطب الله عز وجل ؟ قال : " ربّ فَبِعِزَّتِك " فعبارة الشيطان تدل على إيمانه بالله ، ورغم ذلـك فهـو رأس الكفر كله . فأن تؤمن بوجود الله فقط من دون أن تتعـرف إلـى أسـمائه ، و ربوبيته ، و ألوهيته ، و أسـمائه الحسـنى ، وصفاته الفضلى ، و مناحي عظمته لـيس كافـيا ، أن تؤمن بالله خالقا و كفى الأمر ليس كافيا أيضا ، فإنّ ربنا سبحانه وتعالى قال :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

[العنكبوت : ٦١]

إذن من لوازم الإيمان بالله ومما يجب على المؤمن ، أن يتعـرف إلى أسماء الله الحسنى ، أي أحيانا تعرف أن فلانا جار لك غير كاف لكن تحب أن تعرف عنه تفصيلات ، تعرف عـنه شيئا من علمه ، وشيئا من أخلاقه ، من أعماله ، من تفوقه ، هذا فيما بين الناس ، فلا تكون المعرفة صحيحة إلا

إذا عرفت الصفات و الأسماء ، فلذلك من لوازم الإيمان بالله عز وجل أن تتعرف إلى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى

والحقيقة أن الكون كله تجسيد وإظهار لأسماء الله الحسنى ، فكل أسماء الله تبدو لك من خلال الكون ، و لكننا لا نستطيع أن ندرك ذات الله عز وجل لقول الله سبحانه :

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

[الأنعام : ١٠٣]

أن ترى ذات الله مستحيل ، لكنك تستطيع أن تتعرف إلى ذاته من خلال خلقه ، فالكون يدل على المُكوِّن ، و النظام يدل على المُنظِّم ، والتسيير يدل على المسيِّر ، والماء يدل على الغدير ، والأقدام تدل على المَسير ، والبعر يدل على البعير ، أسَمَاء ذات أبراج ، وأرض ذات فِجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

فيا أيها الأخوة الأكارم لماذا يجب أن نعرف الله ؟ كي نعبده ، ولماذا نعبده ؟ كي نسعد بقربه في الدنيا و الآخرة لأن الله سبحانه وتعالى في الأصل خلقنا ليسعدنا، ولا نسعد إلا به ، ولا نسعد إلا إذا كان عملنا طيبا ، ولن يكون عملنا طيبا إلا إذا تعرفنا إلى عظمته ، لذلك قال ربنا عز وجل في وصف بعض أهل النار : " إنه كان لا يؤمنُ بالله العظيم "

(الحاقــة : ٣٣) أي يجــب أن تعــرف عظمة الله ، فإن لم تعــرف عظمة الله فلابد من أن تخترق حدوده ولابد من أن تــتجاوز أوامره ، أما إذا عرفت عظمة الله عز وجل تعاملتَ معــه بما يليق بجلاله وكماله. وكنت أضرب لكم أمثلة كثيرة مــنها : جــاءك أمر مكتوب والتوقيع للضابط فلان بنجمة واحــدة ، إن احترامك لهذا الأمر على قدر هذه النجمة وإذا كــان نجمتــين قــد يكون الاحترام أكثر ، وإذا كان نسراً أو نســرين .. إلخ .... كلما علت الرتبة يصبح الاهتمام أكبر ، فكــيف إذا كان قائد الفرقة أعطاك أمراً مثلا . فالقصة كلها يجــب أن تعرف من هو الله ، كي تطيعه وتقبل عليه وترجو مــا عنده ، وتخاف وعيده ، لن تخاف وعيده ولن ترجو ما عــنده ولن تقبل عليه ولن تسعى إليه ولن تستسلم لقضائه ولن ترضى بحكمه إلا إذا عرفته ، إذا عرفته رضيت بقضائه ورأيــت حكمــة ما بعدها حكمة ، ورأيت عِلما ورأيت رحمة ورأيــت لطفا ورأيت عطفا ورأيت عدلا ، فكلما عرفته كلما استســلمت لــه وأقــبلت عليه وخضعت له وائتمرت بأمره وانتهــيت عــن مــا نهى عنه ، أقبلت على عبادته وخدمت عــباده ، فــنحن يجــب أن نعرف الله ، أما أن تقولوا : الله خالــق الكون ، هذه معرفة بسيطة لا تقدم ولا تؤخر ، وهذه المعــرفة لا تحجــزك عــن محــارم الله ، هــذه المعــرفة فــي مجمــوعها لا تحملــك علــى طاعــة الله ، تقول الله خالــق الكــون ولك مخالفات كثيرة ، تقول الله خالق الكون

ولــك انحرافات كثيرة ، تقول الله خالق الكون ولك طموحات دنــيوية كثيــرة ، أمــا إذا عــرفت مــن هو الله وهذا هو الهــدف مــن هــذا الــدرس وأن تــزداد معرفتنا بالله لأنه كلمــا ازدادت هــذه المعــرفة كلما ازداد الخشوع و الطاعة و الخــوف و الإقــبال و الاستســلام و الرضا و الانصياع و الفــداء و التضــحية و الإخــلاص ، أي إن حجــم عملك بحجم معرفتك و حجم سعادتك بحجم عملك أي إن الدين كله يمكــن أن يُلخَّــص بــثلاث كلمــات : معــرفة ، و طاعة ، و ســعادة ، علــى قدر معرفتك تطيع الله عز و جل و على قدر طاعتك تسعد به .

إذن هــذه الأسماء الحسنى لا ينبغي أن نعرف تعريفاتها الدقــيقة فقــط بل يجب أن نملك عشرات بل مئات بل ألوف الأدلة النابعة من الكون على هذه الأسماء ، لذلك من علامة معــرفتك بــالله عــز وجل أن ينطلق لسانك في الحديث عن أسمائه ساعات طويلة ، حدثنا عن اسم اللطيف أو عن اسم الــرحيم أو عن اسم الملك أو عن اسم القدوس أو عن اسم الســلام ، فالذي أرجوه وأتمناه على الله عز وجل أن يملك أحدكم بحثا ذاتيا وأن يكون له جولات في هذا الكون ليكتشف مــن هذا الكون الأدلة الناصعة على أسماء الله والأولى أن نبقــى نجول في كل فترة أو في كل حين مع اسم من أسماء الله الحسنى ، فيا أيها الأخ الكريم : إن وجود الدماغ في هذا الصــندوق العظمي هذا من اسم السلام ، و النخاع الشوكي

فــي العمــود الفقري من اسم السلام ، ومعامل كريات الدم الحمــراء فــي نقــي العظام من اسم السلام ، والقلب داخل القفص الصدري من اسم السلام والعين في محجر العين من اسم السلام و الرحم في حوض المرأة من اسم السلام والجلد مــن اســم السلام والشريان في داخل العضلات والوريد في خارجهــا مــن اســم السلام وأول مولد كهربائي في القلب والثانــي والــثالث فــإن تعطل الأول يعمل الثاني وإن تعطل الثانــي يعمــل الثالث هذا من اسم السلام وكلما سد شريان فتح شريان آخر هذا من اسم السلام و التئام العظام بعد طول نــوم مــن اســم الســلام و التئام الجروح من اسم السلام هــذه أدلــة كثيــرة فــي خلــق الإنسان ، ومثال آخر من عــالم النــبات : الشـجرة إذا انقطــع الماء عنها تستهلك مــاء الأوراق أولا ثــم مــاء الفــروع ثم ماء الأغصان ثم ماء الجذع ثم ماء الجذر من اسم السلام ولكل حيوان مايقيه الحــر والقــر صــوف الخروف من اسم السلام ، أي أتمنى علــيكم أن يجــول هذا الفكر في الكون حتى تنتهوا من هذه الجــولات إلى معرفة عميقة أو إلى مزيد من معرفة أسماء الله الحسنى .

ولو تكلم آخر على اسم السلام ، فقال هناك قصة سيدنا موســى أيضا من أفعال الله عز وجل عن اسم السلام لقوله تعالى :

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا
تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾

{القصص }

لكان هذا المتحدث مصيبا ومنبها لغيره ومعلما .

وهـــذه آية قرآنية تؤكد أيضا اسم السلام الموجه لسيدنا إبراهيم قوله تعالى:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

{الرعد :١١ }

والآن نعود إلى اسم الله :وهو المؤمن.

يا أيها الأخوة الأكارم :

لا يرضـــى ملك من الملوك أن يُسمَّى أحد أفراد رعيته باسمه وهو (الملك) من بني البشر يأكل كما نأكل ويشرب كمـــا نشــرب ويــنام كمـــا ننام وله جسم ويعطش ويجوع و يغضــب ويــثور و يمرض ويموت أي لا فرق بين الملك

وبـــين أحـــد الرعايا عنده من حيث التكوين الجسمي : ومع ذلـــك تأبـــى عزته و تأبى كبرياؤه أن يسمِّي أحد من أفراد رعيته اسمه باسمه ، ولكن الله سبحانه وتعالى سمانا بعد أن عـــرفناه وطبقنا أمره سمانا مؤمنين والمؤمنون جمع مؤمن وسمى نفسه المؤمن وذلك بقوله تعالى :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾

[الحشر: ٢٣]

لكن هذا الاسم يحتاج إلى وقفة ، الله عز وجل مؤمن ، ولكـــن مـــؤمن بماذا ؟ نحن مؤمنون بالله ، ونحن مؤمنون برســـول الله ، مؤمـــنون باليوم الآخر ، الله عز وجل مؤمن بمـــاذا ؟ قالـــوا : المؤمن اسم فاعل من فعل أمن يأمن أمْنا وأمانا ، فعل أمن له معنيان : المعنى الأول التصديق فعندما يقرأ الإمام سورة الفاتحة وعند انتهائه يقول المصلين جميعا آمـــين أي يـــارب نحـــن نصـــدق مـــا قال هذا الإمام ونحن معـــه ، فإمـــا مـــن التصديق وإما من الأمن ، فعل أمِن ... فمعنـــى التصـــديق تشـــرحه آية قرآنية،و تؤكد على ذلك ، وهي :

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾

[يوسف : ١٧]

هـــذا من التصديق ، وأما المعنى الآخر فمن الأمن قال تعالى :

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾

[قريش : ٤]

فاســـم الله تعالـــى المؤمن مأخوذ من التصديق أو من الأمن ؟ وكيف نفهم هذا الاسم بالمعنى الأول ؟

الحقيقة الإنسان قد يعرف ذاته وقد لا يعرف ذاته ، فإذا لم يعرف ذاته وخاض في شيء ولم يكن من مستواه يخسر خســـارة كبيرة ، نقول : آه لو عرفت ما عندك لما دخلت في هذه الورطة ، فهذا الذي يقدم على شئ ليس في مستواه لا يعـــرف حقـــيقة مـــا عنده لا يعرف حقيقة إمكاناته ، هذا لا يعـــرف ذاتــــه أمـــا هناك من يعرف ذاته حق المعرفة فتأتي الأفعـــال كلهـــا وفق ما عنده ، هذا مثل ضربته لكم لتوضيح الحقائـــق فمـــن أول معانـــي المؤمن أن الله سبحانه وتعالى

يعـرف ذاته ويعرف أسماءه ويعرف كل ما عنده هذا معنى أول .

المعنى الثاني : أن الله سبحانه وتعالى يصدق رسله ، بعـث النبي محمدا رسولا ، صدقه أي جعل الناس يصدقونه بالمعجـزة ، بعـث موسـى نبيا وصدقه ، أي جعل الناس يصـدقونه بالمعجـزة ، أرسل سيدنا عيسى رسولا فأعطاه معجـزة كي يصدقه الناس بها ، إذن المعنى الثاني صدق . أي كـل شـيء وعـد الله بـه المؤمنين يأتي فعله مصداقا لـوعده ، وعدك بالحياة الطيبة فإذا عشت الحياة الطيبة فقد صدقك بمعنى أن فعله جاء مصداقا لوعده ، أن يأتي فعل الله عـز وجل مصداقا لوعده يصدق أنبياءه أي يعطيهم الدلائل يجعل الناس يصدقونهم يعطي المؤمن دلائل ، أنت أيها الأخ الكـريم تقـرأ القـرآن ما لذي يجعلك تَتشبث به وتتعلق به وتتمسـك به ؟ لأن الأحداث التي تعيشها تأتي كلها مصدقة لهذا القرآن ، إذا استقمت في البيع والشراء شعرت براحة و وفر الله لك دخلا طيبا وساق الناس إليك وإذا كنت أمينا رفع الله اسمك بين الناس ، فأي وعد وعدك الله به إذا أنت طبقت مـا أنت مأمور به تأتي الحوادث كلها لتصدق لك هذا الوعد أو لترى أن هذا الوعد صادقا ، فمن معاني المؤمن أنه يجعل أنبـياءه مصـدَّقين يدعمهم بالمعجزات يجعل قرآنه مصدقا بمعنـى أنـك إذا آمنت به وعملت عملا صالحا أذاقك الحياة الطيـبة ، ما الذي جعلك تصدق بكلامه هذه الحياة الطيبة ،

المعيشة الضنك تجعلك تصدق بهذه الآية ، إذا اهتديت بهدى الله عز وجل في كل مناحي حياتك ترى أن الحوادث كلها تصدق ما جاء به القرآن الكريم ، إذن الله عز وجل مؤمن أي يجعل عباده مصدّقين ، لأن أفعال الله عز وجل كلها تأتي مصداقا لوعده ولوعيده ، قال :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

[الحج : ٣٨]

لابد من أن تشعر بأن هناك حالات كثيرة تواجهك فيقيض الله لك إنسانا لا تعرفه يدافع عنك بإلهام من الله عز وجل ، وحينما يقول الله عز وجل :

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعَۢاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

[طـــه : ١٢٣]

تشعر أنك مهتد وأن لك رؤية صحيحة وأن لك بصيرة نافذة وأن تفسيرك للحوادث صحيح لأنك اتبعت أمر الله عز وجل فجاءت الحوادث مصداقا لما قاله الله عز وجل .

هـذا معنـى من معاني المؤمن ، الحقيقة كما قلت قبل قلـيل أروع ما في الدين أنه يعطيك تفسيرا للكون و الحياة و الإنسـان ، و مهما عشت و مهما تبدلت الظروف و مهما ظهـرت معطـيات جديدة و مهما ظهرت أحداث جديدة كلها ضمن تأويل الله عز و جل لهذا الكون و الحياة و الإنسان ، فأنـت حيـنما تقـرأ القـرآن لن تفاجأ بحادث لم يرد معك بالقـرآن ، لـو مثلا أعطيت تفسيرا لظاهرة من الظواهر قد تفاجـأ بعـد حين أن هناك حدثا أبطل نظريتك ، وما أكثر ما جـاء العلـم بنظريات ثم جاءت الحوادث فأبطلتها ، أما إذا قرأت القرآن وهو من عند الله عز وجل لن يأتي حادث يكذب مـا قرأت في القرآن، هذه نقطة دقيقة جدا فالقرآن جاء قبل أربعة عشر قرنا والعلم تطور تطورا كبيرا جدا ، و معطيات القـرآن صحيحة وثابتة منذ أن خلقت البشرية و إلى ما قبل خمسـين عامـا في كفة ومنذ خمسين عاما إلى الآن حدث تطـور علمي رهيب جدا تجده في الكفة الأخرى ، و مع كل هـذا التطور فليس في العلم حقيقة تخالف هذا القرآن معنى ذلـك أنـك إذا قرأت القرآن تطمئن ، الأمور وحوادث الكون و المجرات و الأنواء و النبات و الحيوان والإنسان كل هذه الحـركات تأتي مصدّقة لكلام الله عز وجل ، فالله مؤمن أي كلامه يجعلك تصدقه لأن أفعاله تصدق كلامه ، هذا معنى من معاني المؤمن .

و إليك معنى آخر : هو أن الله سبحانه وتعالى يهب الأمن للإنسان ، كيف ؟ هنا المعنى الدقيق ، فلو أن الحديد تارة يكون قاسيا وتارة يكون لينا تنشئ البناء وأنت خائف ، لعل هذا الحديد بعد حين يصبح لينا فيتداعى البناء ، لقد جعل الله للحديد خصائص ثابتة دائما فإذا وضعت هذا الحديد مع الأسمنت وأشدت البناء وأنت في الطابق التاسع تنام مطمئن ، ما الذي جعلك تطمئن ؟ ثبات صفات الحديد.. فلو أن صفات الحديد تبدلت لانهار البناء .

فيمكن أن نقول : ثبات خصائص المواد هو الذي يهب الأمن للناس ، ثبات حركة الأرض ، هذا الجامع شيد منذ سنوات عديدة فلو أن هناك اهتزاز أثناء الدوران كل هذه الأبنية سوف تنقض وتقع ، فالأرض تتحرك بسرعة ٣٠ كيلو متر بالثانية و هناك سكون رهيب ومن أجل أن تعرف قيمة السكون الحركي تأتي الزلازل أحيانا على مدينة بأكملها ويصبح عاليها سافلها بثوان قليلة ، إذن حركة الأرض مع سكونها واستقرارها مصداقا لقوله تعالى :

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

[النمل : ٦١]

أعطاك الأمان ، اشتريت بيتا في الطابق العاشر ، تعرف أنـــه بــيت مستقر ، أما لو كان هناك اهتزاز ينتهي الأمان كلـــه . ولا تســتقيم الحياة لو لم يكن هناك ثبات ، فلو انك اشتريت بذورا تُنبت نوعا من النبات ، وقمت بزراعة البطيخ مـــثلا وكان الإنتاج بدورة لاختلطت الأمور وفسدت الحياة ، فثبات البذور حيث كل بذر له خصائصه نعمة ومنة وأمان ، هناك شيء آخر غير الثبات ، هناك آلاف الأنواع لكل نبات: هـــذا الــنوع إنتاجه مديد ، وهذا النوع إنتاجه مبكر ، وهذا الـــنوع إنـــتاجه صناعي ، هذا للنقل ، هذا للاستهلاك ، هذا للمائدة ، هذا يقاوم أمراض معينة .... فحتى البذر نفسه له خصـــائص و الخصـــائص ثابتة ، ما لذي يهبك الأمن وأنت تـــزرع ؟ ثـــبات الخصـــائص . إذن يمكن أن نقول إن ثبات خصـــائص المـــواد هو الذي يهب الإنسان الأمن ، الشمس تشرق دائما من الشرق لا يوجد مفاجآت ، كما أننا لا نحتج إلـــى دعاء لكي تُشرق الشمس : ، يا رب الشمس لم تظهر الـــيوم أظهرها لنا! فقد طمأنك ربك ، الشمس دائما تشرق ودائما تغيب و الأرض دائما تدور و يكفي أن تأخذ ورقة من الـــتقويم (النتـــيجة) و أن تقـــرأ : الفجر الساعة الخامسة وثمانـــي عشرة دقيقة و الشمس الساعة السادسة و ثلاثين دقـــيقة ، هذه منذ متى ؟ منذ خمس أو ستين عاما و لمائة سنة قادمة ولألف سنة قادمة و لمائة ألف سنة قادمة إلى أن تنتهـــي الدنـــيا ، دِقـــة ما بعدها دِقة على مستوى الدقائق

والثوانـــي . أرض بأكملها تدور حول الشمس وهناك نجوم تضـــبط علـــيها الساعات هذه الساعات الشهيرة في العالم . يقـــول القائـــل ضـــبطتها علـــى " بيج بن " ، هذه الساعات الشهيرة كيف تُضبط ؟ إذا كانت هذه الساعات التي في أيدينا تضبطها على هذه الساعة الشهيرة ، وهذه الساعة الشهيرة كيف تضبطها ؟ تضبط على حركة نجم من النجوم .

إذن ثبات الدوران ، ثبات السرعة ، ثبات الحركة، ثبات الزاوية ، هذا يعطي الإنسان النظام الثابت يجعل فيه الأمن ، إذن مـــن الممكن أن نقول : صفات المواد الحديدية ثابتة ، شـــخص اشترى إسورة ذهبية ودفع ثمنه عشرين ألفا ، بعد فتـــرة تـــبدل نـــوع المعدن أصبح تنكا . والله هذه مشكلة ، الـــذهب ذهـــب والتـــنك تـــنك والحديد حديد والفضة فضة والقصدير قصدير والألمنيوم ألمنيوم ، ثبات صفات المعادن هـــذه تهـــب الأمـــن للإنسان هذه نعمة لا نعرفها نحن لأنها مألوفة ، يقولون : شدة القرب حجاب لأن هذه النعمة مألوفة جدا كأنها لم تكن مع أنها نعمة عظيمة .

إذن من أسماء الله عز وجل أنه مؤمن فهو مؤمن إذا قرأت كتابه جاءت الحوادث كلها مصداقا لكلامه ومؤمن يهب الأمن للإنسان عن طريق ثبات صفات المواد .

ثـــبات الأنظمـــة ، قانـــون الحركة ثابت ، التمدد ثابت، قوانـــين الجسم كذلك تجد طبيبا في آخر الدنيا يصنع دواء يستعمل في طرف آخر من أطراف الدنيا هذا الدواء يؤثر في

هذا الجسد ما معنى ذلك ؟ أي أن كل أجساد بني آدم من بنية واحدة ، فهناك أمن وأمان . مثلا القلب ؛ تجد طبيبا ذهب إلى أمريكا درس عن القلب ، لو ذهب إلى إفريقيا إلى آسيا إلى أو فيانوسيا إلى أوروبا إلى أي مكان في العالم وفتح قلبا وجد شرايينه وأعصابه ومراكزه الكهربائية كلها بدقة تامة . فلكي تُعلّم الطب يكفي أن تشرح إنسانا واحدا فكل إنسان إذا عالجته تكون بنيته وأعصابه وأوردته وشرايينه و عضلاته وفق هذا النموذج ، ومع ثبات الأنظمة أيضاً ثبات خصائص المواد ، أحيانا الله عز وجل يعطي للمواد مضادات ، النار محرقة والماء يطفئ النار ، أي أنه أعطاك لكل شيء خطر ،ما يقضي على هذا الخطر، كل شيء ، الأدوية ! وباء نباتي هناك أدوية بإمكانها أن تقضي على هذا العنكبوت أوَ على هذا الفطر أو على هذه الحشرة ، فالله عز وجل من أسمائه المؤمن أنه يهب الأمن للإنسان .

لقد سمى العلماء الألم : جهاز إنذار مبكر ، فالإنسان يتلف سِنَّهُ جزئيا فيتألم ألما شديدا فيذهب إلى الطبيب فيصون هذا السن ، لو لم يكن هناك عصب يُشعِرك بالألم،لما كان هناك وقاية لهذا السن ، إذن الألم من أجهزة الإنذار المبكر. فكل خطر من أخطار الدنيا جعل الله له وقاية .

الإنسان إذا استعان بالله عز وجل يقيه من زلات المعاصي لقوله تعالى :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾

[الفاتحة : ٥]

لـذلك قـال الأمام الشافعي : "والله لو أن السماء من نحاس والأرض من رصاص والخلق كلهم عيالي لما خشيت فقـرا " ، والحقـيقة لو أردت أن ترى الفرق الجوهري بين حـياة المـؤمن وحـياة غيـر المؤمن ، لوجدت أن الصفة الأساسية هي الأمن قال تعالى:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾

[الأنعام : ٨١]

تجـد قلـوب أهـل الدنيا فارغة ، عُرضة للمخاوف ، عرضـة للمقلقـات ، عرضـة للذعـر ، للخـوف ، لتوقع المصـيبة ، لكـن ربـنا عـز وجل إذا آمنت به ملأ قلبك إطمئنانا ، ملأ قلبك استقرارا ، ملأ قلبك رضى بقضائه ، ملأ قلـبك معرفة بكماله ، هذا كله من أسماء المؤمن . وهناك أمـر آخر : كيف تأمن عذاب الله في الآخرة ؟ أعطاك الكون و أعطاك العقل و أعطاك الفطرة و أعطاك الشهوة و أعطاك

الاختــيار و أعطــاك القــوة و هذه كلها مقومات النجاة في الآخــرة ، أحيانا تشعر أن الله عز وجل إذا أقبلت عليه تأمن القلق و تأمن المرض و تأمن الضيق و تأمن التعب و تأمن الخــوف فــالله ســبحانه وتعالى مصدر أمن وأمان للبشر ، بعــض الجهات تقلقك ولكن اسم الله المؤمن ، أي إذا سرت معه واتبعت أمره فأنت في أمن وسلام هذا المعنى الذي يليق بــالله عــز وجل فيما يتعلق بالمؤمن ، هو يعرف ذاته يوجد إنسان لا يعرف إمكاناته بالضبط فقد يقدم على شيء ثم يندم يقول لم أكن أعلم ، لكن ربنا عز وجل أسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها فُضلى وهو يعرفها كلها.. هذا المعنى الأول ، مؤمن بذاته . كما أنت مؤمن به هو مؤمن بذاته . "

مــن النــاس مــن يــدري ويدري أنه يدري فهذا عالِم فاتــبعوه ، و مــنهم من يدري ولا يدري أنه يدري ... فهذا غافل فنبِّهوه ، ومنهم من لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري فهــذا شيطان فاحذروه ، ومنهم من لا يدري ويدري أنه لا يــدري فهذا جاهل فعلّموه" . أنا أريد منهم من يدري ويدري أنــه يــدري ، أن الله عز وجل مؤمن ، والمعنى الثاني من التصــديق : أي شــيء وعــدك الله سبحانه وتعالى به في القــرآن فــزوال الكون أهون على الله من أن تأتي الأحداث مخالفــة لمــا وعــدك به ، وعدك بالنصر والنصر واقع لا محالــة ، وعدك أن يدافع عنك ، وعدك أن يحفظك ، وعدك أن يــرزقك ، وعــدك أن يطمئــنك ، وعــدك بالأمن وعدك

بالتمكـــين وعدك بتمكين دينك وعدك بالاستخلاف وعدك أن يكـــون معـــك ، قلت لكم في درس سابق أتمنى على الله عز وجـــل أن تستنبط من كتاب الله الآيات التي هي ثمار الإيمان فـــي الدنيا ، فكلما قرأت آية رأيت الحوادث جاءت لتحققها ، إذن فكلام الله حق ، الأفعال كلها تصدِّق كلام الله عز وجل ، هذا المعنى الثاني .

المعنى الثالث أنه يهب الأمن ، وبشكل بسيط نذكر العين فـــإذا قدت مركبتك في النهار تشعر بأنك مطمئن لأن الرؤيا بعـــيدة جدا ، أما في الليل فيوجد الانبهار والأضواء فتشعر بقلـــق . فالقـــيادة فـــي اللـــيل يرافقها القلق وفيها مفاجآت فالضـــوء الموجـــود في المركبة لا يكشف كل شيء وأمده محدود فكلما كانت الرؤية أطول كان الأمن أكثر إذن أعطاك العـــين كي ترى طريقك ، أعطاك الأذن فإذا وجدت حركة في اللـــيل فـــالأذن تكشـــفها . إذن السمع المرهف أحد وسائل الأمـــان ، العين أحد وسائل الأمان ، الشم إذا أصدر الطعام رائحـــة كريهة معنى هذا أن الطعام فاسد فجعل الأنف فوق الفـــم كـــي يحصـــل لك الأمن الغذائي ، أعطاك يدا تدفع بها الضـــر ، أعطاك رجلا تنتقل بها من مكان إلى آخر هذه كلها لتوفير الأمن لك ، وهذا معنى آخر من معاني المؤمن .

الحقـــيقة كـــل درس كمـــا تلاحظـــون نسأل أنفسنا هذا السؤال ، يا رب أنت مؤمن أنا ما علاقتي بهذا الاسم ؟ أنت مـــؤمن بأن كل الحوادث وكل الأفعال جاءت مصداقا لقرآنك

شـــيء مريح ..هذا معنى ، والشيء الثاني وهبتني الأمن يا رب ، وهبتـــنا الحـــواس ، وهبتنا الأجهزة ، ثبات خصائص المـــواد وثـــبات الأنظمـــة ، قال لي طبيب قلب منذ يومين : لو كان قلب إنسان نحو اليمين وقلب إنسان آخر نحو اليسار وقلـــب بمكـــان آخر ، درس هذا الطبيب القلب بأمريكا نحو اليســـار وعند إجراء العملية وجد القلب على اليمين هذه لم يدرســـها ! فبنـــية واحـــدة للبشـــر كلهم حتى على مستوى الأعصـــاب الدقـــيقة جدا وهذا يعطينا قدرا كبيرا من الأمن ، وكمـــا قلت قبل قليل الأرض في دورتها حول نفسها دورانها ثابت ، فّي شروقها وغروبها ثابت ، لكن الأمطار لم يجعلها ثابـــتة جعلهـــا متبدلة هذا من أجل أن لا ننساه من أجل أن نصلي له من أجل أن نتوب من ذنوبنا ، ربنا عز و جل ثبت أشـــياء وحـــرك أشـــياء ، ثـــبت دورة الأرض حول نفسها و دورتهـــا حـــول الشمس و ثبت الشروق و الغروب وثبت القمـــر و ثـــبت الأنظمة و البذور و الخصائص و البنى هذه كلها ثبتها و جعل الرزق بيده، فجعل الرزق وسيلة كي تعود إليه كي تقبل عليه كي تتوب من ذنبك هذا معنى

السؤال الجديد : أن المؤمن ماذا ينبغي له أن يتخلق من أخـــلاق الله ؟ كمـــا قال ورد في الحديث : " تخلقوا بأخلاق الله ".

قالـــوا : أنت كمؤمن أول شيء يجب عليك أن تفعله هو أن تأتـــي أفعالـــك كلها مصداقا لأقوالك ، أنت كمؤمن حينما

يكـــون هناك ازدواج ، شيء داخلي وشيء خارجي ، شيء تعتقده وشيء تقوله ربنا عز وجل ماذا قال :

وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

[الأنعام : ١٢٠]

ظاهـــرك : أنت مستقيم : صلاة ، صوم ، حج ، زكاة ، لكــن باطــنك أحــيانا : الحسد ، الغيبة ، الكِبر ، النميمة ، الكــذب ، الحقد ، الضغينة هذه كلها من بواطن الإثم ، إذن أنـــت كمـــؤمن يجب أن يأتي عملك مصداقا لقولك بالضبط ، يجـــب أن تكون موحِّدا ، فلا يوجد ظاهر وباطن ، ولا يوجد ســـريرة وعلانـــية ، ولا يـــوجد موقف غير معلن وموقف معلـــن ، أنـــت مـــؤمن يجـــب أن تأتي أفعالك كلها مصداقا لأقوالك ، إذا أردت أن تتخلق بأخلاق الله وإذا أردت أن تكون بالمســـتوى الراقـــي يجـــب أنت تكون أفعالك كلها مصداقا لأقـــوالك.. هـــذه واحـــدة ، الشـــيء الثاني: يجب أن يأمنك الناس ، عن أبي شُريح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والله لا يـــؤمن والله لا يـــؤمن والله لا يؤمن ، قيل ومن يا رســـول الله ؟ قـــال : الـــذي لا يأمن جاره بوائِقه " صحيح البخاري...

هـنـاك أشـــخاص مخيفون إذا تكلمت كلمة مثلا لن تنام اللـــيل خوفا من عاقبتها ، والمؤمن مصدر أمن لا يمكن أن يأتيك من طرفه ضرر أو أذى أو مكيدة أو غدر أو قنص ... أبــدا ، فهــو مصـــدر أمان ، تنام ناعم البال مطمئن النفس مرتاح الضمير حتى ولو زلّت قدمك أمامه ولو تكلمت بكلمة غير لائقة أمامه لا يتخذ منك موقفا ، وفي الحديث القدسي : " يؤذينـــي ابن آدم" ، كيف يؤذيه ؟ يؤذيني " إذ يسب الدهر وأنـــا الدهر أقلّبه كيف أشاء" ومع ذلك تجد الناس يعصونه جهرا و هو يسترهم . والعبد ينسى وربي لا ينسى، يعصونه جهـــرا ويسترهم ويرزقهم ويحفظهم ... أحيانا هذا شأن الله مع عباده، فأنت كمؤمن أول صفة من صفاتك أن يأتي فعلك مصــداقا لقــولك و أن تلغي من حياتك الازدواجية : الظاهر و الــباطن ، العلانــية و الســريرة ، أن تكــون في جلوتك كخلــوتك ، هــذا المعنى الثاني أن يأمن كل الناس جانبك ، مثلا زوجت ابنتك لمؤمن لا تخاف أن يجيع ابنتك ولا تخاف أن يظلمهـــا ولا تخاف أن يفضحها ولا تخاف أن يضربها ، المـــؤمن مـــا يأتـــي من جانبه كله خير ، إن شاركت مؤمنا مرتاح ، لا تخاف أن يلعب بالحسابات ، يعمل لنفسه حساب خاص يعقد صفقة من وراء ظهرك لا تخاف ، أصلحت جهازا عند مؤمن لا تخاف أن يبدل هذه القطعة بقطعة أخرى وأنت لا تــدري ، يأخــذ القطعــة الجيدة ويعطيك القطعة السيئة ، يكــذب علــيك ، المــؤمن مأمون الجانب في صنعته ، في

حديــثه ، في عمله ، في مهنته ، في حرفته ، في زواجه ، في شَراكته ، هكذا المؤمن يُؤمن جانبه، عن أبي هريرة أنه قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم : المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنه الناس على دمائهم وأموالهم * سنن الترمذي

لا تخاف أن ينكر عليك المبلغ ولا يخطر لك هذا أبدا ، لا تخـــاف أن يقـــول لك ليس لك عندي شيء ولو لم يكن معك وصـــل فذمـــته دقيقة جدا ويخاف الله عز و جل ، إذن أنت كمؤمن تؤمن بقوله تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر : ٢٣]

فـــالله مصـــدر أمان للعباد في أفعاله وفيما أعد لهم في الآخرة قال تعالى :

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

[الحجر : ٤٨]

فأنــت مــؤمن ، إذا قيل لك هذه جهنم ، تتَّقيها بالتفكر بالكون و بطاعة الله عز و جل ، وفي الإقبال عليه في خدمة الخلــق و بالــبذل و التضــحية و بأداء الصلوات و بصيام رمضان ، فجعل لجهنم وسائل ليأمن عذابها ، وكذلك المؤمن مأمــون الجانــب ، جارك يطمئن لك ، زبون لك يطمئن لك تنصــحه لا تكذب عليه لا تغشه ، أتعطيه الحاجة وقد انتهى مفعــولها وزوَّرت الــتاريخ ؟ لا ، أنــت مأمــون ، الأنبياء مأمونــون علــى رسالة السماء ، والمؤمن مأمون على ما أتُمــن علــيه ، ابنتك أمانة عندك ، زوجتك أمانة ، أولادك أمانــة ، وهكذا ، لكن الشئ الذي أتمناه عليكم هو أن تدعو الــناس إلــى الله عز و جل بحيث يأمَنوا عذابه يوم القيامة حــيث قــيل : هذه صنعة الأنبياء و هذا أعظم أمن!!! و لو فرضنا شخصا خائفا أمَّنته من الذي يخيفه ، قلت فلان دعه لــي يعنــي أنك أجرته ، شخص خائف لا يملك أجور عملية جراحية ، قلت له : سأدفع لك تكلفتها اطمئن . شيء جميل ، فأنــت ممكــن أن تمــنحه الأمن في الدنيا . لكن إن لم يكن مســتقيما يمــوت و لجهنم مصيره ، فأعظم عمل تفعله أن تؤمِّــنه مــن عذاب النار ، أي أن تعرِّفه بالله عز وجل فإذا عرف الله واستقام على أمره وعمل الصالحات دخل الجنة ، إذن أعظم عمل تفعله في الدنيا أن تدعو الناس إلى الله عز وجــل وإلــى طاعته كي يأمنوا من عذابه يوم القيامة ، إن عــذاب الدنيا صعب جدا ولكن إذا أفضى بك عذاب الدنيا إلى

جنة عرضها السماوات والأرض مقبول . أما أخطر شئ أن يقـــع الإنســـان في النار لذلك أعظم عمل كما قلت قبل قليل وهـــي صنعة الأنبياء أن تكون سببا لنجاة الناس من النار ، إن الله عز وجل هو المؤمن وسمى عباده الطائعين مؤمنين قال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

[آل عمران ١٠٠]

هـــو ملـــك الملوك ومع ذلك سمح لك أن تسمي نفسك مؤمـــنا ، وهـــو مؤمن بذاته أولا ،ثم تأتي أفعاله ثانيا كلها مصـــدّقة لأقواله ، فأنت إذا قرأت القرآن لا تخشى المفاجآت لا تخشى أن تأتي الأحداث خلاف القرآن فتنفضح أمام الناس لا ، لا تخشـــى إذا اعـــتقدت بما قاله الله عز وجل أن تأتي حقيقة علمية في المستقبل تكشف لك زيف هذه الآية . أعوذ بالله هذا شئ مستحيل لأن الله عز وجل مؤمن ؛ أفعاله تأتي مصـــداقا لأقـــواله ، المعنى الثالث يهبك الأمن : سواء في حواســـك ، أو في أجهزتك ، أو في أعضائك ، أو في طعامك شرابك ، أو في الهواء . الشيء الثمين موفور ، سواء في

ثـبات خصـائص المواد ، أو في ثبات طريقة النبات أو في بنية الأشياء أو في عملها... في كل شيء .

الآن أنت كمؤمن يجب أن تأتي أفعالك مصدّقة لأقوالك ويجـب أن يـأمَن الـناس جانبك ، أي أنت مأمون لا يوجد مفاجآت من قِبَلك ولا غدر ولا إيقاع ولا فعل شيء من خلف ظهـور الـناس ، أو تغـدر بهـم أو تفاجـئهم بموقفك لا فالمسلمون على شروطهم .

نسـمع كل يوم آلاف القصص عن غدر الناس بعضهم ببعض ، نسمع مئات القصص عن خيانة الشركاء لشركائهم، عن خيانة الأزواج لأزواجهم ، عن أفعال يُنَدَّى لها الجبين ، عـن مقالـب و غدر و إيقاع الأذى... فليس هذا من أخلاق المؤمن لأن المؤمن جانبه مأمون .

الآن آخر شيء ، كيف نوفق بين اسم المؤمن وأن الله سبحانه وتعالى يقذف الخوف في قلوب العباد ، هو مصدر أمن للخلق وفي الوقت نفسه قد يملأ قلوبهم خوفا :

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

[القصص : ٢١]

هنا السؤال دقيق جدا فالإنسان إذا أمن اطمأن للدنيا ونسي الله عز وجل وركن إليها ، أعجبه ماله ، و أعجبته قوته ، و أعجبته مكانته ، وأعجبه بيته ، وشعر أن الدنيا مديدة وأنه في مركز قوي هذا أمن للدنيا ، ما علاجه ؟ أن يقذف الله في قلبه الخوف ، فإذا خاف هذا العبد والتجأ إلى الله عز وجل عندئذ يطمئن بالله ، أي أنه يخيفك كي يؤمنك ويفقرك كي يغنيك ويمنعك كي يعطيك ويضرك كي ينفعك ويذلك كي يعزك .

أما عن أسماء الله عز وجل المزدوجة ، فقد قال العلماء : لا ينبغي إلا أن تُذكر مثنى مثنى ، مثل المعز المذل ، و الضار النافع ، و المحيي المميت ، والخافض الرافع...إلخ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مَرِضتُ فلم تعُدني ، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عُدتَه لوجدتني عنده ، .... صحيح مسلم

فإن أخذ بعض صحتك فيعوضك عن هذه الصحة التي أخذها بشيء من رحمته ، تزور المريض فتجد نفسه صافية جدا ووجهه متألقا إنه قريب من الله عز وجل ، أخذ صحته قليلا وأعطاه الرحمة مقابلها ، فهو - سبحانه - يأخذ

ليعطي ويبتلي ليجزي يضر لينفع ويذل ليعز ويخفض ليرفع ويمـنع ليعطـي ويخـيف ليطمئن ، فإذا ابتعد الإنسان عنه وشرد عن شرعه يمتلئ قلبه خوفا و هذا الخوف هو الدافع هـو الـذي يدفعه إليه ، تخاف فإذا اقتربت من ظله شعرت بالطمأنيـنة ، و مـن فعل الله عز و جل أنه يبعث في قلب عباده الطمأنينة .

و أنـا أنصـح لكم أن هذه الأسماء الحسنى كتعاريف : موضـوع صـغير جدا . أما كأدلة من الكون فهي موضوع كبير جدا ، موضوع له آفاق واسعة لا تنتهي لأن الكون كله يـؤكد أسماؤه الحسنى فكلما عوّدتَ هذا الفكر أن يجول في الكـون ليسـتنبط نمـت قدراته و إمكاناته... مثلا لو سألنا الأخـوان الآن عـن اسـم اللطيف هل عندك دليل من خلق الإنسـان علـى اسم اللطيف . فمثلا سقوط السن من الطفل الصغير بمنتهى اللطف . الهواء يحمل طائرة تحمل ثلاثمائة راكـب ووزنهـا ثلاثمائـة وخمسون طن ، الهواء بينما لا يحجـب رؤيـة ، و لا يعيق حركة لا تحس بثقله ، فالهواء لطـيف و مـع أنه لطيف له وزن كبير جدا و الدليل أنه له وزن كبيـر ، هـو أنه يحمل أوزانا كبيرة . طائرة ثلاثمائة وخمسـون طن ترتفع في الهواء فالهواء شيء لطيف وذو قوة . إركب مركبة وأخرج يدك من نافذتها تشعر بقوة كبيرة جـدا ومـع ذلك الهواء لطيف فالهواء يؤكد اسم اللطيف ، والمـاء شـفاف لا لـون له ولا طعم له ولا رائحة له نفوذ

يتبخـــر بـــدرجات دنيا يعينك على كل حاجاتك هذا يؤكد اسم اللطـــيف ، فـــيجب أن يكون عندنا لكل أسم أدلة كثيرة جدا ومشاهدات وآيات ووقائع و بينات وعلامات على هذا الاسم ونحـــن كلمـــا مشينا في هذا الطريق توسع الأفق وازدادت عظمة الله في أعيننا وازداد خشوعنا له وازدادت طاعتنا له وإقبالنا عليه وهذا هو سر الإيمان ، الإيمان شيء يستقر في القلب وينطق به اللسان وتؤكده الأعمال ، الإيمان له ثلاث مظاهـــر : قناعة في القلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، تجـــد المـــؤمن أخلاقـــا ، المؤمن عفيفا ، المؤمن صادقا ، المـــؤمن أميـــنا ، المـــؤمن رحيما ، والمؤمن عند وعده ، المـــؤمن نظيف ، المؤمن لا يبتغي رفعة . و صفات المؤمن صـــارخة ، هـــذا من ناحية السلوك ، أما لو شق على قلبه فـــتجد الطمأنينة و الأمن و الراحة النفسية و الإستسلام لله و الرضـــاء بقضاء الله و التوكل على الله عز و جل ، لسانه يـــنطق بذكـــر الله و لســـانه يبعث الأمن بالناس و يطمئنهم و يـــبث فيهم الحقائق و يدلهم على الله عز وجل فلذلك اسم المـــؤمن هـــو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن ، ثلاثة معان .

الخلاصة : يعرف ذاته ، و أفعاله تأتي مصدقة لأقواله ، فأنـــت إذا آمنت بالله و قرأت كتابه لن تفاجأ بحوادث مخالفة لمـــا فـــي كتابه ، الشيء الثابت يهبك الأمن من خلال خلقه ومـــن خـــلال أفعالـــه ، فأنـــت كمؤمن ينبغي أن تكون على

صفتين : أولاً : أن تكون أفعالك مصدقة لأقوالك ، و ثانياً أن يأمن الناس جانبك و إذا رأيت نقيض الأمن و هو الخوف ، فهو من أجل أن يخيفك كي يؤمنك يأخذ منك كي يعطيك يخفضك كي يرفعك يذلك كي يعزك وهكذا ......

و الحمد لله رب العالمين

******

المهيمن

المهيمن

أيها الأخوة المؤمنون : مع الدرس الخامس من دروس اسماء الله الحسنى ، و هو : المهيمن .

يـا أيها الأخوة الأكارم : من منهج تدريس أسماء الله الحسنى نقاط ثلاثة :

النقطة الأولى : الحديث عن تعريف هذا الاسم .

النقطة الثانية : تطبيقاته العملية .

النقطة الثالثة : علاقة المؤمن به .

فمن معاني المهيمن : الرقيب ، الشهيد الذي يعلم السر و أخفى ، يعلم خائنة الأعين ، يعلم ما تخفي الصدور ، يعلم ما ظهر و ما بطن ، يعلم ما تعلن و ما تسر ، يرى الأشياء و يرى ما خلف الأشياء ، يرى الظاهر و يرى الباطن .

و مـن لـوازم اسم المهيمن القدرة التامة على تحقيق مصـالح ذلك الشيء علما و قدرة ... فمن بني البشر من يعلـم و لكنه لا يقدر ، و من بني البشر من يقدر و لكنه لا يعلم ، و من لوازم اسم المهيمن صفة ثالثة ، هي المواظبة و الاستمرار ، فقد تعلم و لا تقدر حيث يقول العوام : " العين بصـيرة و الـيد قصيرة " ، و قد تقدر و لا تعلم . فالإنسان القـوي و الـذي يتمتع بأعلى درجات القوة و لكنه لا يعلم موجـود ، و قد تعلم وتقدر وهذا النوع في بني البشر نادر

الوجود أن تعلم وأن تقدر ولكن لا تضمن المستقبل. قد تكون على علم بما يجري تحت يديك و على علم بما يجري حولك وأنت واثق بأن يدك تطول كل هذا الذي تحت سلطانك ولكن لا تــدري ماذا يكون في المستقبل، أما إذا قلنا أن المهيمن اســم من أسماء الله الحسنى فمن لوازم المهيمن أنه يعلم ، و لا نهايـــة لعلمه ، لأن لاشيء يخفى عليه ، فلو أن طبيبا فحــص مريضـــة تشكو له من بعض أعضائها ، و استرق النظر إلى عضو آخر فهذه خيانة وليس في الأرض كلها من يعلــم هــذه الخــيانة إلا الله ، يعلم خائنة الأعين ، أي يعلم الســر ، علم ما كان و ما يكون و ما سيكون وما لم يكن لو كـــان كـــيف كان يكون ، يعلم السر و ما يخفى عنك ، يعلم الجهــر وما تعلنه ، يعلم السر و ما تخفيه عن الناس ، يعلم مـــا هـــو أخفـــى من السر ما يخفى عنك ، يعلم ما يلج في الأرض و مـــا يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو معكم في خواطركم في صراعاتكم في نواياكم في طموحاتكم في حركاتكم في سكناتكم في سركم في جهركم في بواطنكم في علانيتكم يعلم كل شيء ، بالمناسبة لن يستطيع الإنســـان أن يهيمن إن لم يعلم بتلك المعلومات و الملابسات المحـــيطة بموضـــوعه قبل كل شيء ، لا يستطيع إنسان أن يهـــيمن على شيء ما مهما كان ضيقا إن لم يعلم بكل ذلك . يقولـــون : تقصّـــي الحقائق ، يقولون : بثّ العيون ، كيف

تملك القرار إن لم تملك الحقيقة ؟ فالمهيمن يجب أن يعلم قبل أن يهيمن .

المهيمن يعلم و قادر على كل شيء لا يعجزه شيء ولا نهاية لتعلقات قدرته ، كل الممكنات أي كل ما سوى الله من ضمن قدرته ، ولكن قد تملك ،قد تعلم وقد تملك ولكن لا تعلم ما سيكون في الغد ، قال تعالى :

{ يُقلّبُ اللهُ الليلَ والنهار إنَّ في ذلك لعبرةً لِأولي الأبصار }

(سورة النور: الآية ٤٤)

وقال تعالى :

{ إن يَمْسَسْكُم قَرحٌ فقد مَسَّ القومَ قرحٌ مثله ، وتلك الأيامُ نُداولُها بين الناس وليعلمَ اللهُ الذين آمنوا و يَتَّخذَ مِنكم شُهَداءَ واللهُ لا يُحبُّ الظالمين }

(سورة آل عمران : الآية ١٤٠)

من لوازم المهيمن طبعا أسوق لكم هذه الفكرة لتأكيد المعنى ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا سافر يقول :

" اللهم أنت الرفيق في السفر و الخليفة في الأهل و المال و الولد " .

هل تعتقدون أن هذه الصفة يمكن أن تكون في إنسان ما ؟! أن يكون معك في السفر وفي الوقت نفسه أن يكون

خليفتك في بيتك و أهلك و أولادك ، مستحيل إما أنه معك و إما أنه في بيتك ، لذلك قالوا هاتان الصفتان لا تجتمعان إلا لله عز و جل ، هو معك بالحفظ و الرعاية و التوفيق و التسديد و النصر و التأييد و هو في البيت مع أولادك معية علم و قدرة و رعاية في غيبتك يحفظهم من كل مكروه يحفظهم من كل حادث ، هو معك و هو خليفتك في البيت .

أقول لكم : من النادر أن يجتمع لإنسان العلم والقدرة ، لذلك في المجتمعات البشرية أفراد تفوقوا في العلم ولكن يدهم قصيرة ، وأفراد تفوقوا في القدرة ولكن علمهم محدود ، لكن لو أنه ، فرضا ، اجتمع لإنسان وهذا شيء نادر جدا كمال العلم مع كمال القدرة ولا بالخمسين مليون قد يوجد إنسان فيه كمال العلم مع كمال القدرة لكن ينقصه رؤية المستقبل ، قد يأتي من هو أقوى منه فينتزع ما بيده ، قد يأتي من هو أذكى منه ، قد يأتي من هو أخبث منه فيأخذ ما بين يديه .

إذن قد يجتمع العلم والقدرة ولا تملك المستقبل ولكن إذا قلت الله مهيمن معنى ذلك أنه يملك العلم الكامل :

{ والله بكل شيء عليم}

(سورة الحجرات : الآية ١٦)

والقــدرة الكاملــة لا نهايــة لــتعلّقات علمه ولا نهاية لــتعلقات قدرتــه ولــيس في الكون جهة أخرى تشاركه في الحكم لقولـه :

{ قلِ اللهُ أعلمُ بما لبثوا لـهُ غيبُ السماواتِ والأرض أبْصِر به وأسمع ما لهم مِن دونه من وليٍّ و لا يُشركُ في حُكْمه أحدا }

(سورة الكهف : الآية ٢٦)

لو كان في الكون آلهةٌ غيرَ اللهِ لفسَدَتا ، إذاً لذَهبَ كُلُّ إلــهٍ بما خلق ولَعلا بعضُهم على بعض ، ولكن لأن المهيمن واحــد ، فــلا يوجد جهة أخرى تنافس أو تسيطر أو تقاوم أو تنازع أو تفسد ، لذلك إذا اتَّكلت على المهيمن فهو الذي يعلــم كل شيء و قادر على كل شيء وليس كمثله شيء .
ومــن باب الموازنة : فالإنسان قد يملك ولا ينتفع ، قد يملك بيــتا ثمنه أربعون مليون ليرة لكنه مؤجَّر قبل عام السبعين مــثلا يملكــه ولا ينتفع به ، وقد ينتفع ببيت لا يملكه ، وقد ينتفع به ويملكه ، أما إذا قلنا :

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

(سورة آل عمران)

فالكون كله مُلكه ملكا وتصرفا ومصيرا .

أيهـــا الأخوة الأكارم ، جزء أساسي جدا من إيمانك بالله أن تعـــرف أســـماءه الحسنى وصفاته الفضلى ، وقد يسأل ســـائل عن هذا الحديث المتواتر هل هو حديث صحيح قاله النبي ؟ :

" إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ".

نعـــم إنه صحيح ومتواتر ، إياك أن تفهم كلمة أحصاها أنه عدّها ، أنه أنه قرأها أو حفظها أوعدها .. لا، أحصاها تعني فهمها ونال نصيبه منها ، إن لاحظتم في دروس سابقة كـــل اسم من أسماء الله الحسنى أنت كمؤمن لك منه نصيب فـــإن لم يكن لك نصيب من هذا الاسم فكأنك ما أحصيت هذه الأســـماء لأن النبي علي الصلاة والسلام روي عنه قوله : " تخلقوا بأخلاق الله ".

فـــالمهيمن معناه علم لا نهاية له وقدرة تامة ومواظبة واستمرار ، ولكن هناك أربعة معان فرعية تضفي على هذا المعنـــى شـــيئا نفيسا جدا : المعنى الأول : إذا كان الله هو المهيمن ففي معاني هيمنته الحب والشفقة ، أحيانا تقف الأم حـــول سرير ابنها المريض وهي تلاحظ حركاته وسكناته ، هـــذه الوقفة الحانية المشفقة وقفة علم وقفة سيطرة ولكن بدافع نبيل بدافع الشفقة و العطف و الحنان ، فإذا قلنا فلان مهـــيمن بدافع الحقد و بدافع العنجهية و الغطرسة و القوة و الإنـــتفاع و المناجزة و ما إلى ذلك ، فهذا استبداد وبطش إن وصـــف الإنسان بأنه مهيمن لها معنى أما إن وصف الله

عز و جل بأنه مهيمن فمن معاني هيمنة الله عز و جل حبه وعطفه على عباده ، النبي عليه الصلاة والسلام رأى امرأة تقبل ابنها فقال عليه الصلاة والسلام : " أتُلقي هذه المرأة بولدها إلى النار ؟ قالوا : معاذ الله ، قال : و الذي نفس محمد بيده لله أرحم بعبده من هذه بولدها " .

فهيمنة الله عز وجل هيمنة عطف وحب وشفقة ورحمة وحرص على سعادتك وعلى آخرتك وعلى مستقبلك ، هذا المعنى الفرعي الأول علم وقدرة واستمرار ، أما المعاني الفرعية للهيمنة : الحب والشفقة .

فلان مهيمن على هذا المستودع أي أمين عليه لا يدع حاجة تخرج منه بلا علم وبلا تسجيل وبلا مراقبة وبلا محاسبة ،هذه هيمنة الأمانة ؛فالمعنى الثاني هو : هيمنة الأمانة ، لذلك من معاني المهيمن :الحافظ

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

(سورة يوسف : الآية ٦٤)

و معنى مهيمن أنك إذا كنت مع الله عزوجل واعتقدت بوجوده و أردت أن تحاور إنسانا فأنت المنتصر ، الحوادث كلها تأتي مصدِّقة لك ، كل إنسان يطرح نظرية أو فرضية

أو مذهبا أو فكرة أو تفسيرا أو تحليلا أو عقيدة ، إن الوقائع تثبت العقيدة التي جاء بها القرآن ، فإذا كنت أنت مع القرآن فأنت المهيمن وأنت المنتصر .

أن تقول مثلا : (سورة البقرة)

يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

يمحق الله الربا ، هذه آية كريمة وهذه عقيدتك ، فالمرابي يقول لك العكس : أيعقل أن أجمد المال من دون أن أضعه في مصرف لأتقاضى عليه فائدة مجزية أعيش بها ، أنت كمؤمن تطرح أن الله عز و جل يمحق الربا و هذا المعرض الكافر يطرح نظرية أخرى وهي أن الإنسان لا بد من أن يستثمر ماله ، الأيام تدور والوقائع تتجدد فإذا بهذا المرابي يُمحق ماله ، من الذي هيمن في هذا الموضوع ؟ أنت ، أنت اعتقدت أن المرابي يمحق ماله ، الأيام أكدت هذه الحقيقة فأنت المهيمن ، أنت تعتقد أن الإنسان إذا غض بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوة في قلبه و انعكس هذا في حياته الزوجية ، يقول لك آخر : لا هذه العين يجب أن تستمتع ، فهذا الجمال لمن خلق ؟ لنا ، فلا بد من إطلاق البصر وأن تملأ العين من هذه المناظر الحسنة الجميلة ، تقول له : لا هذا أمر إلهي و هذه آية قرآنية ، تدور الأيام فإذا بهذا الذي يمضي نهاره كله في الطرقات يملأ عينيه من

الحـرام قد أصيب بمرض ارتخاء الجفون ، من الذي هيمن فـي هذا الموضوع ؟ أنت ، أنت الذي هيمنت جاءت الوقائع تؤكد ما تعتقد من أن هذا أمر إلهي ، أنت إذا اخترت فتاة لم تختـرها إلا لديـنها وعفافهـا وشرفها وصلاحها وأسرتها الصـالحة وآثـرت ديـنها على الجمال وعلى المال وعلى الحسب وعلى النسب وعلى الوجاهة في الدنيا ، أنت انطلقت من أن هذا العمل هو طاعة لله عز و جل قال سبحانه :

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

(سورة البقرة : الآية ٢٢١)

هـو انطلـق من شهوته وقال : الزوجة يجب أن تكون مـلء العين جمالا وفتنة كما أحب كما أشتهي ولا قيمة لقلة دينها ، تدور الأيام هذا الذي اختار المرأة الصالحة لصلاحها و ديـنها تـرى حياته الزوجية مستقرة و سعيدة و مفعمة بالمـودة و المحبة ، تتنامى سعادته و يبارك الله له في هذه الـزوجة و يأتـيه الأولاد ، أما الذي آثر الجمال على الدين

حـــياته قطعـــة مـــن جحيم من الذي هيمن في الموضوع ؟ المؤمن ، لذلك ربنا عز و جل يقول :

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

(سورة القصص : الآية ٨٣)

إذن هذه صحيحة من معاني المهيمن أن هيمنة الله عز و جل هيمنة حب وشفقة وأن هيمنة الله عزوجل هيمنة حفظ وأمانـة .

ومـــن معاني هيمنة الله عزوجل أن الله عزوجل يصدقك بأفعالـــه ، أي شـــيء تعتقده ورد في القرآن الكريم . ومن معانـــي أن الله مهـــيمن أنـــك أنـــت المنتصر ، وكلامك هو الصواب ، واعتقادك هو الصحيح ، والأفعال تأتي مصدقة لك هـــذا معنـــى المهـــيمن كاسم من أسماء الله الحسنى ، إذن الهيمـــنة هـــي العلـــم الكامل ، العلم التام و القدرة التامة و الاســـتمرار و المواظـــبة ، هـــذه المعاني الأساسية ، أما المعانـــي الفـــرعية : فهـــي هيمـــنة حب لا هيمنة غطرسة وعنجهـــية وســـيطرة كما يكون الإنسان ، و هيمنة محافظة علـــى المهـــيمَن علـــيه ، وهيمـــنة تصديق لكل ما جاء به القرآن ، هذا الجانب النظري من معنى المهيمن ، علم وقدرة و استمرار ، شفقة و حفظ و تصديق .

و الآن بعض الأمثلة : هناك وقائع و شواهد و حقائق تعمق مفهوم هذا الاسم و مدلولاته . سيدنا موسى حينما قال الله له و لأخيه هارون :

ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

[سورة طه]

فـــرعون ومـــا أدراكـــم ما فرعون الذي ذبح أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم من يجرؤ على أن يخاطبه ، وعلى أن يبين حقيقة دعواه الزائفة في أنه إله ، من يجرؤ ؟

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

[سورة طه]

إننـــي معكمـــا أسمع و أرى و فرعون بيدي ، إذن إذا آمـــنت أن الله هـــو المهـــيمن تستسلم يرتاح قلبك ، تطمئن

نفسك ، يستقر فؤادك ، ترتاح أعصابك ، الأمر بيد الله بعلمه و بقدرته ، كل الخلق بيده ويعلم السر وأخفى سيدنا رسول الله علـيه الصـلاة والسـلام حيـنما كان عند يهود خيبر وائتمـروا أن يلقـوا علـيه حجـرا فيقتلوه ويرتاحوا منه بـزعمهم ، من الذي أخبره أن يتحول عن هذا المكان ؟ الله عز وجل ، هم اتفقوا في غرفة محكمة الإغلاق ، اتفقوا على ذلـك والله عـز وجل أخبره ، معنى مهيمن هنا أنه علم ما يقولون .

عميـر ابـن وهب خرج مع صفوان ابن أمية و قال له عميـر : أتمنى لو أذهب إلى المدينة فأقتل محمدا و أريحكم منه ، لولا ديون ركبتني و لو لا أولاد أخشى عليهم العنت ، فقـال لـه صفوان فورا : أما الديون التي عليك فهي عليّ بلغـت ما بلغت و أما أولادك فهم أولادي فامض لما أردت ، سقى سيفه سمّا ووضعه على عاتقه وامتطى راحلته وتوجه إلـى المديـنة ، لقيه عمر ابن الخطاب فقال : هذا عدو الله عميـر ، قيده بحمالة سيفه و ساقه إلى النبي عليه الصلاة و السلام و قال : يا رسول الله هذا عدو الله عمير جاء يريد شـرا ، الله مهـيمن، قال : يا عمر أطلقه ، فقال له النبـي : ادن منـي يا عمير دنا منه ، قال له : سلم علينا ، قـال : عمـت صباحا يا محمد ، قال له: قل السلام عليكم ، قـال : لسـت بعيد عهد بالجاهلية هذا سلامنا ، قال له : ما الـذي جـاء بـك إلينا ، قال : جئت لأفك أخي من الأسر ،

فقال : وهذا السيف الذي على عاتقك ، قال : قاتلها الله من سيوف وهل نفعتنا يوم بدر ، فقال له : ألم تقل لصفوان لولا ديــون ركبتنـــي و أولاد أخشى عليهم العنت لذهبت و قتلت محمدا و أرحتكم منه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فالله عــز و جل مهيمن ، هذه المؤامرة التي أحيطت بكل أجواء الحــذر و الحــيطة أبلغهــا الله عز وجل للنبي عليه الصلاة و السلام .

هــذه المــرأة التــي جــاءت تشكو النبي عليه الصلاة و الســـلام و تقــول : يا رسول الله إن فلان تزوجني و أنا شــابة ذات أهــل و مال و جمال فلما نثرت له ما في بطني و تفــرقتْ أهلي عني و ذهب مالي و كبرت سني قال : أنت علــيَّ كظهر أمي ، و لي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا و إن ضممتهم إليّ جاعوا ، فبكى عليه الصلاة والسلام رقة لهــا و عطفا و شفقة و رحمة و قال : ما أظنك إلا قد بنْت منه ، هذا طلاق فقال الله عز و جل :

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

(سورة المجادلة)

فكــان عمــر ابن الخطاب عملاق الإسلام كلما مر بهذه المــرأة كــان ينزل عن دابته إجلالا لها ويقف أمامها بأدب

ويستمع لها ، فقال له أحدهم : أنت أمير المؤمنين وتستمع لهـذه المرأة ؟ قال : كيف لا أستمع لها وقد استمع الله لها من فوق سبع سموات ، معنى هذا أن الله مهيمن ويسمع كل شيء .

سـيدنا موسـى قال : أنا رسول الله ، قالها لفرعون ، وكلمـة فـرعون تعنـي في وقته أعظم إنسان وأعظم دولة دولته ، وأعظم حضارة حضارته وقال أنا ربكم الأعلى وجمع السـحرة كلهـم ووعـدهم بالعطايا وبالمناصب من أجل أن يقهروا سحر موسى كما يدّعون قال تعالى :

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

(سورة طه)

من انتصر ؟ سيدنا موسى ، الله مهيمن على كل شيء .

هذه كلها شواهد قرآنية على اسم المهيمن ، علم وقدرة واسـتمرار ، هيمنة شفقة و هيمنة حفاظ و هيمنة تصديق . سيدنا إبراهيم جاءه جبريل و قد أوقدوا نارا عظيمة ، جمعوا حطـبا أياما و أسابيع أوقدوها و أركبوه بأرجوحة كي يسقط

فــي وســـطها ، هم مسيطرون مهيمنون ، بيدهم كل شيء ألســـنتهم تردد منْ أشدّ منّا قوة ، " أولم يعلموا أن اللهَ الذي خلقهـــم هو أشدُ منهم قوة "، جاءه جبريل فقال : يا إبراهيم هــل لك من حاجة ؟ قال : منك لا ، قال جبريل من الله ؟ ، قال : علمه بحالي يغني عن سؤالي . ثلاث كلمات ، : " قلنا: يـــا نـــار كونـــي بـــردا ، بردا كان مات من البرد و وجدوه مجمدا ، قال : وسلاما وقال : على إبراهيم ، لو لم يقل على إبـــراهيم لعدم وجود النار في الأرض فتصبح النار لا تحرق إلى يوم القيامة ، ثلاثة كلمات

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

(سورة الأنبياء)

مـــن المهـــيمن ؟ الله عز وجل ؛ألم يقل : علمه بحالي يغني عن سؤالي ؟!!! وهذه أمّ موسى ، أعطني أما تستطيع أن تضــــع ابنها فلذة كبدها في صندوق وتلقيه في اليمّ ، الله عـــز وجـــل أمـــرها بأمـــرين ونهاهـــا عن نهيين وبشرها بشارتين :

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

(سورة الأنبياء)

أرضعيه وألقيه في اليم . هذان أمران ، " ولا تخافي ولا تحزني " وهذان نهيان ، البشارتان : إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فهذا الصندوق من سيَّره إلى شط فرعون ؟ يعلم ويسيطر ، وحينما فتح الصندوق من ألقى حبه في قلب امرأة فرعون ؟ الله عز وجل ، إذن الله مهيمن.

هذه القصص كلها تؤكد أسماء الله الحسنى ، سيدنا يونس لا أعتقد مهما ضاقت بكم الأمور في الدنيا ، لا أعتقد أن هناك مصيبة على وجه الأرض ، تفوق أن تكون في ظلمة بطن الحوت مع ظلمة البحر مع ظلمة الليل ، في ظلمة بطن الحوت ، فإذا فتح الحوت فمه جمع أربعة أطنان من السمك كوجبة عشاء معتدلة و رضعته ثلاثمائة كيلو غرام من الحليب فتكون ثلاث رضعات ألف كيلو غرام ، كل يوم يحتاج إلى طن حليب ، و الحوت تقريبا وزنه مائة و خمسون طنا ، فجوفه غرفة، فسيدنا يونس نبي عظيم . فجأة يجد نفسه في ظلمة بطن الحوت وفي ظلمة الليل وفي ظلمة البحر .

يا ترى هل في بطن الحوت جهاز فاكس او جهاز تلكس او هاتف أو إشارة أو تلغراف؟ ماذا يوجد ؟ لا يوجد شيء . فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾

(سورة الأنبياء)

ألا ترتاح نفسك إلى هذه القصة ؛ التي ختمت ببشارة لكل مؤمن : " وكذلك ننجي المؤمنين " ففي أي عصر و أي زمان و في أي مصر و في أي ظرف مهما كان شديدا ، الله مهيمن ، أنت كن مع المهيمن و ارتح مطمئنا إلى سلامة المصير .

انظر إلى الطفل الصغير و هو في حضن أمه لا يتكلم بشيء إطلاقا ، الأب يتمزق لتأمين القوت ولتأمين الأدوات المدرسية و الإبن مرتاح يريد المجموعة الفلانية و الفلانية و الفلانية يعطي الطلبات و هو مرتاح ، و الأب يتمزق لتأمين هذه الأغراض فإذا كان الشخص مع المهيمن فهو على كل شيء قدير .

سيدنا زكريا لم يتكلم ، على موضوع المهيمن قال :

جرب ابق صامتا واطلب من الله طلبا بصدق وبإخلاص والطلب معقول من خيري الدنيا والآخرة ، واجهد أن تبقى صامتا من دون اي كلمة بداخلك . تجد أن الله استجاب لك معنى هذا أنه سمعك وعلم سرك القضية لا تحتاج لرفع الصوت

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

(سورة مريم)

نداؤه الخفي اخترق السبع الطباق فاستجاب الله لسيدنا زكريا لأن الله مهيمن .

في غزوة حنين ، أصحاب النبي الذين خاضوا معه بدرا وأحدا والخندق و...... أصحاب رسول الله وهم ساكتون لم يتكلموا إطلاقا ويوم حنين :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

(سورة التوبة:الآية ٢٥)

لن نغلب اليوم من قلة؛ عشرة آلاف صحابي ومعهم رسول الله بعد أن فتحوا مكة ودانت لهم الجزيرة من طرفها إلى طرفها الآخر ومع ذلك :

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

(سورة التوبة)

الله المهيمن ، علم إعجابكم بأنفسكم فألقى في قلوبكم الخوف وقلوبكم في يدي الله . إمّا أن يملأها خوفا وإما أن يملأها طمأنينة ، القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ، الله مهيمن .

الأمر كله بيد الله ، سيدنا رسول الله بغار حراء و سيدنا الصديق إلى جانبه قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موطئ قدمه لرآنا ، فقال : يا أبا بكر ما رأيك باثنين الله ثالثهما ، وفي المرة الثانية أصعب فقال له : لقد رأوني أي لقد وقعت عين أحد المطاردين على عين أبي بكر عين بعين فقال : لقد رأوني ، قال : يا أبا بكر ألم تقرأ قوله تعالى :

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

(سورة الأعراف)

الله مهيمن ، دعوة إسلامية عظيمة حفظها الله بخيوط العنكبوت ، وهذا من عظمة قدرة الله عز وجل أنه يحفظ

أعظـــم شيء بأتفه سبب ، الله مهيمن ، وأحيانا يهلك إنسان بأتفه سبب ، يحفظه بأتفه سبب ، ليظهر لك كمال قدرته عز وجل .

في غزوة الأحزاب ، الجزيرة العربية كلها اجتمعت على حـــرب محمـــد علـــيه الصلاة و السلام ، و اليهود خانوا عهـــده معــــه و انكشف ظهره و بقي للإسلام ساعات ، بقي الإســـلام قضـــية زمـــن إلى أن قال أحدهم: أيعدنا صاحبكم أن تفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجـــته ، الله عـــز وجـــل أرســـل رياحـــا عاتـــية أطفأت نـــارهم واقتلعت خيامهم وقلبت قدورهم وكفى الله المؤمنين القـــتال ، الله مهـــيمن ، كـــل شـــيء بـــيده ، الـــرياح بيده وصدق الله العظيم :

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

(سورة المدثر)

منخفض جوي يمنع الرؤية ... بيده ، رياح عاتية يعطل حركة الآليات ... بيده ، القلوب ... بيده ، يلقي فيها الخوف أو عـــدم الخوف .... بيده ، كل شيء ... بيده ، باخرة من أضـــخم البواخـــر في العالم بنيت عام ألف وتسعمائة واثنتي عشـــرة ، وقـــد بنيت طبقتين فلو ثقبت طبقة فالجدار الآخر يمـــنع غـــرقها ، بنيت بلا زوارق نجاة ثقة بأنها لن تغرق ، طـــبعت نشـــرة وكتب في هذه النشرة : إن القدر لا يستطيع

إغــراق هذه الباخرة ، من أفخر البواخر في العالم . قيل : فــيها مــن الأثاث و من الثريات و من الفضيات ما لا سبيل إلــى وصــفه ، المطــاعم و الصــالات و الأبهاء و الغرف و المســابح .... أي هي مدينة عائمة ، وفي أول رحلة من رحلاتهــا ركــب فــيها أغنى أثرياء أوربا ، ويقال بأن حلي النســاء تقــدر بمئات الملايين ، وفي عرض البحر ارتطمت بجبل ثلجي فشقها شطرين ، وأرسلت إشارات الإستغاثة فظن كــل مــن حــولها مــن البواخــر أن هذه الإشارات تعبير عــن احــتفالات تدشــين الســفينة وغرق جميع ركابها ، وقــبل ســنة كمــا أذكر قرأت بحثا في مجلة العربي عثروا علــى مكانهــا ورأيت صورا لها في قاع البحر هذه الباخرة التيتانيك ، قال وقتها أحد القساوسة : هذا درس السماء إلى الأرض .

قــبل سنوات ، دولة متقدمة جدا ممن يقول أهلها : منْ أشدُّ منّا قوة ، صنعوا مركبة فضائية من المقرر أن تبقى في الفضاء سنة تقريبا ، سبعة روّاد فضاء مع امرأة ، والخطة أن تحمــل هذه المرأة في الفضاء من أحد الرواد وأن تبقى في الفضاء تسعة أشهر وأن تلد في الفضاء ومعهم مولّد في المــركبة لــيكون أول مولود يولد في الفضاء ، وسمّوا هذه المركبة اشلنجر challenger أي المتحدِّي ، بعد سبعين ثانية مــن إطلاقهــا أصبحت كرة من اللهب . منْ المهيمن ؟! ألم

يقوموا بالعد التنازلي ، الم يضبطوا الأجهزة جهازا جهازا ، اين المهيمن ؟ الله سبحانه وتعالى .

كُن مع المهيمن وارتح بالا

صديق لي حدثني أنه زار بستان في أحد أطراف دمشق والبستان مؤلف من قطعتين لأخوين شقيقين . وكان قمح الأخ الأول ناميا نموا عجيبا . وقمح الآخر نموه ضئيل جدا ، وهذا الصديق يعرف الله عز وجل فجاء للأول واستحلفه لماذا بستانك هكذا ؟ قال والله اعتني به كما يعتني أخي ببستانه بل إن الذي يقوم على البستانين مزارع واحد ، ما السر ؟ قال . لي اخ اخر متوفي وله أولاد أيتام ونويت في قلبي أن أعطي أولاد أخي الأيتام نصف غلة هذا البستان" ، والثاني على عكس الأول ، هذه القصة تؤكد أن الله علم نية هذا البستاني فضاعف له غلته و علم نية هذا فأنقصها هذا الآخر معنى المهيمن يعلم و يفعل . و كذلك صديق آخر حدثني عن مجموعة مزارع في أطراف دمشق و هنالك بعض الرعاة الذين عندهم قطعان غنم يأتون لهذه المزارع لتشرب الغنم . فيطردون هذا الراعي مع غنمه ، من هذه المزارع مزرعة واحدة تستقبل أي راع وتسقي الغنم بنفس طيبة ، أقسم لي رجل في هذه المنطقة أن سبعة مزارع جفت ابارها إلا هذا البئر حصرا والعائد لهذه المزرعة ، ولم يكتف بأنه سمح للرعاة بل بنى حواضا كي ترتاح الغنم في أثناء

شـــربها ، لقـــد اشترى أحواضا إكراما لمن ؟ الله مهيمن : النـــبع بـــيده و الشـــلنجر *challenger* بيده و تيتانيك بيده و الســـحاب بـــيده والبواخـــر بيده والحوت بيده ، كل شيء بـــيده ، فأحيانا الإنسان يكون في مكان فاقدا حريته وهو في مكان ناء يخرج فيه ثعبان ، وهذا الإنسان مؤمن على الأعم الأغلب تجد الثعبان واقفا ولا يتحرك ولا ينقض عليه ، أحيانا تجـــد كلبا عقورا بقي بلا طعام أياما عديدة فإذا واجه إنسانا تقـــيا يقف مكبّلا ... منْ المهيمن ؟ الله عز وجل . والله عز وجل يقول :

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

يقـــول لك سيطرة ، الله هو المسيطر ، كلّ شيء خلقه الله مسيطر عليه ، ولم يخلق شيئا وتركه هملا ، لذلك :

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

(سورة الزمر)

أحـــيانا الحريق ، ينشب حريق في بعض أسواق دمشق و يأكـــل الأخضـــر و اليابس في معظم الحوانيت إلا حانوتا واحدا ، تلتف النار حوله و لا تحرقه ...... لأن النار بيده .

قبل خمسين عاما في هذه البلدة جاء جراد أكل الأخضر واليابس ، يقول لي رجل توفي رحمه الله كان مكلفا بضبط هذا الأمر ومراقبة أصحاب البساتين في جمع الجراد قال : رأينا الأشجار بلا قشر، الجراد أكل أوراقها وثمارها وقشرها الخارجي ، ولكننا فوجئنا ببستان كأنه روضة من رياض الجنان ، دخلنا عليه وطلبنا صاحبه ، قلنا ما هذه؟ فقال : أنا أستعمل دواء ، فامتلأنا غضبا وغيظا منه ، معك دواء وتمنعه عن المسلمين ، قال : يا سيدي هذا الدواء لا يستعملونه ، هو الزكاة أنا أزكّي عن هذا البستان !!!!

هذه مشاهدات من واقع الناس وحياتهم . آلاف وملايين كل شيء بيد الله عز وجل ، فالبطولة أن تعرف الله أن تعرفه هو المهيمن ، إذا عرفته مهيمنا انقطعت آمالك ممن سواه ، لا تتوسلَ لغيره ، أنت فيما بينك وبينه في منتهى الخضوع في منتهى التذلل في منتهى الإفتقار . إذا أنت في جانبك الأمن كله .

أما مع الناس عزيز ، إذا لم تعرفه مهيمنا وظننت بأن زيدا مهيمنا تصبح أمام زيد كالطفل الصغير ، تبالغ في التذلل له ويبالغ في إهانتك تبالغ في الخضوع له ويبالغ في دوسك بقدمه لذلك

" من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه " .

السـؤال الآن أنت كمؤمن وهذه الفقرة الثالثة ، الفقرة الأولى التعاريف النظرية لاسم المهيمن ، كمال العلم و كمال القـدرة و الاسـتمرار ، وهيمـنة الله هيمـنة حب وشفقة و رحمـة و هيمـنة حفـاظ و هيمنة تصديق ، ثلاث فقرات بالتعـريف و ثـلاث إضاءات على هذا التعريف ، هذا القسم النظري و القسم العملي شواهد :

أخ كـريم أصـيب قلـبه بآفة ، و الأطباء هنا بدمشق أجمعـوا أنه لا بد له من إجراء عملية في بلد أجنبي ، ذهب إلـى هـناك وهـو على طاولة الفحص ، اغرورقت عيناه بالدموع و قال : يا رب هذا القلب من صنعك و أتمنى أن لا يُفـتح و بكـى ، أجري الفحص الأول ، الوضع سليم ، هذه القصـة منذ إثنتي عشرة سنة ، وإلى الآن بأتم صحة ، هذه الشرايين الفرعية التي كانت مسدودة من الذي قام بفتحها ؟ يـد مـن فتحتها ؟ الله مهيمن على قلبك وهذه الكلية توقفت عن العمل ، لماذا توقفت ؟ من أوقفها ؟ ومن حركها ؟. الله مهـيمن ، تأكـد أن الأعصـاب والكليتين والقلب والرئتين والشـرايين والمعـدة والأمعـاء والقنوات الدائرية والسمع والبصر واللسان كل أعضائك بيد الله :

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

(سورة آل عمران)

هـذه الخلايا من الذي يمنعها من أن تنمو نموا خبيثا ؟ الله عـز وجـل ؛ لـيس هنالك سبب واضح للسرطان حتى الآن ، إنسـان بأتم قوته وبأتم صحته وبأتم نشاطه ، غذاء منـتظم ، رياضـة ، حـركة ، فجـأة نمـو خبيث في جهة بجسمه ، عظّم الله أجركم .

مـن المهـيمن على هذه الخلايا ؟ يمنعها من أن تنمو نموا خبيثا أو أن لا تنمو ، الله عز و جل .

حتى الزوجة بيد الله عز وجل ، الإمام الشعراني يقول :

" أنا أعرف مقامي عند ربي من أخلاق زوجتي "، أياما تجدها ملَكا . سبحان الخالق ، ملكا من السماء ، وأياما تفكر بهذه الساعة المشؤومة التي تعرفت بها عليها ، بيد الله عز وجـل يلين قلبها أو يقسو قلبها ، يجعلها مطواعة أو عنيدة بـيد الله عـز وجـل . حتى الأولاد : حالهم الشيء نفسه ، و زبائـنك و متجـرك و رؤسـاؤك في الدائرة و متبوعوك و مركبتك إذا أثنيت عليها و أثنيت على صانعها و نسيت الله

أثناء حديثك عنها تقطعك في الطريق أمرها بيد الله عز و جل ، أما الزلازل ، و الجراثيم فقد قال النبي عنها : " لا عدوى " ، لكن هناك عدوى ، ما معنى هذا الحديث ؟ أي إياك أن تعزو هذا الفعل إلى زيد أو عبيد ، يجب أن يُعزى المرض إلى الله عز وجل ، فإذا أذن الله لهذه الجراثيم أن تفعل فعلها ، فعلت ؛ و إن لم يأذن لا تفعل أبدا .

هذا القسم العملي وبقي القسم التطبيقي الأخير .

المؤمن إذا أردناه أن يتخلق بأخلاق الله يجب أن يعرف أحوال نفسه ، يعرف نفسه ، هل هي مريضة فيها انحراف وفيها كبْر وفيها عجْب وفيها غرور وفيها تجاوز للحدود ؟ إيمانه بالله كاف أم غير كاف ؟ يجب أن يعلم ، أحوال قلبه ، أحوال نفسه ، أن يعلم دخله وإنفاقه للمال ، تعامله مع الاخرين جوارحه مدى إنضباطها ، ومِنْ تخلق المؤمن بخُلق الله المهيمن أن تعلم أنّ أحوالك مرضية عند الله أم غير مرضية ، مستقيم أم غير مستقيم ، يوجد بدخلك شبهة ، يوجد بعلاقاتك حرمة ، يوجد تقصير بالحقوق يجب أن تعلم ، ولن تعلم إلا إذا حضرت مجالس العلم لأن العلم بالتعلم ، هذه حرام يا أخوان وهذه حلال ، هذا يجوز وهذه صفة مذمومة وهذه صفة ممدوحة ، فأنت من حضور مجالس العلم تعلم فإذا تعلمت فقد حققت ثلث اسم المهيمن ، الآن يجب أن تسعى كي تطهر نفسك من آفاتها ، الجوارح من المعاصي ، القلب من السوّى ، تطهير القلب مما سوى الله ، تطهير

الجـوارح من معاصي الله تطهير الفكر من عقائد زائغة من خـرافات ، مـن أوهـام ، مـن خزعبلات ، من حيل ، من تزوير ، يجب أن تطهر عقلك من كل عقيدة زائغة ، وتطهر جـوارحك مـن كل معصية وعليك أن تطهر قلبك مما سوى الله ، هـذا مـن تطبـيق اسم المهيمن ، أي أنه راقب قلبه وأشـرف على أغواره وأسراره واستولى على تقويم صفاته وهيـئاته وقـام بحفظهـا على الدوام ، تصرفاته ، نوبات نـوبات ، فـي يوم الجمعة مرتاح أو منشرح ، السبت تفسد أخلاقي والأحد لا أصلي تأتي الجمعة أنت غير متخلق بأخلاق الله ، عندك اتجاه نوبي .

يجب أن تعلم أحوالك ، يجب أن تقوّم أفعالك ، يجب أن تثبت على هذه الإستقامة التامة ، أنت عاهدت الله عز وجل العلم والإصلاح والثبات .

الأرقـى مـن ذلـك أن تدعو إلى الله وأن تعلم أحوال إخوانك أن تسعى إلى تقويمهم وأن تبقى على عهدك مع الله مـن خـلال تعاملك معهم ، و أنْ تصلح نفسك ، فمن معاني قوله تعالى

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

(سورة الأنفال)

أصلح نفسك ، كيف تصلحها إن لم تعرف أمراضها إن لم تعرف انحرافاتها ، إن لم تعرف تقصيرها ، إن لم تعرف أدرانها إن لم تعرف مشكلاتها ، إن لم تعرف مخالفاتها . المعرفة أساس ، إذن تحتاج إلى علم كي تعرف ، وإلى إرادة كي تصحّح ، وإلى صدق كي تستمر ، إذا فعلت هذا فقد تخلّقت بأخلاق المهيمن .

و بعد ، مادام الله يراقبك ، فما موقفك أنت ؟ الحياء من الله ، من تطبيقات اسم المهيمن أن تستحي من الله ، الله يراقبك يجب أن تستحي منه ، الله قوي يجب أن تتوكل عليه ، لا شريك له يجب أن تثق بالمستقبل :

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

(سورة الرعد : الآية ١١)

ثلاثة تطبيقات يجب أن تعلم أحوال قلبك وأحوال نفسك وأحوال عقيدتك تصوراتك قيمك يجب أن تصححها ، لا بد من حضور مجالس العلم ، يجب أن تملك إرادة قوية كي تصلح اعوجاجك ، كي تقيم جوارحك على طاعة الله ، يجب

أن تملــك الصدق كي تستمر على هذا ، علم وإرادة وصدق هذا أول تطبيق .

ثانـــي تطبيق : مادام الله شهيدا عليك يجب أن تستحي منه

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾

(سورة النساء)

ومادام الله مسيطرا فيجب أن تتوكل عليه ، إذا أردت أن تكـــون أقوى الناس فتوكل على الله ومادام الله لا شريك له وقال لك

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾

(سورة الرعد : الآية ١١)

إذن يجب أن لا تقلق بخصوص المستقبل ، وأن الله عز وجـــل مادمـــت لم تغيّر لن يغيّر ؛ مادمت على طاعته قائما فأنت من خير إلى خير ومن درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منـــزلة ومـــن رُقيّ إلى رقي ، هذا اسم المهيمن أرجو الله سـبحانه وتعالـــى أن أكـــون قد وفقت إلى توضيح تعريفاته وتطبيقاته وشواهده .

و الحمد لله رب العالمين

******

ذو الجلال والإكرام

ذو الجلال والإكرام

أيهـــا الإخوة الأكارم : مع الدرس الأربعين من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم هو ذو الجلال والإكرام .

عــن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله علـــيه وســـلم إذا سلَّم (من الصلاة) لم يقعد إلا مقدار ما يقول : " اللهم أنت السلام و منك السلام تباركت يا ذا الجلال و الإكرام وفي رواية ابن نمير: يا ذا الجلال والإكرام " رواه مسلم .

أيها الإخوة : كلكم يعلم أن أسماء الله الحسنى كلها تدل على صفاته ، لكن اسما واحدا هو " الله " علَم على الذات ، ويدل على كل أسمائه ، إذا قلت : يا الله ، معناه ؛ يا رحيم ، يـــا رحمــن ، يـــا غني ، يا ودود ، يا قوي ، يا متعال ، يا قدير ، يا حسيب ، يا لطيف ؛ فاسم

" الله" اســـم علـــم على الذات ، ويشير إلى كل أسمائه الحســـنى ؛ لكن أسماءه الأخرى تدل على صفاته ، أو على كمال صفاته ، الغني القوي الحسيب المجيد المعطي المانع ، هـــناك نقطـــة دقـــيقة وهي : هل يمكن أن تقسم أسماء الله الحسنى إلى قسمين ؟ قسم يشير إلى قوته ؟ وقسم يشير إلى كماله ؟ أنت تؤخذ بالقوي ، وتؤخذ بالرحيم . فالكمالات بكل أنـــواعها يجمعها اسم الإكرام ، والقوة بكل مظاهرها يؤكدها

اسم ذو الجلال. مثال ذلك : قد تحترم أشخاصا احتراما كبيرا وقد لاتحبهم ينتزعون إعجابك بقوتهم ، أو بذكائهم ، أو بخبراتهم ، أو بتحصيلهم ، أو بفطنتهم ؛ وقد لا تحبهم . وبالمقابل فإن هناك أشخاص آخرون يملؤون قلبك حبا ، وقد لا ينتزعون إعجابك . الإنسان يميل قلبه لأمه ، وقد تكون أمية . يمتلىء قلبه حبا لها ، لكن علمها وثقافتها وخبرتها وفطنتها وذكاءها لا ينتزع إعجابه . وقد يحب أستاذا في الجامعة على علم وفهم وثقافة ؛ ولكن حينما يتعامل معه لا يميل قلبه إليه . إذن هناك صفات تُعجب بها ، و هناك صفات تحبها . الصفات التي تعجب بها ، مجموعة في اسم الجلال . و الصفات التي تحبها ، مجموعة في اسم الإكرام . فإذا قلت:

" تبارك ذو الجلال والإكرام" فهذا يعني؛ أن كل صفات القّوة والعظمة والجبروت يتصف بها الله . وكل صفات الإكرام والرأفة والرحمة يتصف بها الله . فكأن هذا الاسم المركب من اسمين ، جمع الأسماء الحسنى كلها من زاويتن : زاوية القوة وزاوية الإكرام .

يقول الإمام الغزالي : إن اسم ذا الجلال و الإكرام هو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له ، لا جلال و لا كمال و لا كرامة و لا مكرمة ؛ إلا و هي صادرة منه ؛ فالجلال له في ذاته ، و الكرامة فائضة منه على خلقه ، كل أفعاله تجاه

خلقـــه إكرام ظاهر جلي ، أو باطن خفي . و هذا معنى قول الله عز و جل :

وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً

[لقمان : الآية ٢٠]

الـنعم الظاهـرة هـي الإيجابـية ، والنعم الباطنة هي المصائب . وفنون إكرامه لخلقه لا تكاد تنحصر أو تتناهى . قال تعالى:

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

[البلد : الآية ٨]

عيـنان صـغيرتان تـريان لـك الأشياء على حجمها الحقيقي ، بألوانها الدقيقة ؛ و الرؤية فورية ، شبكية العين تحـوي مائـة وثلاثـين مليون عصية ، من أجل نقل أدق الصور ، و بالعينين ترى جمال الكون ، بالعينين ترى جمال الأشـخاص ، بالعينين ترى المظاهر التي تأخذ بالألباب " ألم نجعل له عينين " فالعينان هما إكرام من الله عز وجل . هذه القـناة الدمعـية التي هي من أدق القنوات في الإنسان ؛ لو أنهـا سـدت وصار فائض الدمع يسيل على الخدين - على صغر هذه المشكلة ليس خطرا - إلا أنها تجعل حياة الإنسان جحيما ، و سيحتاج دائما إلى مسح خديه ، مما سيؤدي إلى

تخريش الخد . فهذا إكرام من الله . العينان إكرام ، والأجفان إكـــرام ، و المحجر إكرام ، و العضلات التي تحرك العينين يمينا و شمالا إكرام من الله عز و جل .

كذلك جعل الله لهذا الإنسان أذنين يستمع بهما إلى أدق الأصـــوات وأدق النبرات . يستمع بهما إلى الصوت ، وإلى جهة الصوت ، وإلى هوية الصوت ؛ هذا إكرام .

مفصـــل يدك إذا ألغي كيف تأكل ؟ أدى هذا إلى وضع الطعـــام علــــى الأرض ، والانبطاح من أجل أن تأكل الطعام كالهرة تماما . وهذا الرسغ ، وهذه الأصابع ، وهذا الأنف ، وهـــذه الأســـنان ، واللسان ، لسان المزمار ، والحنجرة ، والأمعاء ، كل هذا إكرام من الله . قال تعالى :

ورد هذا الاسم مرتين في كتاب الله ، المرة الأولى قوله تعالى :

وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾

[الرحمن : الآية٢٧]

والمرة الثانية : " تبارك اسمُ ربك ذي الجلال والإكرام " الرحمن : الآية ٧٨

نقـــف عند هذه المفارقة الدقيقة : و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام : ذو من الأسماء الخمسة مرفوعة بالواو . لمـــاذا جـــاءت الآية الأولى بالرفع ، والثانية بالجر ؟ الآية

الثانــية تبارك اسم ربك ذي الجلال و الإكرام " الاسم عرض وليس جوهرا فجاءت ذي تابعة لربك ؛ " تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام " أما الوجه من الذات. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " هذه هي اللغة العربية . قال تعالى :

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

[الشعراء : الآية ١٩٥]

لأن الاســم لــيس جوهرا في الإنسان بل عرض ، إذ بإمكانـــه تغييــر اسمه ، لكن وجهه جزء من ذاته ولا يمكن تغييره ، فإذا قال الله عز وجل " تبارك اسم ربك " قال : ذي الجــلال والإكرام . أما إذا قال : ويبقى وجه ربك ؛ فالوجه مــن الــذات " هذا الاسم المركب من اسمين يوحي لنا بأن أسماء الله صنفان : صنف يشير إلى قدرته ، وكمال قدرته ، وقهــره ، وجبــروته ، وقوته ، وصنف يشير إلى كمالاته ؛ فكــل الأســماء المــتعلقة بالقوة يمثلها اسم الجلال . وكل أسمائه المتعلقة بكمالاته ، وإكرامه ، وإحسانه ، ورحمته ، ولطفـــه ، ورأفـــته ، يمثلها اسم الإكرام . فإذا قلت :" تبارك اســم ربــك ذي الجــلال والإكرام " فأنت جمعت بهذا الاسم أسماء الله الحسنى كلها .

لــذلك فإن الإمام الغزالي يقول : لا جلال ولا كمال إلا وهــو لـــه ، ولا كــرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه ؛ فالجلال له في ذاته ، والكرامة فائضة منه على خلقه ؛ فلو

كـــان شخص ذو هيبة أمام الخلق؛ فهي من الله . ولو أراد الله نزعها ، لصار حقيرا أمام الخلق جميعا . فرعون قال : " أنـــا ربكم الأعلى " فلما أغرقه الله عز وجل ، أنجاه ببدنه ، ورمـــاه إلى الشاطىء ، ليكون آية للعالمين . ولو أنه غرق لمـــا صدّق الناس أنه غرق و لكن شاءت حكمة الله أن يبقى جسده بعد غرقه كما هو ، وأن تقذفه الأمواج إلى الساحل .

ففنون إكرامه لخلقه كثيرة لا تكاد تنحصر ولا تتناهى :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ

الإسراء : الآية ٧٠

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

التين : الآية ٤

بـــدءا من جهازه العظمي ، مفصل نحو الداخل . الركبة نحـــو الخـــارج ، والرأس يدور . و العمود الفقري يتمفصل تمفصلا محدودا . الجمجمة مفاصلها ثابتة ، وعندما يصاب الشـــخص بضـــربة على رأسه فإن تداخل هذه الأجزاء يقي كسر الجمجمة ؛ فكل هذا من إكرام الله له . وأتمنى لو يتفكر كل واحد منا بإكرام الله له .

الـــنوم إكـــرام ، تنام بضع ساعات وبعدها تشعر وكأنك حصان . هضم الطعام إكرام تأكل وانتهى الأمر ؛ لكن لو أن الله أوكـــل إلـــيك هضم الطعام فإذا تناولت وجبة امتنعت عن

مقابلـــة أي شـــخص كان ، ثلاث ساعات أو أربع ساعات ، لماذا ؟ لأنك مشغول بهضم الطعام . فيضيع وقتك .

فوجـــبة الإفطار تحتاج إلى أربع ساعات هضم ، ووجبة الغداء تحتاج إلى خمس ساعات ، ووجبة العشاء تحتاج إلى أربع ساعات . فأنت تقضي خمس عشرة ساعة للهضم ،فهل نقلـــت اللقمـــة إلى المريء ثم إلى المعدة ، أم أمرت الغدد بالإفراز ، و البنكرياس بصب الأنسولين في الدم ، الصفراء بـــأن تفرز ، أم نقلت اللقمة و الطعام إلى الاثني عشر ، أم إلـــى الأمعـــاء ؟!!! هـــو جل جلاله قال لك : كُل و لا تهتم بالباقي . فكل ما يجري من تفاعلات الهضم و الانحلالات لا دخـــل لك فيها . هَب أن الله أوكل إليك التنفس ، لن تستطيع أن تـــنام الليل أبدا فالنوم يعني الموت . وأنت نائم و القلب يعمـــل ، والرئتان تعملان و لسان المزمار يعمل بلا كلل ولا ملـــل ؛ كـــل هذا وأنت نائم . وزن جسمك الجهاز العظمي والعضلات التي فوقه ، تضغط على ما تحت الجهاز العظمي فتضـــيق لمعات الأوعية - و جعل الله عز و جل في الجسد أماكن للإحساس بالضغط ؛ وهذه الأماكن و المحسات تعطي إشـــارة للـــدماغ ، فالدماغ يأمر الجسم بالتقلب وأنت نائم ، الإنسان يتقلب ثمانيا وثلاثين مرة في الليلة تقريبا ، حتى لا يشعر الإنسان بتخدر جسمه ، أو تنمله ذلك أن ضيق لمعات الأوعـــية تســـبب ضعف التروية ، وضعف التروية يشعرك بالتنميل . أما التقليب فهو من آيات الله .

إفـــراغ المثانة ؛ فهي لها عضلات ، ولولا العضلات ، لاحتاج الأمر إلى تنفيس هواء . أما بالعضلات فأنت تفرغها بـــثوان . فالمثانة هي من إكرام الله ؛ إذ أنه في كل عشرين ثانـــية تقطر قطرة بول من كل كلية ، وتتجمع في المثانة ، وخـــلال ساعتين ، أو ثلاث ، أو أربع ، تفرغ تلك الكمية في بضـــع ثـــوان ولولا وجود المثانة لاحتاج الإنسان إلى فوطة يلف بها نفسه . فإكرامات كثيرة من الله عز وجل ؛ الزوجة إكـــرام ، والابـــن إكرام ، والطعام والشراب إكرام ... أنواع لاتعد و لا تحصى

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ
إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾

سورة البلد : الآية ١١-١٥

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ

سورة الإسراء : الآية ٧٠

الإمام الرازي يفرق بين لفظ الجليل ، ولفظ الكريم فلفظ الكـــريم يكفي فيه الإكرام ، والإكرام قريب من الإنعام ولكنه أخص منه ؛ فكل إكرام إنعام ، وليس كل إنعام إكراما ، كيف ذلك ؟ قد تجد أن فلانا من الناس ، له كذا من الأولاد يأكلون

جميعا على مائدته ولكن أحد هؤلاء الأولاد بار ومطيع فأنت تجد أنهم إذا صاروا على مائدة الطعام ، فهذا الولد البار له معاملة خاصة من أبيه ، فالأب يقدم له شيئا استثنائيا ويبتسم في وجهه يرضى عنه يدعوه ؛ فالطعام وحده إنعام ، أما الإطعام مع التكريم اللفظي والعملي صار إكراما .

فالإمام الرازي يقول : ليس كل إنعام إكراما ، ولكن كل إكرام إنعام ، قال : وفي تقديم لفظ الجلال على لفظ الإكرام سر، قال تعالى

تَبَـٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِی ٱلۡجَلَـٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

سورة الرحمن : الآية ٧٨

فلماذا قدم الله لفظ الجلال على لفظ الإكرام ؟ لأن الجلال يعني التنزيه ، تقول : جل جلاله ؛ أي تنزهت ذاته عن كل نقص الإكرام الصادر من الله عز وجل إكرام منزه عن كل غرض . قد تُدعى لطعام الغداء من قِبَل أحد الأشخاص ، وبعد أن تنتهي ، يطلب منك حاجة ؛ فهذه الدعوة إذن ليست خالصة ، وإنما دعوة هادفة ، وهي مشوبة بمكسب ، وغرض وتأمين حاجة حاجة ؛ لذلك قدّم الله اسم الجلال على اسم الإكرام ؛ لأن إكرامه منزه عن كل غرض !!!!!

" يقــول جلّ وعلا في الحديث القدسي : " لو أن أوّلكم وأخــرَكم و إنسَــكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد مــنكم ، مــا زادوا في مُلكي شيئا . و لو أن أولكم و أخركم و إنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقصوا في ملكي شيئا "

فتقديم اسم الجلال على اسم الإكرام ، لأن إكرامه منزه عن كل غرض .

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ

[سورة إبراهيم : الآية ٨]

إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ

[سورة الزمر : الآية ٧]

أمــا الإمــام القشــيري فيذكر ؛ أن جلال الله منزه عن الأنصــار و الأعــوان . أحــيانا يستمد الإنسان هيبته ممن حــوله . و مــن أنصاره و أعوانه ، وجماعته ، ومن القوة التي بيده . و من الأشخاص الذين حوله ؛ لكن الله عز وجل منــز ه فــي جلاله عن الأعوان والأنصار الإنسان أحيانا .

جلالته من ماله ، أو مكانته من علمه ، أو مكانته من سلطته . هذه المكانة مشوبة و مفتقرة إلى شيء قالوا : من أحبك لشيء ، كرهك لفقده . فجلال الله عز وجل منزه عن الأسباب ؛ لأنه ذو جلال بذاته من دون سبب منفصل عنه . جلاله يعني الرفعة والعزة و صفات العلو . والإكرام كما قال الإمام الرازي : " قريب من الإنعام ، إلا أنه أخص منه ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد يُنعم على مَن لا يُكرم ؛ فهو سبحانه لا يحب الكافرين لكن يمنحهم المال والصحة ، والأولاد و البيوت ، و المتع و السيارات و المباهج ؛ فكل هذا إنعام و ليس إكراما . لكنه جل جلاله يكرم المؤمنين ، فهو ينعم على من لا يُكرم ، و لا يُكرم إلا من يُنعم عليه . و قالوا : إكرام الله عز وجل نوعان : نوع معجَّل في الدنيا ، ونوع مؤجَّل إلى الآخرة . فالإنسان إذا كان في الدنيا كما لا يريد ، فهو ينتظر إكرام ربه بعد الموت ، ورد في الحديث القدسي :

" إني والجن والإنس في نبأ عظيم ؛ أخلق ويُعبد غيري ؛ وأرزق ويُشكَر سِواي ؛ خيري إلى العباد نازل ، و شَرُّهم إليَّ صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي و أنا الغني عنهم ، و يتبغَّضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل عليَّ منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، و إن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ،

لأطهـــرهم مـــن الذنوب و المعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمـــثالها و أزيد ... و السيئة بمثلها و أعفو ... و أنا أرأف بعبدي من الأم بولدها .

و قـــال بعـــض العارفـــين : ذو الجلال والإكرام ؛ هو صـــاحب الجلالـــة ، لأنه لا شرف ، و لا مجد ، و لا عزة ، و لا قوة ، إلا و هي له ، فهي له و به ومنه أحيانا يهب الله تعالـــى لـــبعض الأشـــخاص هيبة ، جلالة ، مكانة ، وأحيانا يأخذها منهم فجأة . هو الأصل . فلا شرف ، ولا مجد ، ولا عـــزة ، ولا قوة إلا وهي له وبه ومنه ولا كرامة ولا فضل ولا نعمـــة ولا إحسان ، إلا وهي من مدده جل جلاله ؛ هذا معنى ذو الجلال والإكرام .

وقال بعضهم : هذا الاسم الجليل جامع للجلال والجمال ؛ فإن الله تعالى له جلال رهيب ، وجمال عجيب .

وبالمناسبة أقول ، هل المؤمن المتصل بالله جل جلاله له هيبة ؟

" عـــن أبي مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجـــل فكلمـــه فجعـــل ترعد فرائصه فقال له صلى الله عليه وسلم : " هوِّن عليك فإني لستُ بملِك ، و إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد " رواه ابن ماجه

كـــان عليه الصلاة والسلام من رآه بديهة هابه ، ومن عامله أحـــبه . فالنبـــي وأصـــحابه والمؤمنون الصالحون

الصادقون المخلصون ؛ هؤلاء يأخذون من هذا الاسم نصيبا وهـو الهيـبة ؛ من اتقى الله هابه كل شيء . وأي إنسان اتصـل بالله عز وجل كانت له هيبة . الإمام الحسن البصري كـان من كبار التابعين ، وكان ذا هيبة عظيمة . ولعل قصة هـذا الإمـام تحوي على ما يدل على هذا المعنى ؛ لقد أدى واجـب العلـم ، وذكـر بعـض الأخطاء التي صدرت عن الحجّـاج ، ولمـا بلـغ الحجـاج مقالة البصري ، غضب ، وتـوعّد ، وأمـر بقتله وقال : ائتوني به -طبعا حينما أمر بقـتله جـاء بالسيّاف ومد النطع أمامه في قصره - بل قال قبل أن يقول ذلك لمن سمع مقالة الحسن البصري ، ولم يرد علـيه ؛ قـال لهم : والله يا جبناء لأسقينكم من دمه . فلما دخـل الحسـن على الحجاج ورأى السيَّاف جاهزا ، والنطع ممدودا ، تكلم بكلمات لم يسمعها أحد ، فما كان من الحجاج إلا أن وقـف له ، واستقبله وما زال يقربه حتى أجلسه على سـريره ، وكـان يكنى أبا سعيد قال له : يا أبا سعيد كيف أنـت ؟ يـا أبا سعيد ، أنت سيد العلماء . يا أبا سعيد يا أبا سـعيد ... وقـيل : عطّره ، واستفتاه في قضية ثم شيعه . فصُـعق السيَّاف.. جاءوا به ليقطع رأسه ومد النطع وكأنه قـرار نهائي ، فتبع الحاجب أبا سعيد فقال له : يا أبا سعيد لقـد جـيء بـك لغيـر مـا فُعل بك ! فماذا قلت قبل أن تدخل ؟ قال قلت :

يا ملاذي عند كُربتي ، يا مؤنِسي عند وحشتي ؛ اجعل نِقمتَه عليَّ بردا وسلاما ، كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم

صدِّقوني أيها الإخوة : هذا لكل مؤمن في كل زمان وفي كل مكان ، للمؤمن هيبة . لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدهم عـندها ، إن كان مؤمنا مستقيما ، فمن اتقى الله ، هابه كل شيء ، ومن لم يتق الله ، هاب كل شيء .

أخبـرنا جابـر بـن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسـلم : " قال أعطيت خمسا لم يُعطهُن أحد قبلي : نُصرتُ بالـرعب مسـيرة شـهر و جُعِلـت لـي الأرضُ مسـجدا و طهـورا .. فأيُّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ .. وأحلّـت لي المغانم ولم تَحِل لأحدٍ قبلي وأعطيت الشفاعة .. وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة " *رواه البخاري*

فالنبـي صـلى الله علـيه وسلم نُصر بالرعب وحينما تركت أمَّته سُنَّته ؛ هُزمت بالرعب !!!!!

وقـال بعـض العارفين : " ذو الجلال والإكرام " ؛ هو المنفـرد بـالجلال والإكـرام والعظمـة ، المختص بالإكرام والكـرامة ؛ فكـل جلال له ، وكل كرامة منه سبحانه ، له الجـلال في ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه ؛ فما من نعمة تأتيك إلا وهي من الله ؛ حتى لو أن عينيك رأتا أن هذا

الإنسان - فلان الفلاني - هو الذي أكرمك ؛ إذا كنت موحدا ترى أن الله ألهمه ، وسمح له، وأن الله مكنه ، وألقى حبك فـي قلـبه فأكرمك . لذلك - المؤمن الصادق - إذا أصابه خيـر ، بادىء ذي بدء يشكر الله عز وجل ، السيدة عائشة حيـنما لاك الناس حديث الإفك ، وبقي الوحي منقطعا قرابة شـهر ، والنبي صلى الله عليه وسلم في أشد حالات الضيق والحـزن ، ثم جاءت براءة الله عز و جل للسيدة عائشة - رضـي الله عـنها - فقال لها الصديق : قومي لرسول الله فاشكريه فقالت : لا والله ، لا أشكر إلا الله فابتسم النبي وقال عليه الصلاة والسلام : عرفت الحق لأهله "رواه أحمد

مـادام كل كرامة من الله ، وأي إكرام مهما بدا لك أنه مـن فلان ، فهو من الله لذلك فلا ينبغي أن تشكر إلا الله . فالمؤمن الصادق يعوِّد نفسه وأهله وأولاده سجود الشكر .

فقـد يعطيه الله عز وجل بعد أنحُرم ، كأن ينال درجة أو شـهادة أو مـالا ، أو ولـداً ، فهـو يرى كل نعمة من زوجـة وولـد ومـال وعطاء ، و نجاح ، هي منه سبحانه وتعالى .

وهـو المنفـرد بصـفات الكمال . والعظمة والجلال ، المختص بالإكرام والكرامة ؛ فكل جلال له ، وكل كرامة منه سـبحانه ، لـه الجـلال في ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه .

عندي مثل أحب أن أطرحه أمامكم :

بمعامـل الحديـد الضـخمة ، هناك رافعات كهربائية ، مسـاحة كبيرة من الحديد؛ مربعة أو دائرية محاطة بوشيعة كهـربائية ، فـإذا سرَت الكهرباء في هذه الرافعة ، تصبح ممغنطة . و هذه الرافعة ربما حملت خمسة أطنان . و الآن وهـي ترفع هذا الثقل ؛ لو ضغط العامل مفتاحا بمقدار ربع مليمتـر بحـيث قطـع الكهرباء ، فكل هذه الأوزان تسقط ! أردت بهـذا المـثال أنـه مهمـا كان لك هيبة ، أو كنت ذا شخصـية مـتألقة ، ومحظوظا ومحبوبا ؛ هذا من الله عز وجـل ، بدلـيل أنه أحيانا يفقدك هيبتك ، ويأتي أحقر الناس فيتطاول عليك ، ويسيء إليك . فإذا شعرت بالمكانة و الهيبة و أنـك محـبوب فهـي مـن الله ، والنبي - عليه الصلاة و السـلام - علمـنا أن العـبد الصـالح كلما زاد الله في إكـرامه ؛ كلمـا زاد هو في تواضعه لله عز وجل . إن لذة النصـر لا توصف ، فأهل مكة المكرمة بالغوا بالإساءة إليه صـلى الله عليه وسلم وأساءوا إليه ، وحاربوه ثلاث مرات فـي بـدر وأحد والخندق ، وحاولوا قتله وأخرجوه ونكّلوا بأصـحابه وعذبـوهم وأذلوهم وقتلوهم ، وهم متعالون ... حتـى أن سـهيل ابـن عمرو لم يرض أن يكتب في صلح الحديبـية:" هذا ما اتفق عليه محمد رسول الله " قال : امحُ رسول الله ــ غطرسة وكِبرا ــ ثم فُتحت مكة ، عشرة آلاف سـيف متوهجة تأتمر بأمر النبي وقد دخلها منتصرا ، كيف

دخلها ؟ دخلها مطأطئ الرأس ! ودخلها متواضعا ، وكادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيره !!!!!

فالله ذو الجلال والإكرام ، وكل الجلال منه ، وله ، وبه وكل الإكرام منه وله وبه . فإذا تمتعت بهيبة فاذكر أن الله هو الذي رفع لك ذِكرك ، وإذا تمتعت بإكرام فاعتقد أنه منه .

معنا الآن معنى جديد ؛ فكونه ذا الجلال فينبغي أن تُجِلَّه . ولأنه ذو إكرام فينبغي أن تحبه ، وأن تكرم عباده ؛ فرد الفعل عندك أن تجله ، قال تعالى : " ومَن يُعظِّم شعائرَ اللهِ فإنَّهـا من تقوَى القلوب " بعض الأحيان يتأدب الإنسان مع كتاب الله ، ويضعه في مكان عال ، و لا يجعل رجليه باتجاهه ، وإذا قرأه ، قرأه جالسا ، ويضعه على وسادة ، فكل تعظيم لشعائر الله وكتابه وبيوته وأوليائه ، هو من إجلال الله عز و جل . عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط " رواه أبو داود .

و معنى إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " رجل متقدم بالسن ، نشأ في عبادة ربه ، صاحب شيب ؛ إكرام هذا الشيخ هو من إكرام الله ، إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم . وإكرام العالم العامل بما علِم ، والإمام العادل... كل ذلك من إكرام الله وإجلاله ، فالمعنى الجديد

الذي مر معنا هو : مادام الله ذا الجلال والإكرام ؛ فينبغي أن تجلـــه ، وأن تكـــرمه بإكـــرام خلقه ، وهو رد الفعل . أيها الإخـــوة : روي فـــي بعـــض الروايات ؛ أن اسم ذا الجلال والإكـــرام ؛ هو اسم الله الأعظم ، فعن أنس بن مالك قال : " ســـمع النبـــي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السموات و الأرض ذو الجلال والإكرام " فقال لقد سأل الله باســـمه الأعظـــم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دعي به أجاب رواه ابن ماجه

و قـــد جاء في بعض الأحاديث الشريفة عن عبد الله بن المـــبارك عـــن يحيى بن حسان من أهل بيت المقدس وكان شـــيخا كبيـــرا حســـن الفهم عن ربيعة بن عامر قال سمعت رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام رواه أحمد

ومعنى أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام ؛ أي التجئوا ، فإذا حلَّـــت بالمـــؤمن مشكلة ، أو ألمَّت به مُلمة أو دهمه خطب أو حلـــت بـــه محـــنة ، دعـــا وقال : يا ذا الجلال و الإكرام بـــرحمتك أستغيث " ألظوا : أي التجئوا وأَلِحُّوا وادعوا بهذا الاســـم، قال ابن الأثير أي :غلزموه واثبتوا عليه، وأكثروا من قول ذلك في دعائكم .

التطبـــيق الثاني : من عرف جلال الله تواضع له ، لذلك لا يجـــتمع مـــع معرفة الله عز وجل أنا ؛ من أنت ؟ أنت لا

شيء . لا تقل أنا . متى أكثر العبد من ذكر الله ، ولاح نور الله علـــى سِرِّه ، صار جليل القدر بين العوالم . ومن عرف جـلال الله ، تواضــع له وتذلل . إذا صح قولنا : " تخلَّقوا بــأخلاق الله " فكـيف نــتخلق بــأخلاق الله ؟ باسم الجلال والإكــرام ؟ الإكــرام أن تكرم الناس أن تجعل أساس حياتك العطــاء ، أما الجلال أن تترفع عن السفاسف ... فمن كثر مــزاحه ، قلت هيبته .. لا تتعلق بالجزئيات و التفاصيل . لا تكــن سخيفا . إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها ودَنِــيَّها . فاعتدالك في الأمور وتوازنك واهتمامك بالقضايا الكبرى ، وتعلقك بالآخرة ، وترفُّعك عن السفاسف والدنايا ، وترفعك عن السفاهات ، وعن كثرة القيل والقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال ، وتعلقك بالآخرة ، يجعلك ممن تخلّق بــأخلاق الله ، وصـــار لك هيبة أساسها الاعتدال والسلوك الحســـن ، والترفع عن الدنايا والسقطات والزلّات والثرثرة والتعلــيقات و التدخلات الجانبية ، وأن تحشر نفسك فيما لا يعنــيك . هــذا كلــه يضعف مكانتك . والإنسان الناضج له إحســاس دقيق جدا ؛ فيشعر أن هذه الكلمة تصغّره ، وهذه النظرة تصغّره ، وأن هذا السؤال يجعله دنيئا وأن هذا التذلل يجعلــه خنوعا ، وأن هذا التصرف يجعله طامعا . كل عمل يجعلــك أمام الناس صغيرا ، ترفَّع عنه ، من أجل أن تتخلق بــأخلاق الله . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إياك وما يُعتذر منه " .

أي أن أي تصــرف يجعلك تقول : " لا تؤاخذوني " أي تعــتذر ؛ فــلا تفعلــه ، فإذا استطعت أن تكون كذلك تخلّقت بأخلاق الله و صارت لك هيبة ، والهيبة نوعان : نوع كسبي ونوع وهبي .

الــنوع الكسبي : التزامك بالأدب وضبط اللسان ؛ فمن كثــر كلامـــه كثــر خطوءه ، اضبط لسانك وجوارحك وكن معتدلا ، لا تتكلم كلاما لست متأكدا منه، ولا تتهم أحدا قبل أن تتحقق ، قال تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾

سورة الحجرات :الآية ٦

فعدم السرعة وعدم الثرثرة ، وفهم الأمر بتريث ، وترك الــدنايا ، يجعلــك ذا جلال. وإذا جعلت أساس حياتك العطاء والسخاء والدعم ، صرت ذا إكرام .

أمــا الوهبــي ، فــإن أقــبلت علــى الله واتصلت به ، وتصــاغرتَ وتذللت أمام عظمته ، وهبك الجلال والهيبة ... كمــا أن الله عــز وجــل أكرمنا فيجب أن نحبه ، وأن نكرم عباده . ففي الحديث القدسي : " إذا أردتم رحمتي فارحموا

خلقــي " ، وفــي الحــديث الشريف : " الراحمون يرحمهم الرحمن " .

جاء في بعض الأدعية :اللهم أنت ذو الجلال والإكرام ، صــاحب الطول والإنعام ، لك جلال يدكُّ الجبال ، ولك جمال يفتح باب القبول والوصال .

وأنــا يــا أخي المسلم أتمنى أن يهزك جمال الله ، كما يهــزك جلاله ، وأن تُقبل عليه رهبة ورغبة ، رجاء وخوفا فإن جلاله مرغوب ، و كماله محبوب .

بعضــهم ناجى ربه فقال : يا رب أشرق نور هذا الاسم على لطائف قلبي ، حتى تجنبت الرذائل ، فكنتُ جليل القدر ، وانشــرح صــدري بإكرامك ، فكنتُ مجمّلا بلطائف إنعامك ، إنك على كل شيء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير وسلم .

أيهــا الإخوة الكرام : لعل هذا الاسم كما ورد هو اسم الله العظيم ؛ ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام ، الجلال كل صفات القوة والعظمة منطوية في يا ذا الجلال ، وكل صفات الكمال والإكــرام مــنطوية فــي الإكــرام ؛ فإذا قلت : يا ذا الجلال والإكــرام ، فكأنــك جمعت بهذا الاسم المركب أسماء الله الحســنى كلهــا ، ولكن من زاويتن ؛ زاوية القوة ، وزاوية الكمــال ، ومــنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام " ، ومعنــى ، تدعوه بيا ذا الجلال والإكرام ؛ أن تعظمه بالقدر

الـــذي تحـــبه ؛ فـــإذا كان في حياتنا كما قلت في مطلع هذا الدرس أناس نحبهم كثيرا ولا نقدرهم كثيرا ، وأناس نقدرهم كثيرا ، ولا نحبهم كثيرا ، فالله عز وجل ذو الجلال والإكرام بقـــدر مـــا هو عظيم في قلبك ، بقدر ما هو كريم في تعامله معك .

و الحمد لله رب العالمين

******

الحيّ

الحي

أيها الإخوة الأكارم ، الاسم اليوم هو الحي القيوم .

الحي : اسمٌ من أسماء الله تعالى التي وردت في القرآن الكـريم ، والتي وردت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، ولا بد من أن نذكِّر القارئ الكريم بقول النبي صلى الله عليه وسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَـيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ *

وفـرق كبيـر بين من يعدُّها وبين من يحصيها ، فالعَدُّ شـيء ، والإحصـاء شـيء آخر ، فالعد كمي وأي إنسان بإمكانـه أن يعدها وأن يحفظها ، لكن الإحصاء شيء آخر ، و هـو أن تقف عندها اسماً اسماً ، أن تتعرف إلى مضمون الاسـم ... فمـاذا تعني كلمة الحي ؟ .. و ماذا تعني كلمة القيوم ؟ .. و هكذا بقية الأسماء الحسنى .

فتتعـرف إلـى أسماء الله الحُسنى يؤلف أكبر جزء من عقـيدة المسـلم ، فـلا يكفي أن تقول الله خلق السماوات والأرض ، هـذا الإيمـان يسـتوي فـيه الناس جميعاً على اخـتلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم ، بل إن المقصرين ، بل إن الكافـرين ، بل إن عباد الأوثان ، بل إن إبليس، اعترف أن

الله خلق السماوات والأرض ولكن التفاضل بين المؤمنين في معرفة أسماء الله الحُسنى ؛ معانيها ومضامينها

لــو أنك التقيت مع إنسان لا تعرف عنه شيئاً ، قلت له عرِّفنــي بذاتك قال لك : أنا فلان ، هل يكفي أن يذكر اسمه لتعــرفه ؟ .. بل أنت تريد أن تعرف ماذا يعمل ؟ ماذا يحمل من شهادات ؟ ماذا له من إنجازات؟ ما حجمه الاجتماعي ؟ مــا حجمـــه الاقتصادي ؟ ما مستوى ذكائه ؟ .. أنت حينما تقول عرِّفني عليك ، لا تقصد أن يخبرك باسمه الفلاني ، بل تريد أكثر من اسمه ، تريد كلّ إجابة عمّا سبق من أسئلة .

ضــربت هــذا المثل لأنتقل منه إلى حقيقة هي أن الذي يقول إن الله خلق السماوات والأرض ، هذا الإيمان لا يكفي كي تستقيم على أمر الله فحجم الإيمان قد يكون أقل من قوة الشــهوة ...لــذلك يقع الإنسان في المعصية ، لكن كلما زاد إيمــان الإنســان بوجــود الله ، و أنه هو الفعال و بيده كل شـــيء ، و هو الكامل و هو الواحد ، و المصير كله إليه ، و كــل شيء بيده ، كبُر حجم الإيمان ، و أصبح أكبر من شــهوات الإنســان ؛ لــذلك تصعب الاستقامة على ضعيفي الإيمـــان ، و تهــون علـــى أقوياء الإيمان ، فقوي الإيمان يســتقيم بلا جهد لأنه يرى عظمة الله عز وجل والله سبحانه وتعالى حينما قال :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

(سورة فاطر)

و كلمـــة إنما دقيقة جداً ، فهي كلمة تفيد الحصْر ، مما يعنـــي أن العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشون الله ، إذن ما من طريق إلى طاعة الله ، وإلى خشيته ، وإلى الاستقامة علـــى أمره إلا أن تعرفه ، فكلما عرفته خشعت له ، و كلما نمَت معرفتك نمت استقامتك ، وكأن مؤشر الاستقامة يتحرك مع مؤشر العلم والمعرفة بشكل دائم .

ما معنى: الحي القيوم ؛ الحياة نقيض الموت ، وشتَّان بين الحياة والموت ، شتَّان بين إنسان ملء السمع والبصر ، يتكلم ، يتحدث ، يبتسم يسأل ، يجيب يفكر ، يحاكم ، ينتقل ، يمشـــي ، يعمـــل ... و بـــين إنسان جثة هامدة ملقى على الطريق ، شتان بين الحياة و الموت ، فهناك فرق كبير بين قلب حيٍّ بذِكر الله ، و بين قلب ميت، قال تعالى :

أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٍۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾

(سورة النحل)

قال تعالى :

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

(سورة فاطر)

قال تعالى :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

آيات كثيرة تؤكد أن الذي لم يعرف الله عز وجل ميت ، وأن القلب يحيا بذكر الله :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

(سورة الرعد)

يحـيا القلـب بذكـر الله ويطمئن بذكر الله ، و الإنسان المعاصـر يفقـد شيئاً ثميناً جداً و هو الطمأنينة ، حوله كل شيء لكن يحيط به ألف خطر ، خطر السرطان ، و لا بد من فحْـص ، و خطر بقيّة الأمراض ، و خطر الحوادث أيضًا ، لذلك تنمو شركات التأمين بنمو القلق في النفوس .

إن حياة الإنسان من دون إله يعبده ، من دون إله يُنيب إليه ، من دون إله يلجأ إليه ، من دون إله يَحتمي به ، من دون إله يُطمئِنه ، تصبح جحيماً أكبر ما فيه القلق ، الخوف مـن المجهـول ، الخوف من أحداث مستقبلية تظهر فجأة ، متـى يصـاب بهـذا المرض ؟ لا أحد يدري ، وكلما ابتعد الإنسان عن ربه امتلأ قلبه خوفًا .

سـبعة وثمانـون بالمائـة مـن مواطني البلاد الغربية المـتفوقة علمياً وحضارياً ، يخاف وهو في البيت ، ثمانون بالمائة لا يتجولون بعد غروب الشمس أبداً ، ثلاثة وثلاثون بالمائـة يرون أن كل قوى السلطة لا تحميهم ، إنهم يحيون حياة القلق ، حياة العذاب ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ ٤

(سوْرة قريش)

أطعمـك من جوع و آمنك من خوف ، و الأمن نعمة لا تُعادلها نعمة ، و لا يحوزها إلا المؤمن ، و الدليل :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

للمؤمنين وحدهم ، لذلك إذا آمنتَ بالله ، وإستقمتَ على أمره ، ولُذتَ بحِماه وأويت إلى جنابه فأول ثمرة من ثمرات الإيمان أن الله يُدخلك في رحمته ، ويُطمئِن قلبك .. فهناك أشخاص قلوبهم بأعلى درجة من النشاط أوردتهم شراينهم دَماغهم أعصابهم ، ومع ذلك فهم يشعرون بالمرض ، ويظلُّوا يُجرون الفحوص الطبية الكاملة !!!..

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال ، للكثيرين من خَلقه ولكنه يعطي السكينة بقدَر لأصفيائه المؤمنين ، هذه السكينة خاصة بالمؤمنين ، والله أيها الإخوة ؛ إنكم لتَرَوْن في قلب المؤمن من السكينة ، والطمأنينة ، والرضا بقضاء الله وقدره ، والشوق إلى لقياه ، والراحة إلى قضائه ، ما لو وُزِّع على أهل بلد لكفاهم .

المؤمن سر ، الله عز و جل يضع سره في المؤمن ، ترى أن دخله أقل من حاجته ، و تراه مطمئناً ، و هناك من

يخــزّن الــذهب والعملات الصعبة وإذا حدث خطر فله ببلاد أخــرى أرصدة ضخمة ، ومع كل هذه الأرصدة ومع كل هذه الإمكانــيات ، ومــع كل هذه الاحتياطيات ، فإن الخوف يأكل قلبه .

لــو سألتني عن قانون الخوف ، أقول لك إنه الشرك ، قال تعالى :

سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾

(سورة آل عمران)

الشرك يعني الخوف ، قال تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

(سورة الشعراء)

فــالله عز و جل حي ، و الحي نقيض الميت ، و الحياة نقــيض الموت ، ورد في القرآن الكريم كلمة " الحيوان " ؛ و تعني جنس الحياة قال تعالى :

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(سورة العنكبوت)

أصل الحياة في القرآن يعني الحي ، أي هو دار الحياة الدائمة ، حياتنا في الدنيا حياة مؤقتة ، كل إنسان له عمر ، فكل هؤلاء الذين على الأرض بعد مئتي عام لا ترى منهم أحداً ، فالخمسة آلاف مليون إنسان لا تجد بعد مئتي عام منهم أحداً في كل القارات الخمس .

قفْ في شرفة بناء وانظر إلى الشارع المزدحم بالسيارات والمُشاة كل هؤلاء سيكونون تحت أطباق الثرى بعد حين ، وسوف يطويهم الموت ، فحياتنا حياة مؤقتة ، أما الحياة الحقيقية ، الحياة الأبدية الدائمة ، الحياة التي لا موت معها ،هي حياة الدار الآخرة .

سمعت بعض الفنانين بمصر ، ما ركب طائرة في حياته ، خشية أن تقع فيموت ، اعتنى بنظام غذائه عناية تفوق حد الخيال ، يأكل يومًا سمكًا ويومًا دجاجًا ، طعامه لحم خفيف ، لحم أبيض ، ومساءً فواكه ، ومع كل هذه العناية والحرص ، وذلك الحذر فقد مات .

عش ما شئت فإنك ميت

وأحبب ما شئت فإنك مفارق

واعمل ما شئت فإنك مَجْزِيٌّ به

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ،

والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر .

حياتنا في الدنيا غير حقيقية ، حياة مَجازية ، حياة مؤقتة ، لأنه يعقبها موت ، يعقبها زوال ، يعقبها عدم .

و بصراحة ، يكون إنسان ملء السمع والبصر ، متألقاً ، ذكياً ، قوياً غنياً سيد بيته ، أولاده أمامه متأدبون ، وزوجته خاضعة له ، فإذا مات ؛ يحدث . حزن شديد ، بعد أسبوع ، يُقِل الحزن ، بعد أسبوعين يبتسمون ، ثلاثة أسابيع يُرفع الشّعار الأسود ، بعد شهرين أوْ ثلاثة وكأنه لم يكن ، يقولون إذا ذُكِر المرحوم لقد انتهى ، وكل واحد منا على هذا الطريق وكأنه لم يكُن ، لذلك فإن الله فرق بين الحيوان والحياة قال تعالى : " وَمَا هَذِهِ الحياةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحيوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " .

الحيوان ، تعني : الحياة الحقيقية ، الحياة الخالية من كل نغص ، هل منا أحد ليس لديه منغصات ؟ هذه سُنَّة الله في الحياة الدنيا : " إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى.."

استعرض حياة الناس .. زوجة جيدة ، لكن أولاد سيئون .. أو أولاد جيدون وزوجة سيئة ، أو زوجة جيدة أولاد جيدون لكن الدخل قليل ، أو دخل كثير ولكن عقم من دون أولاد .. أو دخل كثير وله أولاد لكن الصحة متردية ، والمرض يُنغّص حياته .

طبيعة الحياة الدنيا قائمة على المُنغِصات ، لذلك حياتنا الدنيا ليست حياةً أرداها الله لنا .. أرادها الله لنا ممراً ، أرادها الله لنا معبراً أرادها الله لنا مدرسةً ، أرادها الله لنا إعداداً للآخرة ، ما أرادها الله لنا استقراراً ولا ركوناً ولا خلوداً .

فكل إنسان يتحرك حركةً خلاف تصميم الله عز وجل يشقى .. الحياة الدنيا حياة مفعمة بالمنغصات ، هكذا أرادها الله ، هكذاَ صُمِّمَت ، من أجل ألا تركَن إليها ، من أجل أن تجعلها مُنطلقاً ومَعبراً ، لذلك ورد في الحديث : " إن أشقى الناس في الدنيا أرغبهم فيها ، وإن أسعد الناس فيها أرغبهم عنها " . اتركها تأتك ، أقبل عليها تَفر منك .

" أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه "

و كلمة حيَّاك الله ، يعني أبقاك حياً ، لنستعرض ماذا تعني كلمة حياة ؛ أحيا الله الأرض ، أخرج منها النبات ، أحياها بالغيث أنزل عليها المطر ، الحي في صفة الله تعالى

هــو الباقي .. فإذا قلنا الله حي يعني حياةً دائمة ، وإذا قلنا فــلان حي حياته مؤقتة .. شيء قد يلفت النظر ، قد يشترك الإنسان في صفة مع خالقه ؛ الله حي والإنسان حي ، ولكن يجــب أن يؤمن إيماناً يقينياً أنه " ليس كَمِثْلِه شيء " .. كل مــا خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .. إذا قلت الله حي ، يعني حياة دائمة باقية ، هو الباقي ، فلان حي حياة مؤقتة .

الــنقطة الثانــية ؛ الحــي في صفة الله أنه باقٍ حياً بذاتــه ، أما أنت وأنا وكل واحد منا حي لا بذاته ، بل بإمداد الله له ، فإذا قطع الله الإمداد صار جثة هامدة ، والواحد منا ألف سبب يسلبه حياته ويجعله خلال لحظة ميتاً مرة سكتة دماغية ، ومرة سكتة قلبية ، ومرة اضطراب بكهرباء القلب ومــات الإنسان ، فإذا انتابته نوبة خفقان أذيني شديد يموت باسترخاء القلب ، مئة و ثمانون ضربه وبعدها يرتخي القلب ثم يموت الإنسان .

فــالله عــز و جل حيٌّ بذاته ، حياته ليست مستمدة من جهــة أخرى نحن حياتنا نستمدها منه ، عمر الإنسان بعمر شــرايينه ، عمــره متعلق بقلبه وشرايينه و دسامات قلبه ، مــتعلق بجهــازه العصــبي، مــتعلق بعمل الدماغ ، متعلق بالكليتــين .. لــو أن البول احتبس في الكليتين ست ساعات تــتوقف الكليــتان ، وإذا توقفت الكليتان ينتهي الإنسان ، لا يعيش الإنسان ثلاث ساعات من دون كبد ، إذا تشمَّع تشمعاً كاملاً خلال ثلاث ساعات يموت الإنسان .

مــرةً التقيت مع إنسان شديد الأذى للناس ، والأذى في طــبعه ، قال بعض الشعراء في وصفه ، ووصف أمثاله من الناس :

أنا حرّ ومذهب كل حر مذهبي
ما كنت بالغاوي ولا المتعصب
يأبى فؤادي أن يميل إلى الأذى
حب الأذية من طباع العقــرب
لي أن أرد مُساءة بمُســـــاءة
لو أنني أرضى بظرف خلبــي
حَسْبُ المسيءَ شعوره ومقالـــه
في سره يا ليتني لم أذنــــــب

فمــرة التقــيت مع إنسان شعرت أنه يحب الأذى ، كلما أوقع الأذى بإنسان شعر بنشوة ، أردت أن أعظه وأن أضيّق عليه لعله يرعوي ، قلت له ، إن الله عنده السرطان في كل أنحــاء الجســم ، بــدءاً من الجلد إلى الدم إلى العظام إلى الأحشاء ، إلى الدماغ .. والله عنده تشمع كبد ، وعنده فشل كلــوي ، وعــنده اضــطراب نظم القلب ، ذكرت له أمراضاً وبيلة ، كل مرض ينخلع القلب له، وهؤلاء الذين أمامك كلهم عباده ، فإذا أسأت إليهم انتقم منك فانتبه .

المؤمن الصادق ، أي إنسان أمامه يراه عبداً لله ، دون أن تعرف من هو فإذا أردت أن تتقرب إلى الله فقدم لهذا الإنسان خدمة ، والله وحده يجازيك . قال تعالى :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(سورة البقرة)

هـذا الإله العظيم ، يقول لك أقرضني ، أقرضني بخدمة أحد عبادي أما الآن فنرى مِن من ضعف الإيمان ، وانهماك الإنسان بالمال ، ما يُحزن القلب ، و أصبح الكثيرون لا يغيثون لهفة ملهوف إلا بمال .

أحياناً الخدمة تكلّفهُ هاتفاً ، وأحياناً الخدمة تكلّفه بطاقة توصية أو كلمة ، أحياناً تكلفه غض بصر فقط ، ولكنه لا يرحمك ، لا يرحمك إلا بمبلغ فوق طاقتك ، تشعر بأنك ذُبحت ، حتى يرحمك ، وهذا النوع ليس له أجرٌ إطلاقاً عند الله تعالى ، لأنه أدّى خدمة بأجر.

" مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " .

إخـدم العباد ، وابتغ هذا العمل عند رب العباد ، أعط العــباد ممــا أعطاك الله ولا تخشَ لومة لائم ؛ أجل لا تخشَ فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

حياتنا غير ذاتية ، حياتنا متوقفة على أجهزة كثيرة إذا توقف أحدها نموت .. فالإنسان عندما يكون مضطجعاً ويقف فجأة يضطرب جسمه بشكل لا يصدَّق ، يأتي أمر عن طريق شوارد معينة في الدم ، تضيق كل شرايين الجزء العلوي في الإنســان ، لأن الإنسان إذا كان نائماً ثم وقف فجأةً ، فالدم بحكــم الجاذبــية يهبط إلى الأسفل ، فما الذي يُبقي الدم في الرأس .. لو أن الدم نقص في الرأس يصاب الإنسان بالدوار ويقع .. إذا تقدم الإنسان في السن فإن نهض من السرير قد يصيبه الغثيان لأن جهاز ضبط الوقوف بعد الاستلقاء ضعُفَ قليلاً !!!

فأنا لا أعرف كم جهازٍ في الجسم إذا تعطَّل أحدها تصبح حــياة الإنســان جحــيماً لا يطاق ، حياتنا ليست من ذاتنا ، حياتنا متوقفة على إمداد الله لنا ، على حفظه لنا .

حدّثنــي مرّة أحد أطباء العيون فقال : العين فيها ماء ، وهناك غدة تغذي هذا الماء كما أنّ هناك مصرفًا لهذا الماء ، فالمــاء الذي يفيض من الغدّة يضاف إلى ماء العين ، وهو يتناســب تمامــاً مع ما يخرج من ماء العين ، وللعين ضغط وقــد يقــيس الطبيب ضغط العين ، فإذا وجد الضغط مناسباً فالوضــع سـليم ، إذا كــان هذا المصرف مسدوداً والتغذية

مستمرة يزداد الضغط وقد تسبب عمى ، وقد تسبب أمراضاً وبيلة في الإنسان .. يعني حياتنا ، استخدامنا لعينينا فلو أنّ ذرة بحجم الهباب وقفت في مجرى تصريف ماء العين ، لغيَّرَ الدمع كرة العين ولانتابها خلط مائي ، لكن هناك غدّة تغذي لتجديد الماء ، و هناك مكان يصرف وبهذا تبقى العين سليمة ، و يبقى الإنسان سعيدًا بسلامة عينه .

فيا ترى كم جهازًا إذا تعطل تصبح حياتنا جحيماً ؟؟ فليعلم كلّ منا أنّ حياتنا غير أصيلة في وُجودها ، وحياتنا ليست من ذواتنا ، أما في الجنة ، إذا أكرمنا الله بالجنة فبها حياة ما بعدها موت و لا يعروها مرض ، و لا يخامرها خوف ، ولعل الله سبحانه وتعالى أراد أن يضاعف سعادتنا في الجنة أضعافاً مضاعفة إذا تفضّل الله علينا بدخولها ، وإذا قبل منا عملنا ، وإذا عفا عنا .. فإذا سمح الله لمؤمن أن يدخل الجنة .. فالسعادة في الجنة أضعاف مضاعفة ، فما كان من أعراض تنتابه في الدنيا كالقلق والخوف والمرض والحزن والانحدار المُريع نتيجة تقدّم السنّ... ليس لهم وجود في الجنة، إذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال لي مرةً أخٌ : " كنت من خمسين سنة أنشط مما أنا عليه الآن " قلت له طبعاً الشاب مثلا يصعد أربع درجات معاً في سلّم البناء ، أما الكبير فدرجة ، درجة ، ترى إنساناً متقدماً بالسن ماشياً ببطء ، ولقد كان شاباً زمنًا طويلا ثمّ

تقـدمت بـه السن ، وكل إنسان على هذا الطريق الإجباري سائر ، وليس له اختيار .

إذا قلـنا : إن الله حـي أي متصف بالحياة الأبدية ، لا بدايـة لها ولا نهاية لها ، هو الباقي أزلاً وأبداً ، والحي هو الذي لا يموت ، لأن الذي يجوز عليه الموت حُكم عليه بأنه ميِّت ، دقِّق باللغة ، قال تعالى :

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة الزمر)

الـذي تنتهي حياته إلى الموت هو في حكم الميِّت ، أما إذا مـات فعلاً يسمى مَيْت ، فميِّت تعني أنه سيموت وميْت تعني أنه مات فعلاً .

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

(سورة الأنعام)

فكـل مـنا مـيت أي محكوم عليه بالموت مع وقف التنفـيذ، ونحن إذا قلنا عن أنفسنا أحياء ، فحياتنا مزورة ،

لأنـــنا ميّـــتون بأمر الله ، ميتون بقضاء الله ، ميتون بأصل وجـــودنا على وجه الأرض ، قال تعالى : " إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ " .

الحي هو دائم الحياة له البقاء المطلق ، و الإنسان مهما عـــاش لابد من أن يموت ، فحياته مقيّدة بعمره ، أما من له الـــبقاء المطلق فهو الله عز وجل كلمة مطلق كبيرة جداً ، ومدلولها واسع .، فمثلاً : الآن على الأرض يوجد ستّة آلاف ملـــيون إنسان فمن زمن آدم إلى يوم القيامة كم إنساناً ؟ .. الله أعلـــم ، ولا يجوز أن يُظلم إنسان واحد منهم ، لأن الله تعالـــى عدلُـــه مُطلق وليس نسبياً ، أما أي قاضٍ إذا فصل فـــي ٩٩٩ حكمًـــا وكان في واحدٍ منها ظالماً فاسمه عادل ، ولـــو أنه فصل في ٩٠ بالمائة من قضاياه و كان عادلاً في عشـــرة مـــنها ظلمـــاً خطأً منه أو عدم إدراك الحقيقة اسمه عـــادل ، والإنســـان نسبي ، يقال فلان مرتَّب فترتيبه نسبي (أي حســـب الظروف) ، فلان نظيف ، نظافة نسبية ، فلان دقـــيق دِقّـــة نسبية ، فلان كريم ، فكرمه نسبي ، فالإنسان نسبي ، أما عدل الله عز و جل فهو مُطلق ، أي إذا قال الله تعالى :

وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا
مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا
عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾

(سورة الكهف)

فلا يظلمُ ربُك أحداً أبدًا حتى ولا عصفورًا واحدًا ، ولا دابَّة ، فالله عز وجل مطلق ، الحي هو دائم الحياة له البقاء المطلق ، والإنسان عندما يربط وجوده أو سعادته أو أهدافه ، أو مصالحه بإنسان يموت فقد ارتكب حماقة كبيرة ، الإنسان إذا ربط سعادته بإنسان يموت ، فسعادته مرتبطة بهذا الإنسان فإذا مات ماتت معه .

لذلك فالإنسان العاقل يربط مصيره مع اللهً ، ولا يعتنق إلا مبدأ الله ولا ينضم إلا إلى أهل الله ، ولا يتحرك إلا وفق الحق ، لأن الحق هو الله ، وإذا استقام على أمر الله ، فالله هو الحافظ ، وإذا كان في ظل الله فالله هو الذي يؤيده وينصره ، فكل إنسان ربط مصيره مع الله فهو السعيد حقًا ، هو الذي يتفوق ويفوز .

لا زلت في الحديث عن معنى كلمة الحي ، و الحي هو دائم الحياة الذي له البقاء المطلق ، فأقول :

هو الذي لم يسبق وجوده عدم ولا يلحق بقاءه فناء ، أيّ إنسان بالتاريخ القريب والبعيد ربط مصيره بإنسان ،

فلمـــا وقـــع هــذا الإنسان وقع معه ولما انهار انهارَ معه ، فمغامــرة ومقامــرة ، أن تــربط مصـــيرك بمصير مخلوق يموت ، أما بطولتك وذكاؤك وتفوقك ونجاحك في الحياة أن تــربط مصـــيرك بالحي الذي لا يموت ، فكل إنسان لو مات إنســان وكـــان مـــع الحي الذي لا يموت فهو لمْ يمُتْ . قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

(سورة آل عمران)

أنـــا لا أنســى فــي الســيرة موقف النبي عليه الصلاة والســلام لما خاطب قتلى بدر من الكفار، خاطبهم بأسمائهم واحداً واحداً ، يا فلان يا فلان يا فلان : " هل وجدتُم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، لقد كذَّبتموني وصدَّقني الناس ، وأخرجتموني و آواني الناس ، وخذَلتموني ونصــرني الناس ، قالوا أتخاطب قوماً جيفوا ؟ (أي ماتوا وأصبحوا جيفا) قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " .

هـــم يســمعوني كمـــا تسمعوني أنتم ، فالحياة دائمة ، والمـــوت عـــبارة عــن ثـــوب خلعته فقط ، أنت هو أنت ، مشـــاعرك ثقافتك ، ذكرياتك ، إقبالك معرفتك بالله هي هي ،

إلا أن الثوب الذي تلبسه نُزع عنك وصار هناك ثوب آخر ، لذلك خط المؤمن البياني صاعد حتى عند الموت يبقى صاعداً، وما الموت إلا نقطة على الخط الصاعد .

بصراحة أقول لكم : الزمن ليس في صالح الكافر ، بل هو في صالح المؤمن ، فالكافر وضع كل ما يملكه من البيض في سلة واحدة ، كل أهدافه في الدنيا ، كل سعادته في المال والشهوات والنساء والسهرات والحفلات ، كل إنجازه مادي ، فكلما تقدم به الزمن ضعفت قدرته على الاستمتاع بالحياة ، فحركة الزمن ليست في صالح الكافر ، لأن مضي الزمن أولاً يُضعف قدرته على المتعة ، يضعف قدرته على الاستمتاع بالحياة الدنيا ، بالطيبات بالطعام بالشراب بالنساء ، لذلك عنده قلق عميق يخشى الموت ، يخشى ما يرتبط بالموت ، يكره القرآن لأنه يُقرأ على الأموات ، يكره بعض النباتات لأنها توضع على القبور .

أغرب شيء كنت مرةً في لبنان وجدت محلاً ضخماً يبيع لوازم الموتى يسمونه صالة كبيرة ، لا أحد يرغب بأن يدخل لهذا المكان ، إلا طبعاً التجار الذين يتعاملون مع هذه المواد .

فالموت لغير المؤمن مخيف جداً ، نهاية حتمية ، أما المؤمن فمضي الزمن لصالحه ، فكلما امتد به العمر قرَّبه من سعادته المطلقة ، كلما امتد به العمر قربه من لقاء الله

عز وجل ، كلما امتد به العمر قربه من عُرسه ، وكلما امتد به العمر قربه من تحفته التي هي الموت .

ما قولك في أنّ بعض الناس ينخلع قلبه عند ذكر الموت ؟ بينما بعضهم يتمنى لقاء الله عز وجل ؟! تصور أن النبي عليه الصلاة والسلام ، لما خيّره جبريل بين أن يبقى حيًّا في الدنيا وبين أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، قال : " بل الرفيق الأعلى " ماذا رأى النبي ؟ فعندما تكون حياة الإنسان بذلاً و استقامة و عطاء و خدمة للناس و التزاماً بالشرع و ورعاً ، وهو يحيىَ ليُرضي الله عز وجل فالموت عند هذا جزء من سعادته العظمى ، لذلك هؤلاء الذين يأتيهم الموت وهم على طهارة يأتيهم بأحب الأشياء إليهم على الإطلاق ، وموتهم نوع من السعادة لذلك قال الله عز وجل :

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

(سورة الزمر)

سلام .. إذا دعيَ شخص إلى وليمة وكان ضيف الشرف الأول ، فإنك ترى حس الاستقبال ، والترحيب المصافحة الابتسامة العريضة يا أهلاً ويا سهلاً ، نوّرتم نحن على شوق لهذا اللقاء ، المكان واسع لائق ، والماء البارد دونه ،

وأطـباق الطعـام على اختلافها ؛ ألوانًا مذاقا فهذه صورة ، فـإذا أكـرمك إنسـان فـي الدنيا ، فكيف إذا أكرمك خالق الأكوان ؟! وشتّان بين تكريم زائل ، وتكريم باق أبدًا . لذلك قال تعالى :

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾

(سورة يونس)

و الـزيادة المقصـودة فـي الآيـة هي رؤية وجه الله الكـريم ، ورد في الأثر وفي الأحاديث الصحيحة أن المؤمن ينظر إلى وجه الله الكريم فيغيب خمسين ألف عام من نشوة النظرة !! *قال تعالى :*

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

(سورة القيامة)

و أكبر عقاب لأهل الكفر ، قال تعالى :

كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

(سورة المطففين)

محجوب عن الله عز وجل .

قـــال بعــض العلماء :في معنى الحي: " هو الموجود وجوداً واجباً ".

مَـــن هو واجب الوجود ، وما هو ممكن الوجود ، وما هـــو مســـتحيل الوجود ، فالكون كله ممكن الوجود ، والله واجب الوجود .

و قال بعضهم : " الحي هو الباقي من أزل الأزل إلى أبد الأبـــد "، وأنـــت معـــه والأزل هو عمق الوجود ودوامه في الماضي ، والأبد هو دوام الوجود وبقاؤه في المستقبل .

و قيل : الحي الذي ليس لحياته زوال والذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون ، قال تعالى :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة القصص)

الإمام الغزالي يُعرّف الحي " بأنه الفعَّال الذي لا يموت " فالحي الكامل المطلق وهو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه .

الفعَّال ؛ الدَّرَّاك ، و الدراك صيغة مبالغة من الإدراك ، يعنـــي أن علمه مطلق ، وفعله مطلق ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم .

أحـــياناً مديــر دائــرة تمــر عليه ألف قضية من وراء ظهره ، بذكاء تمرُّ من تحته ، لا يشعر ، ليس عنده إمكانية أن يعــرف مــا يجــري بغيــر الغرفة التي هو فيها ، تأتيه معلومات ، من داوم ومن لم يداوم ، يتفق موظف مع مراقب الــدوام ، يســجله موجــودًا بينما هو مسافر ، فأحياناً تجد إنســانًا علـــى أعلى درجة من الذكاء وتمر عليه ألف قضية دون أن يعلم .

الإمام الغزالي يقول الحي ؛ هو الفعال ، الدَّرَّاك ، يعني علـــى كل شيء قدير وبكل شيء عليم ، يعني قدرته متعلقة بكل ممكن ، وعلمه متعلق بالواجب والممكن والمستحيل .

يقــول القشيري ، الحي ؛ " هو الله تعالى حي ، وحياته صفة من صفاته زائدة على بقائه ، فهو دائم البقاء الذي لا سبيل إلى فنائه ".

اســم الحي القيوم ورد في القرآن خمس مرات ، ورد في البقرة في آية الكرسي ، وهي سيّدة آي القرآن ، وأعظم آية فيه ، قال تعالى :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ
مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ
وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ
ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥

(سورة البقرة)

أحـيانـاً شـخص يكون ملء السمع و البصر ، شخصية فـذة ، فـإن سـهر إلى الساعة الواحدة ليلاً غلبَه النُّعاس و أضـجعه ، فمهمـا كان ذكياً ومهما كان قويا لم يعد لديه مقاومـة ، فانتباهه وذكاؤه مع الإرهاق يتلاشى و يكبو .

قـد تـرى سياره ثمنها خمسة ملايين ، عشرة ملايين شاحنة ضخمة هَوَتْ جانبًا ، بل تحطَّمَت ، فكل من سافر إلى حلب مثلا يشاهد حادثين أو ثلاثة ، فالسيارات هوَتْ وانقلبَت لأنّ صـاحبها نـائم " النوم سلطان وقدرته نافذة "، فالله عز وجـل لا تأخـذه سِنَةٌ ولا نوم أما نحن بني البشر فنِصفُ أعمارنـا نـوم . لكـن الله لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ مَـا فِـي الأرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإذْنِهِ " .

الآية الثانية في آل عمران :

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾

(سورة آل عمران)

في سورة طه :

۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾

(سورة طه)

في سورة الفرقان :

وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾

(سورة الفرقان)

في غافر :

هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

(سورة غافر)

روى الإمـــام الـــرازي أنه مات لبعضهم ابن فبكى عليه حتـــى عمي فقال بعضهم له : الذنب ذنبك ، لأنك أحببت حياً يمـــوت ، ولو أحببت الحي الذي لا يموت لما وقعَت في هذا الحــزن !!! قـــال النبي الكريم : " لو كنتُ متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي " .

أنـــا فـــيما أعتقد أنّه لا يوجد رجلان على وجه الأرض أحـــبا بعضـــهما حـــباً إلى درجة غير معقولة كحبّ أبي بكر لرســـول الله صلى الله عليه وسلّم ، أعطاه ماله كله ، قال يا أبـــا بكر ، ماذا أبقيت لنفسك؟ قال الله ورسوله ، و قال عنه صـــلى الله عليه وسلم : " ما ساءني قط ".. قال أيضًا : " ما طلعت شمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر " ، و "ما دعـــوتُ أحـــداً إلـــى الإسلام إلا كانت له كبوة ، إلا أخي أبا بكر "..

لـــذلك إذا أكرم الله عز وجل رجلاً بعمرة وزار المسجد النبوي فإنه ينبغي أن يسلّم أولاً على النبي ، ثم ينتقل ليُسلّم علـــى أبـــي بكر رضي الله عنه ، فليسلم عليه وليذكر أقوال النبـــي فـــيه فتضطرب نفسه ويبكي ، قال : ما ساءني قط فاعـــرفوا له ذلك " هذا الصديق ، ومع ذلك " لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لكان أبو بكر خليلي... ولكن أخ وصاحب في الله حتى يجمع الله بيننا " .

كل إنسان يضع كل أمله كل حبه ، يعلق كل قلبه بإنسان من دون الله يسقط . لذلك عندما نزلت براءة السيدة عائشة

مــن فــوق ســبع ســماوات وفرحت فرحاً شديداً ، و كان أبــوها عــندها ، وقال لها قومي إلى رسول الله واشكريه ، قالــت :" والله لا أقوم إلا لله ، بل أشكر اللهَ أولاً . " .. تبسم علــيه الصــلاة و السلام و قال لقد عرفت الحق لأهله ، لقد عرفت الفضل لأهله" .

الله هــو الموجود ، وكلما وحَّد الإنسان ربّه كثيرًا أحبه الله أكثــر ، والمؤمن لا يعبأ بأحد ، أديب مع الناس كلهم ، يحترمهم جميعاً ، يخدمهم جميعاً أما قلبه لا يعلقه إلا بالله ، هــذا هو التوحيد ، الله يغار ، إن رأى قلبك مع غيره ، هذا الغيــر ضايقك بإلهام من الله من أجل أن تفك ارتباطك معه فلــتكن ذكياً ولا تعلّق قلبك إلا بالله مباشرةً ، وعامل الناس بالإحسان .

تحــدثت مرةً عن بحث خطير جداً .. هناك حبٌ في الله وحــب مع الله ، الحب في الله من كمال الإيمان ، فأنا أحب أخــي المؤمن لأنني أحب الله ، أحب زوجتي لأنها مستقيمة ولأنني أحب الله أحبها ، أما إذا أحببتها مع الله ، يعني نفذت أمرها وعصيت الله ، إذا أحببت إنساناً مع الله ، أرضيته ولم تُرضِ الله وبذلك تكون قد هويت في منزلق ، الحب مع الله عــين الشــرك والحــب في الله من كمال الإيمان ، يجب أن تفــرِّق بدقة بالغة بين أن تحب مع الله ، وبين أن تحب في الله .

محـــبة النبي محبة في الله ، محبة أهل الحق محبة في الله ، محـــبة إخوانك في الإيمان محبة في الله ، محبة أهلك وأولادك محـــبة فـــي الله أمـــا إذا أطعـــت مخلوقاً وعصيت الخالق ، بدافع الحب ، فهذا حب مع الله وهو عين الشرك ، والعياذ بالله .

وبعـــد فالإنسان يحب من حوله ، يحب زوجته وأولاده وإخـــوانه ، ثم يأتيه ملك الموت ، سيبقى في القبر وحيداً ، أشـــد الـــناس حباً له يشيّعه حتى شفير القبر ، طبعاً النساء يودِّعـــنَه في المنزل ، أما أولاده الذكور فوداعهم إلى شفير القبر يُلقون عليه النظرة الأخيرة ، ولكن بعد أن يضع الحفّار تلك الرقاقة وبعد أن يُهيل التراب ، وينصرف الناس،من بقي مع هذا الإنسان ؟! الحي الذي لا يموت هو الذي يبقى معه.

يقول له : " عبدي رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك ولم يبقَ لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يموت " !!!.

ألـــيس من الذكاء أن تُقيم علاقات طيبة مع الحي الذي لا يمـــوت لأنـــك ســـوف تنفرد معه ولا أحد معك ، والأهل ينصـــرفون إلى طعامهم إلى شرابهم بعد حين إلى نزههم ثم إلى متعهم ، بعد حين كأنك لم تكن ، فالأولى أن تحب الله .

هـــذا الذي يقول لك : أنا من أجل أولادي لم أدفع زكاة مالي ، لن ينجو من عذاب الله ، ومن أجل ولد معين لم يعدل بين بقية أولاده فلقي الله عز وجل وهو عليه غضبان .

هــل من إنسان يستحق أن ترضيه وأن تسخط الله عز وجــل ؟ هل من إنسان على وجه الأرض يستحق أن تُرضيه بســخط الله ؟ فمن يعتقد مثل هذا ويتصرف بغير الهوى من الله فهو أحمق .

أعــرف آبــاء كثيــرين من أجل بقاء المال مع الذكور يحــرمون الإناث ويلقى الله وهو عليه غضبان ، فهل أولاده ينفعونه أو يدفعون عنه عند الله عز وجل ؟؟؟

سُئل ابنٌ عاق إلى أين تذهب ؟ قال : ذاهب لأسكَر على روح والدي .. السُكر على روح والده !!! ترك له أبوه ثروة طائلة وحرم بناته ، فهل نفعه هذا الولد بعد الموت ؟؟!! .

لــذلك لــيس من مخلوق على ظهر الأرض يستحق أن ترضيه بسخط الله .. في الأرض كلها . .فهي أرض الله ولا تعبأ بأحد .

فليتكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غِضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الودُ فالكُلُّ هَيــــــنٌ
وكُلُّ الذي فوقَ التُرابِ تــُرابُ

بقــي الــتخلق باسم الحي ، فاحذر أن تكون مع إنسان كالمــيت بــين يــدي غاسلِه ، فالحذر الحذر أن تركن كلية لإنســان ما ، ولكن قال العلماء " لتكن بين يدي ربك كالميت بين يدي مُغسِّله".

همُ الأحبة إن جاروا وإن عدلوا

فليس لي عنهمُ معدل وإن عدلوا

والله وإن فتَّتوا في حبهم كبدي

باق على حبهم راض بما فعلوا

فالمــؤمن إذا أعطاه ربه ، وإذا منعه ، وإذا قرَّبه وإذا أبعده ..يبقى متعلقا بربه فعطاؤه ومنعه لخيره

كن مع الله ترَ الله معـــــك

واترك الكل وحاذر طمعك

وإذا أعطاك فن يمنعـه

ثم من يُعطي إذا ما منعــك ؟؟!!

لــيس لك إلا الله عز وجل ، فالمؤمن الصادق بين يدي الله كالميت بين يدي المغسِّل ، راضٍ بقضائه ، راضٍ بقدره راض بــرزقه ، راض بعطائـــه في كل الأحوال، كيفما شاء فكُن في يده

في الورى إن شاء فذاً ذقتَه وإذا شاء عليهم رفعـــك

هذه مِلَّةُ طَهَ خذ بهـــــا لا تُطِع عنها قصوراً دفعك

و الحمد لله رب العالمين

******

البارئ المصور

البارىء المصوّر

أيها الإخوة المؤمنون نحن اليوم مع اسم الله تعالى " الباريء المصور " ، لقد درجت الكتب التي تتحدث عن أسماء الله الحسنى على أن تشرح الأسماء الثلاثة : الخالق و البارئ و المصوِّر معا في سياق واحد ، وقبل أن أنتقل إلى اسم الله البارئ المصور لابد من وقفة قصيرة مع اسم الخالق يمكن أن تتساءل كيف يقول الله عز وجل :

{ فتَبارك اللهُ أحسنُ الخالقين }

(سورة المؤمنون)

وكيف يقول في آية أخرى :

{ يا أيُّها النـاسُ اذكُروا نِعمةَ اللهِ عليكم هل مِن خالق غيرُ اللهِ يرزقكُم من السماءِ والأرض* لا إله إلا هوَ فأنّى تؤفكون }

(سورة فاطر)

في الآية الأولى يُثبت الله عز وجل أن هناك خالقين كثيرين لكن الله أحسنهم ، وفي الآية الثانية يقول هل من خالق غير الله ؟ هو ينفي عن طريق الاستفهام الإنكاري أن يكون في الكون خالق غير الله .

فالإنسان حينما يقرأ القرآن قراءة أولية ، ولا يتعمّق في العلـــم ولا يسأل أهل الذكر ، وحينما يقف عند آية من الآيات المتشابهة ولا يحاول أن يسأل عنها فقد يشعر أن في القرآن تناقضـــا ، ولـــذلك فهـــؤلاء الغربيّون أو المستشرقون الذين درسوا ما في الشرق من أديان ومن ثقافات ، هؤلاء قالوا إن فـــي القرآن تناقضا ، وهذه نظرة ساذجة أولية لا تقف على قدميها ، فالعلماء المحققون قالوا : " إذا قال الله عز وجل : " تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين " يعني ؛ أي إنسان أخذ مواد أولية مـــن الأرض وصـــنع مـــنها شيئا ، ونُسِبَ الخلق عندئذ إلى الإنســـان ، فتعـــريفه كما يلي : الإنسان خالق إذ يصنع من شيء موجود شيئا على مثال سابق " ، فإذا قلت " فتبارك اللّه أحْســـن الخالقين " ، فهؤلاء الذين يصنعون نماذج في بعض محلات الألبسة ، ويضطرون إلى صنع تماثيل يضعون عليّها الألبسة ، فهذا التمثال إن كان من شمع أو من جبس أو من أية مادة ، اجعله إلى جانب إنسان من لحم ودم ولاحظ الفرق بيـــنهما فهـــذا إنسان فيه حياة وله فكر وقلب ومشاعر وهو ذكـــي يســـتنبط ويحـــاكم ويفكر ويتفاعل ويغضب ، ويخاف ويـــرجو وله أوعية وشرايين وأعصاب ، وعضلات ودماغ وجهـــاز عصبي ، فإذا وازنت بين من يصنع هذا التمثال كي توضـــع عليه الألبسة ، وبين من يخلق هذا الإنسان من لحم ودم ، فَفَرِّق " فتبارك اللّهُ أحْسنُ الْخالقين " .

وإذا رأيــت وردة طبيعــية تفــوح برائحة زكية ، فأنت تشــعر أن قلــبك قــد هفا إليها ، وإن باقة ورد تُضفي على المكــان أنســا وفرحا وسرورا ، وإذا دعي الإنسان إلى عقد قــران رأى الأزهار . وهذه النباتات الطيبة الرائحة بألوان مخــتلفة دقيقة جدا ، ولا تعرفون قيمة التلوين إلا من خلال صــنع الحكيم .. فالفراشات والأزهار هي الأساتذة لمهندسي التلوين ، فلو نظرت إلى مركَبة حديثة جدا ، فإنك تجد ألوانها مقتبســة إمّــا من زهرة أو من فراشة ، يقول العوام " هذا أصــفر غيــر راكــز " وهذا لون زهر جميل جدا بينما يمكن تدريج اللون الواحد إلى ثمانمائة ألف درجة والعين البشرية تفرّق بين كل درجتين ، وإذا وضعت في بيتك وردا صناعيا ، فــبعد أســبوع تضيق ذرعا به ، و بعد فترة قد يمسك بهذا الورد ويضعه في سلة المهملات ، إذ لا يَحتمله ، رغم منظره الجميل وحجمه الكبير وألوانه الزاهية فالفرق كبير بين الورد الطبيعــي والورد الصناعي ، وانظر إلى عين صُنعت لتكون وســيلة إيضاح ، و إلى العين البشرية ، ففيها مائة وثلاثون ملــيون عصــية فالعصب البصري مؤلَّف من تسعمائة ألف عصب ، فوازن بين آلة تصوير وبين العين ، فالعين الواحدة في الثانية تلتقط عشرات الصور ولابد من أن تُمحى الصورة الأولى لتأتي مكانها الصورة التالية ، و لو أن الصورة تنطبع فــي العــين وتبقى فالرؤية تستحيل كما أنها ترى الحركات والســكنات حتــى إن الذي اخترع السينما ، قامت لديه على

مجمــوعة صــور تعرض تباعا في زمن قصير بحيث تتوهم أنهــا متحركة ، بينما هي صور ثابتة وجامدة ، فكذلك العين لابد من أن تنطبع هذه الصورة على الشبكية أولا ، وبعد ذلك تُمحى وتأتي الصورة التي تليها وهناك عتبة للرؤية ، وهذه العتــبة تريك الأشياء متحركة ، فإذا وازنت بين العين وبين آلــة تصــوير ، وبين وردة طبيعية و وردة صناعية وتمثال مــن شــمع وإنسان حقيقي فمجال الموازنة كبير جدا ، فإذا أردت أن ترى صنعة الإنسان فلاستخراج خمسة بوصات من المــاء حيـنما تكــون في بستان تسمع صوت المحرك يُصِم الآذان ، أما حينما يهطل المطر مدرارا بكميات كبيرة جدا فلا صوت ولا صخب ، قال ربنا عز و جل :

{ وتَرى الجبالَ تحسبُها جامِدةً وهي تمرُّ مَرَّ السحابِ صُنْعَ اللهِ الذي أتْقنَ كُلَّ شيءٍ إنَّهُ خبيرٌ بما تفعلون }

(سورة النمل)

فالجبال تمر في سرعة السحاب بلا صخب ولا ضجيج ، فإذا قرأت قوله تعالى :

{ فتباركَ اللهُ أحسنُ الخالقين }

(سورة المؤمنون)

إذن فــلا غرابة أن يسمَّى الإنسان خالقا لأنه صنع من شــيء موجــود شيئا على مثال سابق ، فإذا قلت " هلْ منْ خالــق غيْر الله ؟! " تفهم من هذه الآية أنه إذا نُسِبَ الخلق

إلــى الله فالمعنــى أن يخلق الله شيئا من لا شيء على غير مــثال سابق ، وشتَّان بين الخلق على غير مثال سابق وبين التقلــيد على مثال سبق . فالله سبحانه يخلق لحم ودم وعظم وعصب وروح . بينما يخلق الإنسان صناعة متينة .

فليس في الكون كله إلا الله يستطيع أن يصنع شيئا من دون شــيء على غيرَ مثال سابق، أما إذا قلت الإنسان يخلق شيئا فتجد حقيقته واضحة في قول الله عز وجل :

{أخلُقُ لكم من الطِّين كَهَيئَةِ الطَّير }

(سورة آل عمران من الآية ٤٩)

أجــل . كهيئة الطير وليس طيرا ، وهذا الطير مصنوع من طين ، لا من لحم ودم وروح ، إذن لا تناقض بين الآيتين إذ قــال تعالــى في الأولى : " فتبارك اللّه أحْسن الْخالقين " بينما قال تعالى في الثانية : " هلْ منْ خالق غيْر اللّه " .

ولكــن الشيء الذي يُلفت النظر وسبق لي أن أوضحته أن فــي القرآن الكريم كلمات إذا جاءت مُجتمِعةَ فلها معنى ، وإذا جــاءت منفصــلة عن بعضها فلها معنى آخر ، مثلا : الفقراء والمساكين ، هاتان الكلمتان إذا اجتمعتا تفرقتا ، وإذا تفــرقتا اجتمعتا ، أي إذا ذكر الله في القرآن كلمة المساكين فقــط ، فالمقصود عندئذ : الفقراء والمساكين ، أما إذا ذكر كلمة الفقراء والمساكين معا فالفقراء صنف والمساكين وبناء عليه إذا وردت كلمة خالق وحدها منسوبة إلى الله عز وجل

فهو الذي يوجِد من العدم على غير مثال سابق ، أما إذا قال الله عــز وجــل : هــو الله الخالق البارئ المصور ، صار " الخلــق ": هو التقدير ، و" البَرء " :هو الإيجاد من عدم و " التصوير ": إعطاء الصورة .

وبعــد ، فقــد يســأل سائل : ما علاقتنا بهذه الأبحاث المــتعلقة بأســماء الله الحسنى ؟ إنـه وقت مناسب جدا لأن أجـيب علــى هذا السؤال ، فالإجابة : أنك إذا عرفت أن الله خالــق فقــط ، فهــذا تعرفه العامة كذلك إذ لو سألت عامّة الــناس : من خلق الكون ؟ لقالوا : الله ، ولكن لو سألتهم : مــاذا تعــرفون عن الله ؟ لوجموا ، وهذا ما لابد من بحثه . فأن تنسب خلق الكون إلى الله ، هذه قضية أقرَّ بها إبليس ، والدليل أنـه قال كما جاء في القرآن :

{ قالَ فبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُم أجمعين }

(سورة ص)

فاعتــرف إبلــيس أن الله رب وعزيز ، ولكن الاعتراف والإقــرار لا يكفــي ، بل المهم هو: ماذا تعرف عن الله عز وجــل ؟ وبذلك يظهر إيمانك بالله ودرجة إيمانك به ، ولدينا مقياس دقيق وصائب، فهذا الإيمان إذا حملك على طاعة الله فهو كافٍ كي تنجو بـه من عذاب الله ، أجل إذا حملك إيمانك علــى طاعــة الله فنمّ قرير العين واطمئن لأنـه ينجيك أما إذا

كـــان بحجـــم لا يكفـــي أن يحملـــك على طاعة الله فذلك هو الضلال المبين أقول لكم كما قال عليه الصلاة والسلام :

عـــنْ أبـــي هريْرة أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم قال : " قال ربّكمْ عزّ وجلّ لوْ أنّ عبادي أطاعوني لأسْقيْتُهم الْمطر باللّـــيْل و أطْلعْت عليْهم الشّمْس بالنّهار ولمّا أسْمعْتهمْ صوْت الـــرّعْد " وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم " إنّ حسْن الظّـــنّ باللّه عزّ وجلّ منْ حسْن عبادة اللّه " وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم "جدّدوا إيمانكمْ قيل يا رسول اللّه وكيْف نجدّد إيماننا قال أكْثِروا منْ قوْل لا إله إلا اللّه" * (انفرد به أحمد) .

إذن ، إذا اكتفـــيت أيهـــا القـــارئ الكـــريم بمعرفة الله فالطـــريق أمامـــك لازال طـــويلا ، و لـــيس المهم أن يعرف المـــرء ربه و لا حجم هذه المعرفة بل المهمأثر هذه المعرفة و نتيجـــتها ، و الأثر هو الطاعة لله عز و جل ، و لذلك قال بعض العلماء في تفسير هذه الآية :

{ إليهِ يصعدُ الكَلِمُ الطيِّب والعَمَلُ الصالحُ يرفعُه }

(سورة فاطر من الآية ١٠)

مـــا الذي يجعل الكَلِم الطيب يصعد إلى الله عز وجل ؟ بالعمـــل الصـــالح الذي يرافقه ، فلو أن الكلم الطيب خلا من عمل صالح لما صعد إلى الله عز وجل " !!!!.

إذن : فالذي يرفعك هو عملك الصالح ، وعملك الصالح أساسه حجم معرفتك ، فمن الممكن أن نعطي الإيمان كما يقولون حجما ماديا لنتبيّن الحقيقة ، فلو وضعنا الإيمان في كفة ، و وضعنا الشهوات في كفة ورجحت كفة الشهوات فالإيمان لا يكفي ، والصراع قائم لا محالة .

وربنا عز وجل حينما وصف النبي عليه الصلاة والسلام قال :

{ وإنّك لعلى خُلق عظيم }

(سورة القلم)

فالنبي متمكّن من أخلاقه ، وقد انعدم أي صراع لديه ، أما إذا كان حجم إيمانك بحجم شهواتك ، أو كان وزن الإيمان الضاغط عليك كوزن شهواتك الضاغطة عليك ، أي كان الوزنان متساويين فقد دخلت في الصراع بينهما حتما ، أما إذا كان حجم إيمانك أكبر فتنجو من الصراع وتكون من الفائزين وتقترب من معنى التمكن من الخُلُقْ العظيم .

وإذا كان حجم الشهوات أكبر فقد ولج المرء باب مدخل ثان ، ونبدأ عندئذ بالسؤال التالي : لماذا أودع الله فينا الشهوات ؟ .. فلنتصوّر أولا أن الإنسان ليس لديه شهوات بل عنده عقل فقط وعقله يأمره أن يتجه إلى الله ، فأين العبودية لله ؟ لا تبدو عبوديتك ولا حبك ولا إخلاصك ، ولا طاعتك ، بل كل حقيقة الحياة الدنيا التي أساسها الابتلاء لا

تظهـر ، إذا لـيس لـدى المرء شيء من الشهوات فلحكمة أرادها الله عز وجل ، أودع فيك أيها الإنسان شهوة وأعطاك عقـلا ، فالعقـل له نداء والشهوة لها نداء ، فإذا غلب نداء الشهوة فسينطبق على هذا الإنسان قوله تعالى :

{ حتَّى إذا جاءَ أحدَهُمُ الموتُ قال ربِّ ارجِعون * لعلّي أعملُ صالِحاً فيما تركت كلا إنَّها كلمةٌ هو قائِلُها ومـن ورائِهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون * فإذا نُفِخَ في الصُّوْر فلا أنسابَ بينهُم يومَئذٍ ولا يتساءَلون * فمَن ثَقُلـت موازينُه فأولئك هم المفلحون * ومن خفَّت موازينُه فأولـئك الـذين خسِروا أنفسَهُم في جهنَّمَ خالـدون * تلفَحُ وجوهَهُم النارُ وهُم فيها كالِحون * ألـم تكُن آياتي تُتْلى عليكم فكنتم بها تكذِّبون * قالوا ربـنا غلَـبَتْ علينا شِقوتُنا وكُنَّا قوما ضالّين * ربنا أخـرجْنا مـنها فإن عُدْنا فإنَّا ظالمون * قال اخْسئوا فيها ولا تُكلِّمون }

(سورة المؤمنون)

أي غلـبَت علينـا شـهوتنا ، التـي أشقتنا ، فسمّاها بنـتائجها ، غلـبت علينا شهواتنا التي كانت سبب شقائنا ، وكـنا قـوما ضـالين ، ربّـنا أخْرجْنا منْها فإنْ عدْنا فإنّا ظالمون * قال اخْسئوا فيها ولا تكلّمون .

{ إنَّـــهُ كـــان فريقٌ من عبادي يقولون ربَّنا آمنَّا فاغفِر لَنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمين * فاتَّخذتُموهم سِـخرِيًّا حتى أنسَوْكُم ذِكري وكنتُم منهُم تَضحكون * إنِّي جَزَيتُهم اليومَ بما صَبروا أنَّهُم هم الفائزون }

(سورة المؤمنون)

إذن لابـد مـن معـرفة أن في الإنسان دافعا شهوانيا ووازعا عقليا فإذا غلب العقل على الشهوة نجا ، وإذا غلبتْ الشــهوة علــى العقــل هلك ولحكمة أرادها الله أنت ممتحَن دائما ، ممتحن بين أن تنام وبين أن تصلي ، فالعقل يقول لك قــم فصَــلِّ ، والجســم يقول اخلد إلى الفراش فأنت متعب ، تســمع أذان الفجـر ، فـيقول لك العقل قم فصلِّ هذا وقت الصــلاة والصــلاة خيــر من النوم ، ويقول لك الجسد ابقَ مســتريحا فقد سهرت طويلا وأنت إنسان متعب ، وعليك أن تقــوم إلى عملك نشيطا ، فتصلي قضاء ، لاحظ نفسك دائما فأنــت بـين نداء الشهوة ونداء العقل فإذا غلب عقلك نجوت وسعدت ، وإذا غلبت شهوتك أهلكت نفسك وشقيت .

لذلك هذا ما قاله الإمام علي كرم الله وجهه " رُكِّب المَلَك مــن عقــل بــلا شهوة ورُكِّب الحيوان من شهوة بلا عقل ، ورُكِّب الإنسان من كليهما فإن سمَا عقله على شهوته أصبح فــوق الملائكــة ، وإن سمَت شهوته على عقله أصبح دون الحيوانات " .

وما تراه عيناك في الدنيا من انحراف الناس وسقوطهم فـي مهاوي الرذيلة وانغماسهم في الملذّات المحرّمة ، إنما هي معركة انتصرت فيها الشهوة :

*﴿ وأمَّا مَن خافَ مَقامَ ربِّه و نَهى النَّفسَ عن الهوى * فإنَّ الجنَّة هي المأوى ﴾*

(سورة النازعات)

فلماذا نعرف ونفهم أسماء الله الحسنى ؟ كي يكون أمر الله عز وجل عظيما مستمدا من عظمة الله ، لا حظ نفسك لو كنت في ثكنة ، فجاءك أمر من عريِّف ، فالأمر له وقع عندك ، لو جاء من عريِّف أول لكان له لوقع آخر ، وكلما ارتفعت الرتبة كان وقع الأمر أشد ، فلو جاءك أمر من قائد الجيش لبادرت إلى التطبيق خوفِ العقاب والمسؤولية، فإذن المشكلة أن أمر الله بين الناس مبذول ، والقرآن موجود والعلماء يشرحون كل أمر فلماذا يعصي الإنسان الله عز وجل ؟ لأنه لا يعرف حقيقة الآمِر ، فلو عرفه لطبّق الأمر ؛ فإذا عرفنا أسماء الله الحسنى وعرفنا عظمة الله عز وجل عندئذ يعظّم عندنا أمره وإذا عظّمنا أمره بادرنا إلى تطبيقه ، فلذلك قيل : " أرجحكم عقلا أشدكم لله حبا ".

عنْ مسلْم عنْ مسرْوق أنه "قال كفى بالْمرْء علْما أنْ يخْشى اللّه وكفى بالْمرْء جهْلا أنْ يُعْجب بعلْمه *

وحينما نتلو قوله تعالى :

{ يا أيُّها النـاسُ اعبُدوا ربَّكم الذي خَلَقكُم والذين من قبلكم لعلَّكم تتقون }

(سورة البقرة)

إذن لمـــاذا تعـــبدونه ؟ لأنه الذي خلقكم ، وهو سبحانه خالـــق ورب ومسير فيجب أن تؤمن أنه خالق ورب ومسيِّر ويجـــب أن تـــؤمن أنه واحد في خلقه ، واحد في ربو بيته ، واحـــد فـــي تسييره ، فوحدانية الخلق و وحدانية الربوبية ، و وحدانـــية التســـيير ، هذه هي التي إذا أيقنت بها و عملت لتحقيقها و بمقتضى ما أمرك هذا الخالق نجوت و ارتقيت .

وبالمناسبة ، ففهم الاسم شيء وأن تعيشه شيء آخر ، أي إذا فهمـــت أن الله هو الخالق بمعنى أنه خلق الأشياء من غيـــر شـــيء علـــى غير مثال سابق ، فقد تنطلق في الحياة مؤمنا بأن كل ما يجري من فعله وبإرادته .

وأســـماء الله الحســـنى منها ما يكون على صيغ مبالغة اسم الفاعل فتعني الكثرة النوعية والعددية ، لكنك إذا انطلقت فـــي الحياة العملية، ورأيت زيدا وعبيدا ، وحوادث وأفعالا ، ونســـيت أن الله هـــو الذي يخلق كل هذا ويفعله وتجري به إرادتـــه ، فعـــندئذ نقول لك أنت فهمت معنى الخالق ولكن لم تعِـــش هـــذا الاسم ولم تفكر به . وبعد فإن السعادة الكبرى الحقيقية ، ليست في فهم تعريفات هذه الأسماء ولكن في أن

تعيشـــها ، ولا يمكن لك ذلك إلا إذا اجتهدت وجاهدت نفسك وهواها ، وفي ممارسة العمل الصالح وبذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس وعندئذ تُقبل على الله عز وجل ، وإذا أقبلت علـيه فهـو يُلقـي في قلبك المعرفة والسكينة والطمأنينة ، وعندئذ ترى الله في كل شيء .

لا أريـد أن يبقـى الـدرس كما يقولون أكاديميا ، أي معلـومات وتعـريفات أملأ بها صفحات الكتاب ، بل أريد أن يعيش أحدنا هذه الأسماء ، وهذا ينقلنا إلى أنّ المعلّم يختلف عن المربّي فالمعلم إنسان يُلقي على الناس حقائق ، وأدلّة ، ومعلـومات مـنظّمة ، ومبوّبة ، ومرتبة، ومصنفة مع أدلة قطعـية ، ونقلـية ، وعقلية ، وواقعية ، و فِطرية ، والبحث مـنظم ومـبوّب ، و ومبرمج ، فهو والله موضوع لطيف ، ولكـن الذي يسعى إلىَ أن يصطبغ بصبغة هذا العلم ، والذي يسـعى ؛ ليكون في مستوى هذه الأسماء ؛ وأن تمتزج بها نفسـه لا أن يفهـم تعريفاتها فقط ، هو المربّي ، فأنت أيها القـارئ الكريم حاول إذا علّمت الناس أن تكون مربّيا ؛ لأن كـل مـربّ هو في الأصل معلم ، لكن المعلم وحده لا يكفي لمـلء فـراغ النفوس والأفهام ، فالكلمة الأخيرة إذن ترتكز حـول اسم الخالق بين أن تفهم تعريفه النظري ، أو أن تفهم هذا الاسم ، وأن تعيشه مدى الحياة .

لقــد ضــربت على هذا مثلا ، مفاده ان الانسان اذا قرأ قوله تعالى :

﴿ ومَن يطِعِ اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيما ﴾

(سورة الأحزاب)

و هذا أخ مستقيم على أمر الله ، و له صديق غارق في معصــية الله لكــن هذا الصديق ذو بحبوحة كبيرة ، ويغبطه صــديقه المستقيم على ماله ورخائه و صحته الجيدة ، بينما المســتقيم يعانــي من كذا وكذا ، و يذكره إخوة له صادقون معــه : أنت مستقيم و هو غير مستقيم و تقول هنيئا له !! . فــإذن هــذا و إن قرأ هذه الآية مرات و مرات ، و لم يعِش مفهوها ولا تأثَّر بمعناها فما فهم منها شيئا .

إن الفــرق كبيــر جدا بينٍ أن تفهم أسماء الله الحسنى بحــدودها وتعــريفاتها والفــرق بينها وبعض الأدلة وأقوال العلمــاء فــيها ، وبين أن تعيش هذه الأسماء ، فإذا تأمّلت الكــون وعرفت الله عز وجل وبذلت جهدا كبيرا في طاعته ، وفي التقرّب إليه فقد عاد عليك ذلك بالخير الكثير ، وهو أنّ الله يملأ قلبك غِنى ، ونفسك بصيرة ، وترى عندئذٍ ما لا يراه الآخــرون ، وتســمع ما لا يسمعون فهذا هو التمييز ، فإذا أردنا أن نقرِّر حقيقة وهي أن هذه الأسماء الحسنى ينبغي ألا نكتفــي بفهم مدلولاتها وحدودها ، وأبعادها وتعريفاتها وما

تعنـــيه فـــي المعاني العامة والخاصة ولكن ينبغي أن نعيشها ونمتزج بها .

ولابـــد من أن يكون هناك اتصال بالله عز وجل ، حتى تعـــيش ، أيها القارئ الكريم ، هذه الأسماء وحتى تشعر أنك مع الله دائما ، وإذا كان الله معك فمن عليك ، هذا الذي قاله الإمام الغزالي ، ومن ثمَّ فلتعلم أن هناك علما بأمر الله وعلما بخلق الله ، وآخر بالله .

العلـــم بأمـــر الله وبخلـــق الله يحتاج إلى مدارسة كتاب نقرؤه ونحفظه ونفهمه : أي نعيد ونكرر ونتذكر ونكتب ، ثم نؤدي امتحاناً ونأخذ شهادة فهذه المدارسة عن طريق الكتاب والقراءة والمراجعة والفهم والتلقي والإلقاء وما شاكل ذلك ، هذه المدارسَة تؤدي إلى حفظ المعلومات ، ولكن أين تحْفظ ؟ إنها تُحْفظ في الدماغ ! .

و لكن المجاهدة ، و غض البصر ، إنفاق المال ، و برّ الوالدين و الصدقة النافلة غير الزكاة ، و قيام الليل ، وإتقان الصلوات ، و كثرة الذكر و تلاوة القرآن فهذه اسمها مجاهدة للـــنفس و طاعة لله ، ثم إذا عزفت عن رحلة لا ترضي الله و عـــن حفلة لا ترضي الله ، وطعام شهي جدا ولكن حوله مجتمع اختلاط وقلت : مَعاذ الله ، فهذه هي المجاهدة للنفس لـــردِّها عن سبل الهوى ، أي أن تجاهد نفسك وهواك ، ومن شـــأنها أن تصـــلك بالله ، وإذا اتصلت بالله عزَّ وجل جاءتك أنـــواره و ســـكينته ، وجاءتك السعادة ، والبصيرة النافذة ،

فالإنســان المؤمن شخصية فذة ، أي يتمتع برؤية صحيحة ، فيــرى حقائــق الأشــياء ، وبواطــنها ، و ما تنطوي عليه و أبعادهــا الحقيقية و خلفياتها الغائبة عن معظم الناس ، فهــذه البصــيرة خاصة بالمؤمنين ؛ لأن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلوبهم النور والدليل : يقول تعالى :

{ يــا أيُّهــا الذين آمنوا اتَّقوا اللهَ وآمِنوا برَسولِه يــؤتِكُم كِفْلين مِن رحمته ويجعل لكم نورا تَمشون به ويَغفِر لكُم واللهُ غفورٌ رحيم }

(سورة الحديد)

أجــل ، هــذه خاصّة بالمؤمن ، فإن الله يعطي السكينة أصــفياءه المؤمنين بقدر ، والمؤمن شخصية فذة ، و حينما يجاهــد نفســه وهواه يأتيه الجواب ، وتأتيه ثمرات جهاده ، وهــي نــور في قلبه ، وبصيرة نافذة ، فقلب واثق بالله عز وجــل ، وكلام سديد ، وتفكير صحيح ، وموقف متوازن فهو شخصــية واثقــة بالله لا تنهار سريعا لأنه حصل على هذه الثمار ، وأفاد مما فيها .

و لــذلك فمعــرفة الله عز وجل طريقها المجاهدة ، لكن معــرفة شــرعه أو معــرفة خلقه فطريقها المدارسة ، فبين المدارسة والمجاهدة بون شاسع ، والمدارسة لا تكلّف كثيرا فقــد تحتاج إلى مكتب وكتاب وقلم ، وقد تكون أنت في وادٍ والكــتاب فــي واد ، ولهذا فقد يأخذ الإنسان أعلى الشهادات

وهو غارق في أحط الشهوات ، أما إذا جاهد نفسه وهواه فقد اصطبغ بصبغة الله عز وجل ، أي شعر في نفسه سموا وعن شهواته تنائيا وتصعيدا ، وفي ميوله شرفا ، وفي تفكيره دقة، وفي كلامه سدادا ، وفي مواقفه أخلاقا وشرفا .

إذن كل ثمار الدين تأتي من معرفة الله ، ومعرفة الله ثمنها المجاهدة ، فالذي يتمنى أن يعيش هذه الأسماء ، لا أن يعرف مدلولاتها وأحكامها وأبعادها ومعانيها الدقيقة بشكل نظري فقط فعليه أن يعيش هذه الأسماء بشكل عملي ، وأحيانا المؤمن يرى يد الله تعمل في الخفاء ، فكل شيء يشاهده أو كل قصة يسمعها أو كل حادث يراه ، إنما يفهمه فهما من خلال شعوره أن الله يرقبه ويصحبه ، وأن الله خالق كل شيء.

إذن : أردت في خضمّ الحديث عن أسماء الله الحسنى أن أقف وقفة قصيرة حول الجدوى التي تعلّق عليها الآمال من معرفة أسماء الله الحسنى ، فالمعلومات النظرية قضية سهلة جدا ، فأي إنسان حتى من غير المسلمين ، بإمكانه أن يقرأ و يحفظ ، و يكتب ، و يجيب و يأخذ شهادة بهذا الموضوع ، أما أن تجاهد نفسك وهواك كي تعقد مع الله صلة ، فهذه الصلة إذا انعقدت أتاك منها كل خير ، ولذلك يقول النبي :

عنْ أنس أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم قال الْحسد يأكل الْحسنات كما تأكل النّار الْحطب والصّدقة تطْفئ الْخطيئة كما يُطْفئ الْماء النّار والصّلاة نور الْمؤْمن والصّيام جُنّة (أي وقاية) من النّار * (انفرد به ابن ماجة) " والصلاة طهور " .

" والصلاة حبور " .

أما أنها طهور ، فمستحيل للمصلي أن يحقد أو يتكبر أو يكون ذا أثرة أو يكون مستعليا ، وأنا أقول دائما : للإعراض عن الله أعراض! ومنْ أعراض الإعراض التكبُّر ، والعلو والإستكبار والعنجهية والغطرسة وحب الذات ، والدناءة أحيانا ، وأن تأخذ ما ليس لك ، و أن تتمنى أن تكون فوق الناس جميعا ، هذه كلها أعراض الإعراض ، فإذا حصل اتصال بالله عز وجل ، عُدْتَ إلى حجمك الحقيقي ، حجم العبودية ، وشعرت أن الله عز وجل عليك رقيب وأن الله معك ، وفي الحديث الشريف :

عنْ أبي هريْرة قال كان النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم بارزا يوْما للنّاس فأتاه جبْريل فقال ما الإيمان قال الإيمان أنْ تؤْمن باللّه وملائكته وكتبه وبِلِقائه ورسله وتؤْمن بالْبعْث ، قال ما الإسْلام قال الإسْلام أنْ تعْبد اللّه ولا تُشْرك به شيْئا وتُقيم الصّلاة وتؤدّي الزّكاة الْمفْروضة وتصوم رمضان . قال ما الإحْسان ؟ قال أنْ تعْبدَ اللّه كأنّك تراه فإنْ لمْ تكُنْ تراه فإنّه يراك * (متفق عليه)

عـن ابْن مسْعود أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم كـان إذا نظـر في المرآة يقول : " اللّهمّ كما حَسَّنْتَ خَلْقي فحَسِّنْ خُلُقي * (انفرد به أحمد)

فإذن ليشكر الإنسان الله عز وجل على أن أعطاه قواما ورأسـا فـيه سـمع وبصر وفم ولسان وأنف ، وهذا الخلْق السـوي الكامـل مـن نعم الله عز وجل كذلك حتى إذا جاءه مولود ورآه كامل الخِلْقة فهذا من فضل الله عز وجل أيضا ، وهـذا هو معنى المصوِّر ، أي جعله صورة حسنة ، فلو أن الوجه الحسن ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ رجل لكان رجلا صالحا ولو أن الوجه السيئ رجل لكان رجلا سيئا .

إذن : لازلـنا فـي الحـديث عن أن معرفة أسماء الله الحسـنى من حيث إنها معلومات فهذا وجه ، ومن حيث أن تسـعى ؛ لأن تعقـد صلة مع الله عز وجل: وجه آخر ؛ لأنك عندئذٍ تعيش هذه الأسماء ، وحينما تعيشها تشعر بعَظَمة هذا الـدين ، والإنسان وقته ثمين جدا ، والعمر لا يحتمل تجارب كثيرة خاطئة ، قال عليه الصلاة والسلام لرجل كيف أصبحت يـا زيد قال أصبحت أحبُّ اللهَ ورسوله ... والحديث طويل : وكأنـي أرى أهل الجنة يتنعمون ، وبأهل النار يتصايحون ، وأصـبحت كأني عرش ربي بارزا .. قال: عبدٌ نوّر اللهُ قلبه بالإيمان عرفْتَ فالزَم .

فالإنسان معني ، أن يرى بعينيه أن هذا الكون من خلق الله وأن الله سـبحانه وتعالـى ربه، وأنّ الله سبحانه وتعالى

مسـيّره ، وأنّ كل شيء وقع أراده الله ، وأن الله عز وجل أراده لحكمـة بالغة ، ولو لم يكن هذا الشيء لكان نقصا في الحكمـة وكـان الله سـبحانه وتعالـى ملوما من عباده يوم القيامة ، قال تعالى :

{ و لـو لا أن تصـيبَهم مصيبة بما قدَّمت أيديهم فـيقولوا ربَّـنا لـولا أرسلتَ إلينا رسولا فنتَّبع آياتِك و نكونَ من المؤمنين }

(سورة القصص)

فأسـماء الله الثلاثة الخالق والبارئ والمصور ، أسماء متلازمة متآلفة في غايتها تجمع بينها علاقة واحدة هي العلاقـة الوشيجة لعملية الخلق : خلقا وبَرءا وتصويرا . و اسـم الله المصـوِّر يعني ؛ أن الله عز وجل أعطى كل شيء صـورته ، لـيس معنى الصورة الشكل الخارجي بل القوام الكامل :

{ اللهُ الـذي جعلَ لكُمُ الأرضَ قراراً والسماءَ بناءَ وصـوَّركُم فأحسنَ صُوَرَكُم ورزقكُم من الطيبات ذلكُم اللهُ ربُّكم فتباركَ اللهُ ربُّ العالمين }

(سورة غافر)

{ لقد خلقنا الإنسانَ في أحسن تقويم }

(سورة التين)

فمعنـــى التصـــوير يعنـــي أعطاك الشكل الكامل طولا وعرضـــا وارتفاعـــا وعمقـــا ، فالنملة لها صورة ، والفيل والحـــوت والإنسان ، وكل مخلوق له صورة ، والله سبحانه وتعالى هو المصور، يقول الله عز وجل :

{هو الذي يصوِّركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم }

(سورة آل عمران)

وهذا من معاني اسم المصور ؛ وأيضا فهذا الجنين في بطـــن أمـــه حينما تُشقُّ عيناه ويُشقُّ سمعه ، و يُعطى رأسه حجما ، و جسمه حجما وله جلد و أعضاء و حركات ، فهذا مـــن التصوير ، و ليس هناك فصل بين الخلق و التصوير إلا فصل نظري ، فالخلِق و التصوير يتمّان في وقت واحد .

و الحمد لله رب العالمين

*****

البديع

البديع

أيها الإخوة المؤمنون الاسم اليوم هو اسم الله تعالى البديع وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ ١١٧

(سورة البقرة)

و البديع على وزن فعيل بمعنى مُفعِل ؛ أي مبدع السموات و الأرض . و الإبداع : هو أن تصنع شيئا على غير مثل سابق ، و من دون أن يعلّمك أحد أي أن تصنع شيئا جديدا كل الجِدَّة . و إذا أردنا أن نبحث فيما يصنعه الانسان ، من حيث يريد أو لا يريد ، يشعر أو لا يشعر ؛ إنه يقلد فإذا قال صنعت غواصة ؛ فلا شك أنها تقليد غير ناجح للسمكة . وإذا صنع طائرة ؛ فلا شك أنه تقليد غير ناجح للطائر

و قد وقع تحت يدي كتاب موسوعي عن الطيور ، فوجدت المؤلف في مقدمة الكتاب يقول : إن أرقى طائرة صُنعت حتى اليوم ؛ لا ترقى إلى مستوى الطائر، فالطائرة تقليد للطائر . والغواصة تقليد للسمكة . و أي شيء صنعه

الإنســان لو دققت فيه لرأيته قد قلد به شيئا مما في الطبيعة مــن إبداع ، لكن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الكون على غير مثال سابق ؛ فمن قال إن الأرض ينبغي أن تكون كُرة ؟ ومن قال إن الأرض ينبغي أن تدور حول نفسها ، و أن تدور حــول الشمس ؟ ومن خلق الضوء ؟ من جعل الشمس منبعا حــراريا وضوئيا ؟ من أعطى الماء صفاته وخصائصه ؟ من أعطــى الهــواء صفاته وخصائصه ؟ من أعطى كل عنصر خصائصه ؟ لو أن العناصر كلها تذوب في درجة واحدة ؛ أي تنصهر في درجة واحدة ، لرأيت الكون كله غازا ، أو صلبا ، أو مائعــا ؛ فلو أن هذا الكون ، وما فيه من مجرّات ، ومن كــازارات ، ومن مذنبات ، ومن كواكب ، ومن نجوم ، بعدده ومســافاته البينية وحركته المتوازنة ، هذا الكون بدقائقه ، الأرض بمــا علــيها ، يعنــي مثلا... مثل ما بين أيديكم من أوراق الأشجار؛ هل تعتقد أنه في الإمكان أن ترسم لنا ورقة لــيس لهــا أصل في الكون ؟ أوراق كبيرة و صغيرة مسننة و ملســاء و خشــنة ، انسيابية و مخططة ، ذات لون داكن و لــون فاقــع وألــوان متداخلة ، لو أردت أن ترسم أنواع الأوراق التي خلقها الله عز و جل ، بل إن أوراق أية شجرة واحدة هل تتشابه ؟ والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سُمِّيتَ الواسع .

و مثلا وجوه البشر ؟! أنا أضرب أمثلة كثيرة ، هل في الأرض كلهــا والتــي يعيش خمسة الآلف مليون إنسان على

وجهها ، هل في الأرض كلها وجه إنسان مشابه لوجه إنسان ؟ مستحيل ، والشيء الثابت الآن أن لكل إنسان رائحة خاصة ؛ وهذه الرائحة هي أساس معرفة الكلاب البوليسية للمجرم ، الإنسان له رائحة واحدة ولا يتفق اثنان في رائحة .

الجلد له رائحة عطرية ؛ هذه الرائحة لكل إنسان رائحة خاصة به . ولكل إنسان إيقاع صوتي خاص به . كم موجة ؟ ولكل إنسان قزحية خاصة به . و لكل إنسان بصمة خاصة به . ولكل إنسان تركيب دم خاص به " البلازما " ؛ بل إن أحدث البحوث أن هناك ما يسمى بالزُمَر النسيجية ؛ يعنى نسيج الإنسان كيف أن الدم زمر ولكن زمر الدم محدودة ؛ بينما الزمر النسيجية غير محدودة ، حتى الآن وصلوا إلى اثنين ونصف مليار زمرة يعني لا يشبهك في الكون كله إلا إنسان واحد ، وقد يكتشفون بعد حين أن كل إنسان له زمرة نسيجية واحدة . هذا الذي يدعو علماء الطب إلى تفسير ظاهرة أن هذا الجسم رفض هذا العضو لاختلاف الزمر النسيجية ، أليس هذا إبداعا ؟ .

إن إبداع الله سبحانه يعني إبداعا لا حدود له ، أما الإنسان فلو أراد أن يرسم وجها ، لو كلفنا رساما أن يرسم وجها يرسم وجه اثنين .. ثلاثة ... بعد حين ينضب الإبداع من ذهنه . مهندسو السيارات يصممون أشكال السيارات ، مرة خطوط منحنيه ، مرة خطوط متعامدة ، مرة خطوط

انسيابية ، وبعد حين يعودون إلى الشكل السابق لأن إبداعهم ينضب . أما الله سبحانه وتعالى فهو بديع السموات و الأرض .

أضرب لكم بعض الأمثلة : مثل وجه الإنسان ، لون قزحية عينه ، رائحة جلده ، تركيب دمه ، نبرة صوته ، بصمة إبهامه ، هذه كلها هويات شخصية . فيما قبل كنا نعتقد أن البصمة وحدها هوية الإنسان ، الآن أشياء كثيرة في الإنسان يتميز بها فالله سبحانه و تعالى بديع السموات و الأرض .

شيء آخر ؛ يعني لو أنك اطّلعت على أنواع الأسماك التي في البحار؛ لو تصفحت كتابا مصورا فيه أنواع الأسماك ، لأخذك العجب العجاب . حتى الآن الإحصاء مليون نوع من السمك ، وأي شكل يخطر في بالك موجود ، سمكة على شكل كرة موجود ، على شكل سيف موجود ، شفافة موجود ، فسفورية موجود ، لها أهداب موجود ، لها أرجل موجود، سمكة على شكل زهرية موجود ، سمكة تدافع عن نفسها بأن تفرز مادة كالحبر تخفي وجودها موجود ، سمكة تحارب أعداءها بالكهرباء بآلاف الفولطات موجود ، حيتان كبيرة موجودة ، وأسماك صغيرة للزينة موجودة ، لو أردت أن تقف عند أنواع الأسماك شيء لا ينتهي ، لا يُعد ولا يُحصى . لو أردت أن تقف عند أنواع الطيور ؛ أشكالها ، وأصنافها ، وأنواعها ، وسلالاتها شيء يأخذ بالألباب .

أنـــواع الألوان ، أنواع لورود ، أطلعني أحد الأصدقاء على كـــتاب مؤلف من ثمانية عشر مجلدا كل مجلد سماكته لا تقل عن ثمانية سنتمتر وكل ورقة نوع من أنواع الأبصال كل هذا المجلـــد لأنـــواع الأبصال فقط بعضهم يقول : هناك ثلاثة آلاف نوع من أنواع القمح !! وفي مركز للبحوث الزراعية أطلعنـــي مهندس أن في هذا المركز ثلاثمئة نوع من العنب . وما من فاكهة وما من خُضرة وما من محصول ما من شجر مثمر إلا وهو مئات الأنواع بل آلاف الأنواع ، كل هذا يجسِّد اسم الله البديع ، الأنواع التي لا تحصى ؛ مرة كنت بمعرض للحشـــرات بالقاهـــرة وهـــو بناء ضخم مؤلف من مجموعة قاعـــات ، فـــي كـــل غـــرفة وعلـــى الأربعة الجدران عليها حشـــرات : لـــيس هـــناك حشرة مثل أختها ، أو فراشة مثل أخـــتها.. شـــيء لا يصـــدقه عقل . هذا معنى قول الله عز وجل : " بديعُ السماوات والارض " .

أوراق الأشـــجار ، أنـــواع الأشجار ، أنواع الأخشاب ، أنـــواع النـــباتات ، أنواع الروائح ، أنواع الأسماك ، أنواع الأطـــيار ، أنواع الفواكه . ذرات الثلج ؛ لو أخذنا ذرة الثلج وكبَّـــرناها تحـــت مجهر ، لرأينا شكلا لا يصدَّق ، في منتهى الـــروعة ، ومـــا من ذرّة تشبه أختها ؛ لو أخذت عينات من آلاف الأمـــاكن التي هطل عليها الثلج ، كل ذرة ثلج لها شكل خاص . أليس هذا هو بديع السموات و الأرض ؟

و من المعاني الأولى لاسم الله تعالى البديع : أنه بديع في ذاته ومعنى بديع في ذاته ؛ أي لا يشبهُه شيء ، أو ليس كمِثله شيء . بديع في ذاته ليس كمثله شيء . و بديع في خلقه ، فهو خلق الخلق على غير شكل ، و على غير مثال سابق ، و من دوْن أن يعلمه أحد . و بديع في أفعاله حينما يتصرف الله عز وجل ، الإنسان أحيانا يأخذ احتياطات جمة لكن يفاجأ بتصرف لم يكن في الحسبان فلذلك اسم البديع اسم من أسماء الله ، اسم لذاته و اسم لصفاته ، واسم لأفعاله .

التعاريف الدقيقة لهذا الاسم : من فعل فِعلا لم يسبق إليه قيل : أبدع وسميت البدعة بِدعة ، و قد نقف وقفة متأنية عند البدعة .

البدعة لها معنيان : معنى لغوي ، و معنى شرعي ؛ فالمعنى اللغوي كل شيء جديد اسمه بدعة ، و المعنى الشرعي ؛ من أحدث في الدين ما ليس فيه فهو مبتدع . البدعة في اللغة تدرس من ابتدع شيئا ييسر على المصلين صلاتهم ، شيء جيد ، نقل الصوت هذه بدعة لكنها تقدم خدمات كبيرة لرواد المساجد . مثلا تدفئة المكان تدفئة مركزية لم تكن من قبل هذه بدعة . تكييف المكان لم يكن من قبل هذه بدعة . فهناك بدعة حسنة ؛ حينما تقدم شيئا مريحا جيدا ، يحل بعض مشكلات المجتمع ، من دون أن يخالف نصا شرعيا فهذه بدعة حسنة . وأما البدعة السيئة التي

خالفت امرا محرما . فالبدعة اللغوية قد تكون صالحة ، وقد تكـون طالحة ، وقد تكون حيادية ، و قد تكون موقوفة . ما معنـى صالحة ؟ ما معنى طالحة ؟ ما معنى حيادية ؟ و ما معنى موقوفة ؟ البدعة الموقوفة جهاز قد يستخدم استخداما جيدا ، و قد يستخدم استخداما سيئا ؛ فمثلا لو أنك اقتنيت آلة تصـوير ، و صـورت بهـا بعض المناظر الطبيعية ، بعض أنواع الاشجار كنت جغرافيا ، بعض أنواع الخلجان ، و أنواع الجـزر و ألفـت كتابا و وضعته بين أيدي الطلاب ؛ فهذه الآلـة استخدمتها في نقل مظاهر الطبيعة إلى كتب مدرسية ، فهـذه الآلة استخدمتها استخداما مشروعا ؛ فهي بدعة لكن استخدامها الجيد جعلها مقبولة . لو أنك صورت بها مناظر لا تُرضـي بها الله عز و جل و طبعتها و روجتها ؛ فهذا شيء محرم

فإذن هذه الآلة صالحة أو طالحة هذا موقوف على نوع استـعمالها . و هـناك بدعة حيادية ؛ لو اخترعت صنفا من الطعـام . لـو أضفت بعض التوابل إلى بعض المطعومات ، وجعلت منه طبقا لم يُصنع من قبل هذا لا حرام ، ولا حلال ؛ مباح ، بدعة مباحة . البدعة المحرمة هي إذا اصطدمت مع نـص شـرعي . هذا كله متعلق في البدعة اللغوية ؛ يعني شـيء جديد لم يكن من قبل . أقرب مثل أضربه دائما ؛ أن يجلس العريس يوم عرسه على كرسي إلى جانب زوجته أمام المدعوات . الكاسيات ، العاريات ، المائلات ، المميلات وهو

مسـلم ؛ مسـلم يجلس أمام جمع غفير مز النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات بحكم التقليد و العادة و الضرورة هذه بدعة محرمة لأنها اصطدمت مع تحريم اطلاق البصر ومـع تحريم إبداء الزينة لا شك فيها ،أما انسان وفر لرواد المسـجد ما يريحهم ؛ لم يكن على عهد النبي ماء ساخن في الشتاء ، و ماء بارد في الصيف . و لم يكن على عهد النبي صـلى الله علـيه و سلم جامع مكيَّف ، ولا جامع مدفأ تدفئة مركزية ، ولم يكن هذا الأثاث المريح .

هـذه بدعة ؛ لكنها صالحة تقدم خدمات لرواد لمساجد فرضـا لو أنه اخترع جهازا يحل بعض المشكلات في بيتك لا علاقـة لـه بالحرام والحلال هذه بدعة لكنها بدعة حسنة و أن يقـف الـزوج أمام المدعوات الكاسيات العاريات هذه بدعـة سيئة ، وقد تستخدم هذه الآلة لنقل الحق وقد تستخدم لنقل الباطل قد تسمع بها الغناء وقد تسمع بها القر اذز بدعـة موقوفة على نوع استعمالها ، أما لو صنعت طبقا من الطعـام لم تسبق إليه هذه بدعة مباحة هناك بدعة حيادية لا علاقة لها بالحلال والحرام

عـندنا بدعـة موقـوفة وعندنا بدعة محرَّمة وبدعة حسـنة هـذه الـبدعة اللغوية ؛ لكن دققوا في لكن لكن ان الـبدعة في الدين حرام مائة في المائة لماذا ؟ لأن الله عز وجل حينما قال :

ٱلۡيَوۡمَ
أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ
فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾

(سورة المائدة)

الدين تام وكامل ؛ والتمام من حيث العدد ، والكمال من حيث النوع . يعني عدد القضايا التي عالجها الدين تام ، ولا يقبل الدين موضوعا جديدا ، وطريقة المعالجة التي عالجها الدين طريقة كاملة ، ولا يقبل الدين تعديلا طفيفا لطريقة المعالجة

فإذا ابتدعنا في الدين شيئا ؛سواء في العقيدة ، أو في العبادة ، أو في المعاملة ، أو في الأخلاق ، أو في السلوك ؛ فهذا بدعة محرمة لقول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول : " من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَن يضلله فلا هادي له إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدَثاتها وكل محدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم يقول بعثت أنا والساعة كهاتين وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه

نذيــر جيش يقول صبحكم مساكم ثم قال من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي أو علي وأنا أولى بالمؤمنين

رواه الترمذي و أحمد

كــل مُحدَثــة بدعــة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، إذن لدينا شيء مهم جدا و هو أن الأديان قد تُزوَّر ، و المــبادئ قد تزور ، و المذاهب قد تزوَّر مالذي يضمن لي أننــي وجهاً لوجه أمام دِين جاءني كما نزل ؟ ما لذي يضمن لــي أن أتعامــل مع دين هو الآن كما جاء في أول عهده ؟ أشياء ثلاثة : ألاَّ يُضاف إليه شيء ؛ وألاَّ يُحذف منه شيء ؛ وألا يؤوَّل تأويلا غير الذي أراده المشرِّع . إذا ألغيت التأويل الفاســد ، وألغيت إضافة البدع ، وألغيت حذف الأصول ، فقد ضمنت أن يستمر الدين كما بدأ ..

و المسلم تَسَعهُ السنَّة ولا تستهويه البدعة .، و البدعة كمــا قال العلماء : " ما ليس لها أصل في كتاب الله ، ولا في سُــنَّة رسوله و لا في إجماع الأمة " ، إذا كانت هناك دعوة إلــى الله أساسها أن تأتي بسيخ وأن تطعن به جسمك ليخرج من الطرف الآخر ؛ فإذا فعلت هذا صدَّق الناس دعوتك ؟ هل فعل هذا النبي ؟ هل ورد هذا في القرآن الكريم ؟ هل ورد هذا فــي سنة النبي ؟ هل ورد هذا في سير الصحابة ؟ هل ورد هــذا في إجماع الأئمة ؟ لا... إذن هي بدعة ، هذه الطريقة فــي الدعوة إلى الله بدعة يجب أن تُجتنب . فالبدعة ما ليس

لهــا أصـــل فـــي كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ، ولا في إجماع المؤمنين ، يقول الله عز وجل :

فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

(سورة النور)

" إذا خالفـــت أمره ، وقعت في فتنة الإبتداع . وسيدنا الصديق رضي الله عنه يقول " إنما أنا متَّبِع ولست بمبتدِع " وبعضـــهم قـــال نصائح ثلاث : لو أردت أن تكتبها على ظفر لوسعت : اتبع لا تبتدع ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع . البذخ و الترف و إنفاق المال من دون جدوى ؛ هذا من صفة الكفـــار ، لكـــن المؤمنـــين يقتصدون في كسب مالهم ، وفي إنفاق مالهم ، ويقول الله عز وجل :

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ۚ

(الآية ٥٤ من سورة النور)

والله عز وجل يقول في آية ثالثة :

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

الآية ٢١ من سورة الأحزاب

. الأسوة الحسنة : أي اتباع السنة ؛ اقتدِ به في كل أطوار حياتك ، أي طبِّق سنته ، من أمَّر السنة على نفسه قولا وفعلا ، ونطق بالحكمة ، فقد اتبع السنة ، وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام أسوة له ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة . لذلك أصحاب البدع يقال لهم أصحاب الأهواء . إما أن تحكِّم سنة النبي في حياتك ، وإما أن تحكِّم الهوى ؛ إذا حكَّمت الهوى ، أصبحت مبتدعا ، وخرجت عن طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام . وإذا حكَّمت السنة في أفعالك وأقوالك وسيرتك . فقد كنت مقتديا بهدي النبي صلى الله عليه و سلم . لا تنسوا أن النبي عليه الصلاة و السلام يقول فيما رواه أنس بن مالك : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا بُني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة " رواه الترمذي

بعض العارفين يقول : " أصول مذهبنا ثلاثة أشياء ؛ الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق و الأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال " !! و حينما قال الله عز و جل :

وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾

(سورة آل عمران)

الحكمــة : هي السنة . يعلمه الكتاب والحكمة فالكتاب الأمــر الإلهــي، أمــا السنة ، فهي : كيف طبَّق النبي عليه الصــلاة والســلام هذا الأمر الإلهي . وقال بعضهم في قوله تعالى :

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ

(الآية ١٠ من سورة فاطر)

مــا هو العمل الصالح ؟ قال بعضهم : الاقتداء برسول الله ؛ العمل الصالح هو أن تقتدي برسول الله صلى الله عليه وســلم . وبعضهم قال : عمل قليل في سُنَّة خير من اجتهاد كثير في بدعة .

أيها الإخوة الأكارم : إذا كان الله سبحانه و تعالى بديع السموات و الأرض ، هو الذي خلق السموات و الأرض على غيــر صورة سابقة ، ومن دون أن يعلمه أحد ، ابتدع ذوات الأشــياء ، و ابــتدع صــفات الأشياء ، و ابتدع خصائص الأشــياء ، و ابــتدع أحجامهــا ، و أشــكالها ، و ألوانها ، وحــركتها ، وســكونها ، وابــتدع الإنسان ، وما حوله من حــيوان ، وما حوله من نبات ، وأشكال لا تُعد ولا تحصى ؛ مــن خلال تأملك لآيات الله في الكون ، تستنبط أن الله بديع الســموات و الأرض . و يجب أن تعلم أيضا أن الله سبحانه و تعالــى واحد في ذاته ، معنى البديع : يعني الذي لا مثيل

له ، والذي لا مشابه له ، والذي ليس كمثله شيء ، ليس له مثل لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في خلقه .

الآن حظ العبد من هذا الاسم ؛ ألا يكون مبتدعا . لكن هناك نقطة دقيقة جدا أتمنى أن نقف عندها قليلا ، الإنسان مكرَّم عند الله عز وجل ومن علامات تكريمه عند الله عز وجل ؛ أنه سمح له أن يكون فردا لا مشابه له ، وأنه سمح له أن يكون مشرِّعا عن طريق ماذا ؟ عن طريق الآيات ذات الطابع الاحتمالي أو الآيات الظنية الدلالة ؛ فالعلماء يجتهدون في فهم هذه الآية ذات الدلالة الظنية ، إذن كأن الإنسان سمح له أن يشرع ، أن يجتهد . أن يكون الإنسان مجتهدا هذا من تكريم الله عز وجل . وهو فرد لا مثيل له هذا من تكريم الله عز وجل ، وأن يعطى الإنسان حرية الإرادة هذا تكريم من الله عز وجل ، ومن أنواع تكريم الله عز وجل أن طبيعة خلق الله عز وجل تمكّن الإنسان من أن يبدع في الخلق فالآن يقال لك هذا النبات هجين ؛ مامعنى هجين ؟ يعني هناك معامل مستواها رفيع جدا يأخذون هذا النبات بخصائص معينة ويزاوجونه بنبات بخصائص معينة ، يُنتج نباتا بخصائص تجمع خصائص النباتين ثم يزاوجونه بنبات آخر إلى أن يصلوا إلى أصناف نادرة جدا .

طريقة الخلق ، أو تصميم الخلق يتيح للإنسان أن يبتدع ، لقد سمعت أن هناك بقرا شاميا أصيلا ، البقرة

الشـــامية معـــروفة ، وهناك بقر هولندي ، من تهجين هذين النوعـــين جاء صنف يقدم في اليوم ما يزيد عن ستين كيلو مـــن الحليب ! أليس هذا إبداعا ؟ فالله عز وجل فيما يخص موضــــوع الحــيوانات ، موضـــوع النـــباتات ، هناك أشجار مقزَّمة ، شجر أرز كبير مقزم في أصيص صغير، الآن هناك أشـــجار مثمـــرة مقـــزمة ، الآن دخلت في موضوع ؛ يتصل بموضوعنا من باب واحد ، أن من تكريم الله لهذا الإنسان أن مكَّنه من أن يبدع في الخلق ، أما أن يبتدع في الدين ؛ فهذا محـــرَّم لأن الدين كامل . الدين توقيفي ، الدين جاء به النبي وانتهى الأمر.

فنحن مسموح لنا أن نبدِع في الخَلق ، وليس مسموحا لنا أن نبدع في الدين ؛ لأن البدعة في الدين هي ضلالة ؛ كل بدعـــة ضلالة وكلّ ضلالة في النار، كل محدثة بدعة ، وكل بدعـــة ضـــلالة ، وكـــل ضلالة في النار. يقول عليه الصلاة و السلام :

عـــن أبـــي ذَر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة شبرا خلع ربقة الإسلام من عنقه رواه أحمد

هل يوجد ابتداع هنا ؟ من خالف الجماعة شبرا ، هناك آيـــة أخرى هي أصل في إجماع المسلمين، تعرفونها ؟ الآية الثانية هي قوله تعالى

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾

(سورة النساء)

فمـــن خالف الجماعة شبرا ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه . وقال ابن عباس: " ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة ، وأماتوا فيه سنة

يعنـــي كلما جاءنا عام أحدثت بدعة و أميتت سنة ، إلى أن تصل إلى وقت والعياذ بالله كله بدع و حقيقة الدين خافية علـــى معظـــم الـــناس . أحيانا تجد الرقص بثياب فضفاضة والطـــرابيش على الرؤوس هل هذا من الدين ؟! يحدث موت فنأتـــي بالميلاوية ! هذا رقص ، أحيانا نجد مجالس الذكر ما أنزل الله بها من سلطان ابتداع في ابتداع ، أهكذا فعل النبي علـــيه الصـــلاة والســـلام ؟ أحيانا يصبح الدين عند بعضهم أنغامـــا ، وعند بعضهم رقصا ، وعند بعضهم سلوكا غريبا ، وعـــند بعضهم تمتمات ، وعند بعضهم خزعبلات ، أهذا هو الدين ؟!

أيهـــا الإخوة الأكارم : البطولة أن تتعرف إلى الدين من ينابيعه الأصيلة وهي القرآن و السنة ؛ فأي شيء جاءنا عن غيـــر هـــذا الطريق ، فهو بدعة ، ولاشك إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم .

ورد في بعض الأحاديث : " من مشى إلى صاحب بدعة ليوقّره فقد أعان على هدم الإسلام " ، وقيل أيضا :

عن أيوب قال قال أبو قلابة لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلـوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يُلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون

لا تجـالس أهــل الأهواء المبتدعين الذين أحدثوا في الدين ما ليس فيه لأن سيدنا الصديق رضي الله عنه كما قال عليه الصلاة والسلام :

" لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم " رواه البيهقي في الشعب

وقال :

عــن جابر بن عبد الله قال عمر لأبي بكر يا خيرَ الناس بعد رسول الله فقال أبو بكر أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر   رواه الترمذي

مــا طلعــت شــمس على رجل بعد نبي أفضل من أبي بكر " و مع ذلك ماذا قال سيدنا الصديق ؟ قال : " إنني متبع ولست بمبتدع - في خطبته الأولى - لقد وُلّيت عليكم ولستُ بخَيــركم إن أحســنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني إنما أنا متّبع ولست بمبتدع " .

إذن ينبغي أن نتبع النبي عليه الصلاة والسلام ، ولنراقب سلوكنا ، أية بدعة تأتينا يجب أن نسأل عن أصلها ؛ فإن لم يكن لها أصل فهي بدعة مردودة لا نقبلها . وقد قال بعض العلماء : " من داهن مبتدعا سلبه الله تعالى حلاوة السنن " ؛ أي شخص مبتدع بعقيدته ، مبتدع بسلوكه ، مبتدع بعبادته ، حذف أشياء ، و أضاف أشياء ، و بالغ بأشياء ، و أخفى الأشياء ، و صار مبتدعا ، قال : " من داهن مبتدعا سلبه الله تعالى حلاوة الإيمان " ، بل إنه من ضحك إلى مبتدع ، نزع الله تعالى منه نور الإيمان من قلبه . من ضحك له ، من جالسه ، من داهنه ، من صاحبه ، وقال : من استهان بأدب من آداب الإسلام ، عوقب بحرمان السنَّة .

إذن نحن في كل أسماء الله الحسنى ؛ حظنا منها أن نتخلق بأخلاق الله ، إلا في هذا الاسم حظنا منه ألا نبتدع في دينه شيئا ، سمح لنا أن نبتدع في الزراعة ، في النبات ، في الحيوان ، في خلط الألوان ، أحيانا في صهر المعادن ، معدن خليط نحن بحاجة لمعدن خفيف جدا متين جدا ، ممكن أن نصنع هذا المعدن من خلط بعض المعادن ، معدن خليط ، أي خلائط هذه كلها ابتداع . ابداع اختراع يعني أن الله عز وجل أعطى الأشياء خصائص ، وسمح بالتزاوج ، وسمح بالتفاعل والاندماج ، إذن الإبداع من فضل الله علينا ؛ مثلا تقولون هذا البطيخ الأناناس ، هذا بطيخ مطعَّم على نوع لم يكن من

قبل . لقد صار هناك تهجين ، عملية التهجين في النبات ، والحيوان ما هي في الحقيقة إلا نوع من الابتداع . لكن الله عز وجل لوجود خصائص لكل نبات ولتصميم النبات بحيث يتزاوج سمح بالابتداع . أما في التشريع ، وفي الدين الابتداع كله حرام ، قال : " من استهان بالفرائض قيَّض الله له مبتدعا يذكر عنده باطلا فيوقع في قلبه شبهة " .

وختام المطاف :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(سورة آل عمران)

أنت معك حق في تعاملك مع الأشخاص فالإتباع صعب تقول بأبسط سؤال لعله غلطان ، لعله مخطئ ، أنا لا أتورط معه ؛ هذا شيء جميل . لكنك إذا ثبت لك نص عن الله عز وجل ، فالله عز وجل كتابه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . إذا ثبتت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم سنَّة صحيحة ؛ النبي معصوم . يعني أنت لك جهتان يمكن أن تطمئن إليهما ؛ كتاب الله ، وسنة رسوله . وما سوى ذلك موقوف على موافقته لكتاب الله و سنة رسوله .

كنت أضرب أمثلة دقيقة أنك أمام ثلاثة نصوص في حياتك ؛ لو تعيش مليون سنة . أمام ثلاثة نصوص ، نص لله

عز وجل كتابه ، ونص لرسوله ، ونص لغير رسول الله ؛ أي إنسان كان ، إذن هناك نص لله خالق الكون وهو القرآن .؛ ونـص لرسوله المعتمد وهو النبي عليه الصلاة والسلام .؛ ونـص لأي مخلـوق بعد النبي . عالم كبير ، متقف ، غير متقف ، شيخ ، علم من أعلام الأمة ، أي إنسان ليس النبي ؛ فهـو صـنف ثالـث . أنت مع القرآن ليس لك إلا أن تفهمه لأنـه قطعي الثبوت ، ومع السنّة ليس لك إلا أن تتحقق من صـحتها ، لأن الحـديث ظنـي الثـبوت ، وليس لك إلا أن تفهمـه ، ولكنك مع سوى هذه النصوص ، مع سوى هذين النصـين ، وليكن من كان قائل هذا النص ؛ عليك أن تتحقق من صحته ، وأن تحاول فهمه كما أراد صاحبه ، وأن تقيّمه بالكتاب والسنة ، هذا هو الدين هذا هو المقياس . فلذلك هذا الـدرس قادنـا إلى موضوع البدع فنحن يجب أن نتوقع أية بدعـة دخلـت على الدين في غفلة الزمان . أنت بحاجة إلى مقـياس ، وبحاجـة إلـى مـراجعة لكل معلوماتك ، ولكل خبراتك ، وقياسه بالكتاب والسنة . أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون وفيت بعض الشيء بهذا الاسم .

الاسـم الـذي كان الحديث عنه اليوم اسم البديع ، فالله سبحانه وتعالى أبدع السماوات و الأرض ، جملة وتفصيلا ، خصـائص مادية خصائص معنوية ، على غير مثال سابق ، ومـن دون تعليم من أحد ابتدع الكون كله ، وهو بديع ، أي

فرد في ذاته ، وفرد في صفاته ، وفرد في أفعاله ، وفرد في تشريعه :

و أما البدعة في الدين فهي أن تحدث في عقيدته ، وفي عباداته ، وفي معاملاته ، وفي سنن النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ما ليس فيها ؛ فهي محرمة قولا واحدا .

و الحمد لله رب العالمين

*****

التواب

التـوّاب

(درس لفضيلة الشيخ الدكتور" محمد راتب النابلسي .

متاح على موقعه www.nabulsi.com)

أيها الإخوة المؤمنون : مع اسم اليوم : التواب ، و قبل أن نتحدث عن معنى الاسم اللغوي ، و عن صيغته ، و عن تصـريفاته ، و عـن معانيه المتعددة . و عن بعض الآيات التـي جاءت به ... لا بد من عدة مقدمات تلقي ضوءاً على حقيقة هذا الاسم .

يمكـن أن تفـتح مـرحلة دراسية ثانوية ، وأن يسجل الطـلاب فيها ، وأن يوضع لهذه الثانوية نظام داخلي دقيق جـدا ، وأن تستقبل الطلاب ، وأن تلقى المحاضرات ، وأن تجرى المذاكرات ، وأن تأتي مواعيد الامتحانات ، وأن ينجح مـن يستحق النجاح ، ويرسب من يستحق الرسوب ، وأنت فـي أعلى درجات العدل ؛ أما إذا طلبت علامات الطلاب بعد شـهر من بدء العام . وتابعت المقصِّر ، وجئت به ونصحته فلم يستجيب؛ فهددته ، واحضرت وليه . وضغطت عليه إلى أن غيـر خطته ، وضاعف جهوده فإذن هو من الناجحين ؛ فلو أهملت هذا الطالب وعاملته وفق النظام الداخلي فأنت في أعلى درجات العدل . لكنك إذا تتبعت أحواله قبل فوات الأوان ووجهته ونصحته وضغطت عليه حتى غير أسلوبه وضاعف

جهوده فاستحق النجاح فأنت الآن في أعلى درجات الرحمه

إن طبقت عليه الأنظمة العادلة ، فأنت في أعلى درجات العدل لكنك اذا تتبعت أحواله ، وذكّرته تارة ، وهددته تاره . وشجعته تارة ، وكافأته تارة ، وعاقبته تارة حتى استقام أمره وحتى استحق النجاح فنجح ؛ فأنت بهذه الطريقة عاملته بأعلى درجات الرحمة .

يمكن أن ترسل ابنك إلى بلد غربي ، وأن تعطيه المبلغ الذي يستحق ، وأن تهمل أخباره ، ثم بعد خمس سنوات فوجئت بأنه قد ضيع هذا المال على شهواته وأنه لم يدرس إطلاقا ، وعاد بخُفَّيْ حُنَين . فتقول له : يا بني أنا بذلت من أجلك كل شيء وقدمت لك هذا المبلغ الضخم وضيعته أنت ، فأنت في أعلى درجات العدل . ولكنك إذا تتبعت أخباره ، وذهبت إليه تارة واستقدمته تارة ، وقللت المصروف تارة ، وهددته تارة ، ورغبته تارة ، وشجعته تارة ، حتى عاد إليك بعد أربع سنوات وهو يحمل درجة الإجازة فقد عاملته فضلا عن العدل بأعلى درجات الرحمة .

يمكن أن تعين موظفا تحت التدريب مدة ستة أشهر ، فيمكن أن تراقبه فقط فكلما أخطأ سجلتها عليه ، حتى أصبح حجم أخطائه لا يحتمل ففصلته وأنت في بحبوحة لأن هذا الفصل كان من ضمن الستة أشهر . فأنت ماذا فعلت ؟ عاملته وفق قيم العدل ، فالعقد ستة أشهر تجريب ؛ ولكنك

إذا أردت أن تعامل هذا الموظف بالرحمة ، فكلما أخطأ تقول لـه : لا ، هـذا لا يصح وهذا هو الصحيح ، فإذا به يستقيم شـيئا فشيئا ، وبعد حين يعجبك وتتمسك به ، شتَّان بين أن تعامـل مـن حـولك بالعدل ، وبين أن تعاملهم فوق العدل بالرحمة .

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ومنحه العقل ، وجعل الكون كله دالا على أسمائه الحسنى ، أعطاه العقل ، وركب فيه الفطرة ، وأعطاه الشرع ، خيره وأودع فيه الشهوات ، وأعطاه قوة فيما يبدو، وتركه إلى أن يأتيه أجله ، فإذا هو مـن أهل النـار . فالله عز وجل عامله بالعدل لكنه في مقتبل حـياته اتجـه إلى أن يسرق ، فأدَّبه الله عز و جل وخوَّفه تـارة وضيَّق عليه تارة وجمعه مع أهل الحق تارة وقبَضَه تـارة وشـرح صـدره تـارة إلى أن صلَح هذا الإنسان ، وصـار مـن أهـل الجِـنان ، بماذا عامله الله عز وجل ؟ بالرحمة .

إذن : اسـم التواب من أين نفهمه ؟ من رحمة الله عز و جـل ، أعطانـا العقـل ، وأعطانا الاختيار ، وأودع فينا الشـهوات ، وخلـق الكـون دالا علـى أسمائه وصفاته ، منحـنا قـوة - فيما يبدو - وركب فينا فطرة عالية وانتهى الأمر :

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(سورة فصلت)

هــذا هــو العــدل ؛ لكن الرحمة بالمتابعة ، الله معك فــي كــل خطــراتك ، معك في كل حركاتك ، معك في كل تصوراتك ، معك في كل طموحاتك، معك في سرك ، معك في جهــرك ، معــك في خلوتك ، معك في جلوتك ، معك في كل حــال مــن أحوالك ، وكل شأن أنت فيه هو لك معه شأن ، كــل شــأن أنــت فــيه لله معك شأن يقابله ؛ إن كان شأنك الإعراض ، فشأنه التأديب ، وإن كان شأنك الإقبال ، فشأنه التجلّي ، وإن كان شأنك العدوَان ، فشأنه العقاب ؛ وإن كان شــأنك الإحسان ؛ فشأنه الإكرام . يعني المتابعة ، فأنت لن تكون رحيما إلا إذا تابعت من حولك المتابعة اليومية ، حتى فــي الدعــوة إلى الله عز وجل فهناك عالِم وهناك مُربي ، فالعــالم يُلقي الدرس وانتهى الأمر لا يعنيه المجتهد ولا مَن فهــم ولا من استوعب ولا من لم يستوعب ولا من طبَّق ولا من لم يطبق ولا من تقدَّم ولا من تأخَّر ولا من حضر ولا من غــاب ، ألقــى الــدرس وانتهى الأمر فهذا اسمه في عالم الــتدريس " معلِّــم " . لكــن المربي هو الذي يتابع ، اليوم ســألني ســائل : تقــول لــنا عــن علم الشريعة وعن علم

الطـــريقة ، وعـــن علم الحقيقة ، فالأمر واضح تماما عندي بـــين علم الشريعة وعلم الطريقة ولكن ليس لدي الوضوح الكامل بين علم الطريقة وعلم الحقيقة ؟

أردت أن أ شرح له فشعرت أن الموضوع دقيق جدا ، ألهمـــت مثلا أعجبه ، قلت له : جبل شامخ فيه تلال ووديان ومســـارب ومـــداخل وفـــي قمته قصر منيف فيه كل شيء تشـــتهيه النفس . هناك علماء ثلاثة : عالم يبين لك أن في هـــذا القصر ثلاثمائة غرفة وفيه أبهاء مدفأة تدفئة مركزية فـــيه تكييف ، فيه من أنواع الطعام وفيه حدائق وغرف نوم وثيـــرة ، فهـــذا العـــالم يبـــين لك ما في القصر فهذا عالم الشـــريعة ، فيقول لك : القصر مُدَفّأ وأنت تشعر بالبرد فيه طعـــام نفـــيس وأنـــت جائع ، والقصر فيه راحة تامة وأنت متعب .

أمـــا عـــالم الطـــريقة يعرف طريقا لهذا القصر من أين تـــذهب و فـــي أي مركبة تركب ؟ و كيف تقدم الوثائق عند الحواجـــز وكـــيف تصـــل إلى هذا القصر ؟ يبين لك طريق الوصـــول إليه و أنت واقف في مكانك ، لكن عالم الحقيقة هو الذي يأخذ بيدك ويدخلك إلى القصر .

كـــل النعـــيم وكـــل الدفء ، وكل الطعام الطيب ، وكل الفـــرش الوثيرة ، وكل الأمن ، وكل المناظر الجميلة ، وكل النـــباتات الـــرائعة ، وكـــل الفـــواكه الطيبة ، كلها في هذا القصر . والذي يأخذ بيدك ويدخلك إلى هذا القصر ، هو عالم

الحقيقة . والذي يصف لك الطريق إليه ، هو عالم الطريقة . والذي يصف لك القصر وأنت في مكانك ؛ هو عالم الشريعة . فإذا أردنا أن نبقى في مصطلحات الإسلام فهناك إسلام ، وهناك ايمان ، وهناك احسان .

الإحسان أن تدخل لهذا القصر وأن تستمتع بما فيه ، وفي الحقيقة هو الهدف الأخير وهو المعوّل عليه . فالله عز وجل خلقنا للجنة وخلقنا لسعادة أبدية :

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ

(الآية ١١٩ من سورة هود)

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(سورة الذاريات)

هذا هو الهدف كان من الممكن أن تُخلق للجنة و أن يعطيك الله العقل و الفطرة و الاختيار و الشهوة و الكون و القوة و التشريع و انتهى الأمر. أنت تلاحظ إنسانا يمشي في طريق متعرج ، في طريق العدوان ، في طريق الانغماس في الملذات فإذا حكمنا عليه حسب المنهج الإلهي ، فالمفروض أن ينتهي به المصير إلى جهنم ، لكن ما الذي يحصل ؟ أن ربنا عز و جل لا يدعه هكذا ؛ بل يتدخل ، يلفت

نظــره ويُسـمعه الحــق ، فإن لم يستجب يسوق له بعض الشـدائد فـيما بيـنه وبينه ، فإن لم يستجب يرفع مستوى الشدة ، وسماه الله عذابا صَعَدا.

والطبيب أحيانا يعطي دواء عيار ٢٥٠ ملليجرام ، فإن لم يسـتفد تصـبح خمسـمائة ، فإن لم يستفد تصبح سبعمائة وخمسين ، ثم تصبح ألفا . كلما كان تأثير الدواء ضعيفا رفع الطبيب مستواه .

قـبل أن أشرح معنى التواب ، فالقضية قضية الرحمة ، قضية أن الله عز وجل يمكن أن يعاملنا بعدله فنستحق النار ولكـنه عاملنا برحمته حتى يؤهلنا إلى الجنة ، هذا التواب . يعنـي أنـه لم يتركك ولكن تابعك وراقبك فأنت تحت سمعه وبصـره يحاسبك على كل حركة ، وعلى كل سكنة ، وعلى كـل خاطر ، أكلت مالا حراما ، يمحق لك من مالك عشرة أمثال ، ليؤدِّبك . اعتديت على أعراض المسلمين يسوق لك مشكلة بغير حل فتبقى سنوات وأنت في ضيق شديد ثم ألقى فـي روعـك أن هـذه المشـكلة يا عبدي بسبب هذا الذنب الوبـيل . فموضوع التوبة هو أن الله عز وجل يربي عباده ليسـتحقوا الإكرام في الدنيا حتى يأتي يوم القيامة وهم في الجنان ...

كلكم يعلم أن التواب على وزن فعَّال وهي صيغة مبالغة اسـم الفاعـل ، تقول مثلا : التائب يتوب مرة واحدة ، أما الـتواب ، فكثير التوبة . إذا ذكرنا أحد أسماء الله عز و جل

بصيغة المبالغة فالمقصود أن الله عز و جل كثير التوبة على عـباده أو أنه يتوب على عبده مهما كبر ذنبه ، إما كمّاً أو نوعاً وهو شيء معروف عندكم .

و اسم تواب من تاب . ، تاب يتوب توبة وتوبا بمعنى رجـع وآب بمعنى رجع ، وأناب بمعنى رجع ، وثاب بمعنى رجع . تقول : ثاب إلى رُشده . أي رجع إلى رشده ، وأناب إلـى ربـه وتاب أي رجع ، وآب أي رجع ، تاب وثاب وآب وأناب كل هذه الأفعال بمعنى رجع ، إذا قلنا : الله تواب ، أي يعـود على عباده بالخيرات ، ويعود على عباده بالإحسان ، يعود على عباده بالرحمة وبالغفران ، هذا معنى أن الله عز وجـل تـواب ، وهو معنى من معاني تواب ، ولكن المعنى الدقيق مستنبط من قوله تعالى :

ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

ما معنى تاب عليهم ؟ تاب عليهم يعني أنه ساق لهم من الشـدائد كـي يحمِلهـم على التوبة ، لو تركهم ، و أمدهم بصـحة جيدة و بأموال كثيرة و أمطار غزيرة و بلاد جميلة و هُـم غارقون في شهواتهم ، في ملاهيهم ، في أفراحهم ، في نواديهم ، في سكرهم و انحرافهم في كل الملذات فلو أن

الله عز و جل تركهم هكذا ، فهو ليس توابا ، و لكن يسوق لهم من الشدائد ليتوب عليهم .

أعرف رجلا ربح أرباحا طائلة و أراد أن يمتع نفسه فأزمع السفر إلى أمريكا وكأنه يتمنى أن يفعل فيها ما يشتهيه و أن يرتكب كل المعاصي ، و هناك شعر بألم شديد في ظهره فتوجه إلى مستشفى ، و صوّر عموده الفقري ، جاء التشخيص : ورم خبيث في النخاع الشوكي ... فلم تستطع قدماه أن تحمله حينما سمع الخبر ، فقطع رحلته و عاد إلى الشام ومن مسجد إلى مسجد و من مجلس علم إلى مجلس إلى أن تاب إلى الله توبة نصوحا ..

هذا الذي ساقه الله إليه حمله على التوبة فلو أنه تركه هكذا بصحة جيدة وقوة ومال وغنى وعاد من نزهته الجميلة بعد شهرين أو ثلاثة ليتابع عمله التجاري وليعيد الكرة في العام القادم إلى أوربا وهكذا فليس الله توابا .

أعرف رجلا ذكيا جدا لكنه يتفنن بالسخرية من الدين ومن رجال الدين ، يعد الدين كله خرافة وحالة مَرَضية ابتُلي بها الإنسان وهو أستاذ فلسفة ، وفجأة رأيته في حالة على غير ما أعرفه بها وهي حالة إنابة فلما سألته عن حاله قال : أنا وزوجتي منذ سنة تبنا إلى الله توبة نصوحا ، وتحجبت زوجتي ، واستقمت على أمر الله ، وأنا أحضر عندك في المسجد منذ ستة أشهر ، فرحت له فرحا شديدا ، ثم سألته ما السبب ؟ فقال : لي ابنة أصيبت بمرض خبيث

فــي دمهــا وكنت أحبها حبا جما وما زلت أعالجها في هذا الــبلد وهــذا البلد حتى اضطررت إلى بيع بيتي وفي النهاية جاءنــي خاطــر أنــك لو تبت الى الله أنت وزوجتك لعل الله يشــفيها ، فتاب إلى الله وشفاها الله عز وجل !!! ومنذ سنة دُعــيت إلى عقد قران وألقيت كلمة في هذا العقد وقلت له : هي هي ؟ ، قال : هي هي .

و الله أيهــا الأخوة : كل قصة أسمعها تحس أن رحمة الله عــز وجــل لا حدود لها فلو ترك العباد على معاصيهم و انحرافاتهم و شرودهم عن الله عز و جل و انغماسهم في الملذات وأكلهم المال الحرام وتطاولهم على الحق فلو تركهم هكــذا لاســتحقوا الــنار ، و لكنه يرحمهم . و معنى يتوب علــيهم أي يســوق لهــم مــن الشدائد ما يحملهم بها على التوبة .

هناك رجل همه الوحيد أن يفسد عقائد المؤمنين ، وهو يؤمن في كل كُرَيَّة في دمه أنه لا يوجد إله ، وأن كل شيء مــتعلق بالدين خرافة بخرافة ، وهو يجهد في إفساد عقيدة كــل مؤمن ، رزقه الله تعالى ببنت فأحبها حبا لا حدود له ، و لمــا ارتفعــت حرارتها ، أخذها إلى الطبيب ووصف لها الدواء ، وبقيت حرارتها مرتفعة ، ومن طبيب إلى طبيب إلى طبــيب إلى أن قال له أحد الأطباء الكبار: حالة ابنتك نادرة جدا بنسبة ألف في المئة ، هذا مرض مستمر حتى الموت ، حــرارتها أربعــون بشكل مستمر (و هو يؤمن أنه لا يوجد

إلـــه) ، تحمل هذه الصدمة وبكى وتألم ، وبعد حين اختل تــوازنه وصـــار يأتي بها إلى عمله وهو شيء غير مقبول لأنــه موظف ، فخاف أن تموت في غيابه فلم يحتمل ، تقول زوجــته : بعد شهرين أو ثلاثة من استمرار حالتها المتردية قـــال لها : أريد أن أغتسل . وبدا عليه كأنه أنه يغتسل لأول مرة في حياته ، اغتسل وقام ليصلي وهكذا قال حسب رواية زوجــته ، قـــال : " يقولون إنك موجود ، فإن كنت موجوداً فإما أن تشفي ابنتي وإما أن تميتها وإما أن تميتني " ، وقام وصلى ركعتين بكى فيهما بكاء شديدا وكانتا أول ركعتين في حــياته ، ومـــا إن سـلّم من صلاته ، حتى انخفضت حرارة ابنته ، وشفاها الله بقدرته !!!

وهناك من هذه القصص الواقعية الكثير فمرة بعد درس الأحــد قال لي شاب : أريد أن أقابلك ، فقلت : تفضل قال : والله يـــا أستاذ ما من معصية تعرفها أو تخطر ببالك إلا وأنا أقترفها على وجه الإطلاق ، نشأت جاهلا وعند رجل أكد لي أنـــه لا يوجد إله ، فافعل ما شئت ، حدثني عن نجاحه في التجارة وعن أرباحه الطائلة وانحرافه وانحطاطه وسفرياته وقصة طويلة معقدة إلى أن جاءته ضربة من الله عز و جل فحطمـــته فجأة ، و وجد نفسه بلا دخل ، و أصابته وأولاده وزوجــته أمراض وبيلة ، فلم يعد يملك ثمن الطعام ولا ثمن الـــدواء ووصـــف لي : و الله كأن مطرقة تطرق رأسي كل دقـــيقة إلـــى أن مررت بأحد المساجد وسمعت المؤذن يؤذن

فدخلت المسجد وصليت أول مرة في حياتي وبكيت بكاء شديدا وعاهدت الله على التوبة . أقول لكم هذه قصة قصتان ثلاثة وصلت إلى مسامعي ولكن يجب أن تعلم أنه ما من رجل في الأرض إلا وله مع الله قصة وهذا معنى التواب يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : " إنهم عبادي ... لا أقنِّطهم من رحمتي ؛ إن تابوا إليَّ فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهِّرهم من الذنوب و المعايب " ...أي : أعرف كيف أداويهم .

و كثير من الإخوان سبب مجيئهم للمسجد مشكلة كبيرة ساقها الله إليهم ففزعوا و أنابوا و ارتجعوا و تابوا فقبلهم الله عز وجل و تجلى عليهم . هناك أشخاص أصابهم مرض عضال ، خاطب الله عز و جل و هو في غرفة العمليات لاستئصال الورم الخبيث قال : يا رب أعاهدك إن شفيتني من هذا المرض ألا أعصيك ما حييت . وشفاه الله من هذا المرض فبقي ثابتا على عهده . فلولا هذا الورم الذي ساقه الله له ما كان ليتوب . صدقوني عشرات بل مئات بل آلاف القصص التي انتهت إلى سمعي مصادفة فكيف لو تتبعت الأمر؟ . هذا معنى التواب . يعني .. " تاب عليهم ليتوبوا " هي من أجمل آيات الدرس . يعني ساق لهم من الشدائد ما يحملهم بها على التوبة فمن هو البطل ؟ الذي يأتيه طوعا والذي يأتيه وهو في الرخاء !!! هذه هي البطولة .

الله لكل من تاب بعد مصيبة ، ولكن الأكمل والأقوى أن تعرفه في الرخاء لا في الشدة، أن تعرفه وأنت غني وأنت قوي .

المعنى الثاني : تواب : أي يسوق لعباده من الشدائد ما يحملهم على التوبة وأجمل الآيات :

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

(سورة البقرة)

آيـة ثانـية : " ثُمَّ تابَ عليهم لِيَتُوبوا " يعني إذا جاءت تـوبة الله قبل توبة العبد فهي الشدائد التي يسوقها للعبد ؛ وإذا جـاءت تـوبة الله بعد توبة العبد فتعني قبول التوبة . يحملـك علـى الـتوبة ثم يقبل توبتك ، وأنت بين دافع إلى التوبة وبين قبول لهذه التوبة .

أنـا أتمنى على الأخ الكريم أن يجري مناقشة منطقية ويسـأل نفسه فمثلا يكون عمره ثمانين سنة ويحاسب نفسه ويقول : هل هناك تقصير أو انحراف سابق إلا وساق الله لك شـدة وأعـادك إلـيه ، فما لك تنتظر الشدة إذن ؟ إذا وقع الإنسـان فـي غفلة فلماذا ينتظر الشدة ، ليعود الى الله بلا شـدة بلا تأديب وبلا مشكلة وبلا مصيبة وبلا تضييق ، هذا هو الذكاء ، وهذا هو العقل ، وهذه هي الحكمة .

هناك شيء آخر : قالوا : الله عز وجل يتوب على عبده ابتداء أي يسوق له من الشدائد ما يحمله على التوبة وأما تمام التوبة أن يقبلها منه وأن يثبّته عليها ، فمثلا : لو قال عبد : يا رب أنا تبت إليك ، فهذا الذنب لا أقع فيه مرة ثانية ، ولم يقل : يا رب ثبتني اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك ، ثبت قلبي على طاعتك فلو قال أنا تبت وانتهى الأمر فما بقي علي بعد ذلك ؟ فهذا الذي ينسب التوبة إلى نفسه ويعتد بإرادته وبقدرته على متابعة التوبة ربما أضعف الله مقاومته ، فوقع في الذنب مرة أخرى . لذلك تمام التوبة قبولها و التثبيت عليها لأن الإنسان إذا تاب من ذنب ثم عاد إليه يختل توازنه وينهار فلو فعلت هذا الذنب المئة ألف مرة قبل التوبة أهون من أن تفعله مرة واحدة بعد التوبة ، دققوا ، لأنك إذا فعلته بعد التوبة انهارت معنوياتك وشعرت كأن الطريق إلى الله عز وجل غير سالك . أما الشيء الذي يلفت النظر قوله سبحانه وتعالى :

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾

(سورة النساء)

" يقول عز و جل في الحديث القدسي : " لله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد و من العقيم الوالد و من الظمآن

الـوارد " أعرابي يركب ناقة عليها طعامه وشرابه ، جلس ليستريح فشردت عنه ناقته فأيقن بالهلاك فجلس يبكي حتى نـام ثـم أفـاق فـرأى الناقة من شدة فرحه اختل توازنه فقـال : يـا رب أنا ربك وأنت عبدي . . : يقول عليه الصلاة والسـلام : " لله أفـرح بتوبة عبده المؤمن من هذا البدوي بناقته " .

الله عـز وجـل يـريد أن يتوب عليكم ، إذا رجع العبد العاصـي إلـى الله نادى مناد في السموات والأرض : " أن هنّـئوا فلانـا فقـد اصـطلح مـع الله . " " واللهُ يريد أن يـتوبَ علـيكم ويريدُ الذين يتَّبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما " .

اجلـس مـع أهـل الدنيا ، أو أهل الشهوات ، أو أهل الفجـور ، هـذا الفاجر وهذا العاصي يتمنى أن يجرك إليه لتكون مثله ، يقول لك : " ضعها برقبتي ، والله تواب رحيم وغفور رحيم ولا تدقّق فالله لا يدقق " ومن هو حتى تضعها بـرقبته ؟!!! مـا هـذا الكلام ! " والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما " يجب أن تقـدّس هـذه الإرادة الإلهـية ، فالله عز وجل يريد لك الخير ، و السعادة الأبدية .

هـناك إنسـان بعد حين سوف يعذَّب عذابا لا يحتمل ، والآن راكـب سـيارة ، وإنسان آخر بعد حين سينال أعلى مـرتبة وهو يمشي على قدميه ؛ التقيا في الطريق، فمن هو

الفائـز؟ بهذه العين راكب المركبة الفاخرة ، لكن بهذا العقل الفائـز ؛ هو الذي يمشي على قدميه . تصوروا بيتا ضخما جـدا ثمـنه مئة مليون فيه كل شيء وله طريق وعلى هذا الطـريق إنسان يصعد على قدميه ليتملك هذا البيت ، إنسان آخـر يركب مركبة فارهة باتجاه أن يُشنق في ساحة عامة . التقـى هذا الذي يركب المركبة مع هذا الذي يصعد إلى هذا البيت في الطريق فهنيئا لمن ؟ بالعين لراكب السيارة ، أما بالعقل لمن يمشي على قدميه فالأمور بخواتيمها .

قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

(سورة إبراهيم)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

(سورة البقرة)

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

(سورة آل عمران)

قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

(سورة النساء)

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ
كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ
ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

(سورة القصص)

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة القلم)

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

(سورة السجدة)

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾

(سورة القلم)

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

(سورة الجاثية)

كلام واضح كالشمس .

أيهـا الأخـوة : معنـى تـواب يعني يعود بالخير على عباده ، فالأمطار من التواب عاد بها علينا ، و الهواء الذي نستنشقه من التواب عاد به علينا ، وهذه الأجهزة التي تعمل بانـتظام من التواب عاد بها علينا ، وهذا الذي أنعم الله به علينا من التواب فهذا أول معنى .

المعنـى الثاني : تواب قبل التوبة بمعنى يسوق لعباده الشدائد :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

(سورة الأنعام)

انظـروا إلى الآية ما أجملها وما أدقها ، ما معنى هذه الرحمة ؟

قال " ولا يُردُّ بأسُه عن القوم المجرمين " هذه رحمته ، رحمـته تقتضي ألا يُرد بأسه عن القوم المجرمين . تصور

ابـــنا ذكـــيا وأبوه عالم ، الإبن مقصر فضربه الأب وضيق عليه ، حاسبه ، زجره إلى أن نجح ، تابع عليه المراقبة إلى أن صـــار طبيبا ونال أعلى الشهادات ، وجلس في عيادته ، وثلاثون زبونا في الخارج وتصوير ودخل يومي من خمسين إلـــى ســـتين ألف ، فيقول : الله يجزي والدي كل خير على الضـــرب الذي ضربني إياه في الصغر فلولاه لم أكن طبيبا . فلو قال له : لا أريد الدراسة ، فلم يزجره ، بل تركه فأصبح وراء الناس فيقول : لماذا لم يضربني أبي ، ولماذا لم يضيِّق علي ، أو ينصحني ، أو يطردني من البيت لماذا ؟ إن رحمة أبـــيه الســـاذجة ؛ مع الجهل تجعله يحقد عليه ، بينما شدة والده الواعية ؛ تجعله يذوب حبا له .

أمـــثلة بســـيطة لو فرضنا أن إنسانا كان منحرفا حتى ضـــيَّق الله عـــز وجل عليه وخوفه وأرسل له شدائد إلى أن اســـتقام علـــى أمر الله ، فذاق طعم القرب ومعنى الهداية ، وشـــعر بسعادة كبيرة يقول : يا رب لك الحمد على أن سُقتَ إلي هذه الشدائد ، والله أيها الإخوة أنا أقول لبعض الإخوان الذين ابتلاهم الله ببعض المصائب : و الله الذي لا اله الا هو ســـيأتي وقت يُكشف لك عن سر هذه المصائب . ان لم تَذُب كالشمعة حباً لله عز و جل ؛ فهذا الدين باطل .

فالإنسان يجب أن يعرف أن الله عز وجل تواب ، ومعنى تـــواب يعني يحبنا ، فمثلا : إنسان يسير في الطريق تفكيره غير جيد ، فيصطدم بعمود ، إلى أين تسير يا عبدي ؟ يكون

ماشـيا بشكل خطأ ، أو نظر إلى امرأة لا تحل له فجأة تأتيه الصدمة ، ويشج رأسه ، فالله عز وجل تواب .

أكـل مبلغا بالحرام فيضيع الله له عشر أمثاله ويربيه ، فـإذا أصلح عطلا وأخذ من الزبون عشرة أمثال وقال له : عشـرة آلاف ، و الـزبون لا يعرف ، فعاتبه جاره فأجابه : هكـذا العمـل ، وفي اليوم الثالث دخلت في عين ابنه نثرة بـرادة فدفـع له ستة عشر ألف ليرة لبنانية. فذهب ربحه الحرام وجاءه التأديب .

أخ جـاءه شـخص يريد شراء حاجات من عنده فطلب سـتة قطع ألبسة ، لكنه يبيع بالجملة فرآها إهانة له وقال : أنا لا أبيع بالقطّاعي فقال له : شكرا ، بعد ذلك أقسم بالله أنه مضـى عليه ثلاث وعشرون يوما ولم يدخل إليه إنسان إلى المعمل . فالله عز وجل تواب .

انظر إلى النحاس كم هو جميل ، من كثرة الطرق أصبح جمـيلا وهكـذا المؤمن كلما ازداد عليه الطرق يصبح أديبا وكلامـه مضـبوط وليس عنده كِبر ولا تطاول ، هذا معنى التأديب الإلهي وهو معنى التواب أي يعالجك حتى تصبح نقيا كالملك تماما .

" يقـول عز وجل في الحديث لاقدسي : وعِزّتي وجلالي لا أقـبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سـيئة كـان عملها: سقما في جسده ، أو إقتارا في رزقه ،

أو مصيبة في ماله ، أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذرّ ؛ فإذا بقي عليه شيء ، شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه " !!! .

أيها الإخوة : والله الذي لا إله إلا هو أنا ناصح لكم ، وكنت أقول كلمة باللغة العامية : أنا دعوتي ملخصة بكلمتين : إما أن تأتيه راكضا أو أن يأتي بك ركضا . ويعلم الله كيف يأتي بك ، ويعلم كيف يخوِّفك ويعرف كيف يجعل ركبتيك ترتجف ، و يعلم كيف تسمع الخبر و تقع مغشيا عليك ... فتعال إليه بنفسك أفضل لك .

أعرف رجلا أسرف على نفسه كثيرا وله جار صالح نصحه فلم يستجب ، ومات على معاصيه ، ثم رؤي في المنام يرتدي ثيابا خشنة قميئة مهترئة ويدور حول بحرة ويقول : نصحني فلان ما انتصحت يا ليتني انتصحت ، لو أنه نصحكم فاسمعوا نصيحته ، فالإنسان ما دام قلبه ينبض فيقول لك : التخطيط سليم فالتوبة مفتوحة ، وما دام القلب ينبض فالباب مفتوح فالحق بنفسك .

قال لي صاحب معمل : قبل عشر سنوات كنت أفقد مالا ، أضع ألفين في جيبي ثم لا أجد شيئا ، فهناك عامل يسرقني وبقيت شهرا أراقب والسرقة مستمرة بالمال والبضاعة ، ثم توقفت السرقة ، وبعد عشر سنوات طرق بابي شاب ملتح قال: أنا فلان هل عرفتني ؟ فأجاب : نعم كنت عندنا قال : كنت أسرق منك وتبت إلى الله عز وجل ،

وها أنا بين يديك جئت لأدفع لك كل الذي أخذته منك . فقال له : والله نظير هذه التوبة وهذه الأوبة سامحتك ولك مكان في معملي إذا شئت أن ترجع .

ما دام القلب ينبض ، فالحل سهل وكله يتصحح ، ممكن أن تدفع الديون المترتبة عليك سابقا ، وممكن أن تعيد الحاجات لأصحابها ، وممكن أن تستسمح من اغتبته . كله ممكن فإما أن تأتيه طائعا وإما أن يحملك على أن تأتيه طائعا فالأولى أرقى وأشرف وأجمل وأحلى .

فالتوبة الأولى " ثم تاب عليهم ليتوبوا " بحمل على التوبة والثانية " تابوا فتاب الله عليهم " ، يعني قبل توبتهم ، وإذا قبل توبتهم يعني ثبّتهم عليها .

خبر مسند أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة : واستغفر الله لهم فأوحى الله إليه أني قد غفرت لهم ما بيني وبينهم ولم أغفر لهم ظلم بعضهم لبعض . ما بيننا مغفور لكن ما بينكم وبين العباد لا بد من أن يصحّح وهذا معنى قوله تعالى :

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

(الآية ٣١ من سورة الأحقاف)

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

(الآية ٤ من سورة نوح)

يعني بعض ذنوبكم .

أتمنى من كل إنسان أن يحاسب نفسه حسابا دقيقا ، و أسعد إنسان هو الذي يمشي على منهج الله في كل شيء ، أسعد إنسان هو المطيع ، ألا يكفينا قوله تعالى :

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

(سورة الأحزاب)

ألا يكفينا قوله تعالى :

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

(سورة الحجرات)

ألا يكفي المظلوم أن يكون ظالمه في معصية الله .

أيها الإخوة الأكارم : معنى تواب أي لا يعاملك بالعدل فحسب بل بالرحمة يعني يتابع . فالأب الرحيم كل يوم ينادي ابنه ويسأله عن وظائفه وماذا كتبت ؟ أما أن يتركه حتى

يرسب ويقول قدمت الذي علي فيجيب الابن : صحيح لكنك لم تكن رحيما بل كنت عادلا أما الرحيم الذي يتابع .

ربنا عز وجل هو التواب أعطاك الأمانة وكلفك بالأمانة ، و أعطاك عقلا وأعطاك كونا وأعطاك إختيارا وأعطاك شهوات وفطرة وشرعا ، ومع ذلك يتابع أحوالك بالنصح مثلا :

أحد إخواننا الكرام يلزمه مبلغ من المال ، فوجد بيتا بسعر مغر جدا بقيمة " ٢٥٠٠٠ ليرة " والقصة قديمة ، معروض بخمسة وثلاثين ، و معه عشرة آلاف ويلزمه خمسة عشر ألف ، ومعه سندات فذهب إلى المصرف ليحسم هذه السندات ، والحسم ربا معكوس ومدير البنك ليس مسلما بل ذميا . فقال له : يا أبا فلان ، أنت مسلم وهذه حرام في دينكم ، ابْقَ نظيفا . فقال : صرت أبكي ، أنا أتلقى نصيحة من انسان غير مسلم في أمر ديني ؟؟!!! . فقال : يا رب أعاهدك ألا أشتري هذا البيت وألا أعصيك ، فقال لي : توجهت من المصرف إلى محلي التجاري ووجدت صديقا قديما ينتظرني فقلت : خيرا فقال : أريد الذهاب للكويت ومعي ستون ألفا لست بحاجة إليهم ، وأريد أن أودعهم عندك سنتان وأناشدك الله أن تستعملهم ، أقسم بالله أنه بعد نصف ساعة حينما عاهد الله ألا يعصيه ، كيف تاب الله عليه ؟ لم يرسل له مصيبة لأنه كان سريع الفهم فتركه يكلم الذمي وينصحه بأن يبقى نظيفا .

فـــالله ســـبحانه وتعالى حكيم فإن كنت تأتي باشارة فلا تحـــتاج لكلمـــة ، وإن كنت تأتي بكلمة فلا تحتاج للضرب ، كلمـــا كان للإنسان حساسية يفهم بالإشارة . و أحيانا يحس الإنســـان بإنقـباض فـيقول : هناك شيء . و هناك إنسان يحـــتاج إلـــى تأديـــب علني أو عذاب مهين أو عذاب عظيم أو عـــذاب ألـــيم فكلمـــا ارتقت مكانة الإنسان عند الله تكفيه الإشارة ، فالحُر تكفيه الإشارة .

معنـــى تـــواب : أي أنـــه لـــن يتركنا بل يريدنا ، نحن مطلوبـــون إلـــيه ، خلقـــنا ليسعدنا ، خلقنا ليرحمنا ، خلقنا ليسعدنا في الدنيا والآخرة . فافهم أن الحر تكفيه الإشارة ، فـــإذا قصـــرت يأتي بك ، وأحس أحيانا أن إخوانا كثيرين قد تـــركوا المجـــالس ثـــم يمضي أشهر فيرجع فلا بد أن هناك مشـــكلة فيركض ركضا . فابق ثابتا لأن الله يحب الثابت ولا تكـــن كالقـــارب الصـــغير فـــي اضطراب باضطراب بل كُن كالسفينة الراسخة :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

(سورة الأحزاب)

انتهـــى الأمر أنت عاهدت خالق الكون فإذا عاهدت الله على الطاعة وعلى تلقي العلم وخدمة الناس فابق ثابتا .

هــذا معنى اسم التواب ، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يــتوب علينــا لأن الله عــز و جل يقول : " إذا رجع العبد العاصــي إلى الله نادى مناد في السموات والأرض أن هنِّئوا فلانا فقد اصطلح مع الله " .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الحق

الحق

الدرس اليوم مع اسم الله تعالى الحق وهذه الكلمة متداولة بكثرة كثيرة ، والله سبحانه وتعالى هو الحق ، وكلامه هو الحق ، و وعده هو الحق ، و وعيده الحق ، وأفعاله حق .

قبل أن نمضي في الحديث عن كلمة "حق" لابد من ضرب الأمثلة : فمثلاً

معك جهاز كهربائي ، وبحاجة إلى طاقة كهربائية ، توجهت إلى مأخذ كهربائي ووضعت فيه الشريط ، فالآلة لم تتحرك ، فهذا المأخذ ليس فيه كهرباء ، فتوجهت إلى مأخذ آخر و وضعت فيه الشريط فدارت الآلة ، أول مأخذ باطل ، الثاني حق .. ما معنى الحق إذن ؟ ..

يعني أن الشيء الموجود موجود .فالحقيقة أن الله هو الحق ، وإذا توجهت إلى غيره فلن تجد شيئا بل سرابا في سراب ، وعود كاذبة ، وأقوال فارغة ، و كلمات طنّانة ، وليس فيها شيء وإذا توجهت إلى الله عز و جل وجدت كل شيء ، فأول معنى من معاني الحق : الشيء الموجود ، وأول معنى من معاني الباطل الشيء المعدوم ، والإنسان إذا وعدك وعدا ونفّذ وعده فوعده حق ، فإن لم ينفذ فوعده باطل ، وإذا توهمت أن الجن بإمكانهم أن يفعلوا كذا وكذا ،

وفـي الحقيقة الله سبحانه وتعالى ما أعطى الجن قوة أبدا ، فاعـتقادك أن الجـن بإمكانـها أن تفعل وأن تؤذي وأن ترفع وأن تخلّـص فهذا اعتقاد باطل لأنه لا يطابق الحقيقة ، وإذا قلـت فلان بإمكانه أن يفعل وهو في الحقيقة عبد لا يستطيع أن يفعـل شـيئا فقـولك باطل ، فالشيء الموجود واعتقاد وجوده والاعتراف بوجوده ، هذا هو الحق ، أما أن تعتقد أن هـذا الشـيء موجود وهو غير موجود فهذا اعتقاد باطل ، وإذا قلـت هـذا الشيء موجود وهو غير موجود فهذا قول باطـل ، والصـواب أن الحـق هو الموجود ، والباطل هو المعدوم .

وإذا تحدثنا عن الاعتقاد ، فالاعتقاد الحق حينما يوافق الواقـع فهـو حق ، وإذا خالف الواقع فهو باطل ، والقول الحـق حيـنما يوافـق الموجود فهو حق ، وحينما يخالف الموجود فالقول باطل .

و أخطـر شـيء في الحياة أن تتجه إلى جهة لا تملك شـيئا ، و أخطـر شـيء في الحياة أن تعتقد اعتقادا غير صـحيح ليس له مرتكز واقعي أبدا ، و أخطر كلام تقوله أن تـنطق بشـيء لا يرتبط بالواقع ، فما الذي ضيع الناس ؟ الـباطل ، وقد تعتقد اعتقادا بعد سنين طويلة ينكشف للعالم كله أنه اعتقاد باطل ، وأن هذا المبدأ غير صحيح ، وأن هذا المبدأ ما حقق شيئا للإنسان ، بل زاده شقاء .

فإذا كنت مع الحق فأنت في سعادة كبيرة ، لماذا ؟ لأنك مـــع الثابت ومع الموجود ، وهذا ملخص الدرس ، أو هذه هي الخطوط العريضة للدرس .

و الشيء الموجود إما أن يكون واجب الوجود أو ممكن الوجـــود فالخالـــق واجـــب الوجـــود ، فلابد من أن يكون موجـــودا ، ولا يمكن إلا أن يكون موجودا ، والعقل لا يقبل هذه الدِّقة البالغة من دون إله خالق ؟ ومن دون إله مبدع ، ومـــن دون إلـــه مصمم ، أو إله حكيم ، أو إله عليم أو إله قديـــر ، فالموجود واجب الوجود ، أما الممكن فمثلنا نحن : فنحن مُمكنوا الوجود ، أي ممكن أن نكون أو لا نكون ، ولا يكـــون وجـــودنا حقا إلا إذا شاء واجب الوجود أن نكون ، ولذلك ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يَكن .

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

(سورة إبراهيم)

فـوعد الشـيطان باطـل ، وأحيانا الشيطان يخوفك ، وتخـويفه باطـل وأحـيانا يعـدُك بالفقـر و وعده باطل ، و القضـية ليست قضية فكرة تتعلمها بل القضية مصيرية ، فإن كان لك مبلغ في مدينة حلَب كبير جدا ، ولن تقبضه إلا مـن السـاعة الثانـية عشرة حتى الساعة الواحدة من يوم السبت ، وهذا المبلغ إذا قبضته يحل كل مشكلاتك ، توجهت إلـى المحطة ، وركبت قطارا يوصلك إلى حلَب ، وقد تخطئ وأنت راكب في هذا القطار عشرات الأغلاط ولكن ما دام هذا القطـار فـي طريقه إلى حلب وسوف تصل إلى هذه المدينة قـبل الساعة الثانية عشرة ، فأنت في الحق ، أما إذا ركبت قطارا متجها إلى درعا فهذا القطار باطل لأنه لن يوصلك إلى هدفك ، إنه قطار ولكن يتجه بك إلى عكس هدفك ، و أنا في حِيـرة من توضيح هذا لأنه دقيق وعميق جدا ، وقد يحتاج الإنسان لتوضيح الحقائق إلى ضرب الأمثلة .

الله هـو الحـق ، و هذا الكون لأن الله خلقه هو حق ، ولأنـه موجود و لكن هذا الشيء ممكن الوجود ، فيمكن أن يكـون ويمكن أن لا يكون ، لكن الله سبحانه وتعالى واجب الوجـود ، وأن تعـتقد بوجـوده فاعتقادك حق ، وأن تُقِر بوجـوده فإقـرارك حق ، وإذا اعتقدت بأن زيدا من الناس بإمكانـه أن يـنفعك فاعتقادك باطل ، أو بإمكانه أن يضرك فاعتقادك باطل ، وإذا قلت هذا فقولك باطل ، فصار الموجود هـو الحق ، والاعتقاد بالوجود هو الاعتقاد الحق والإقرار

بالوجــود هو الإقرار الحق ، وهذه الفكرة النيِّرة تقودنا إلى فكــرة أخــرى ، بأن الحق في الكون لا يتعدد ، وبأن الحق واحد ، لقوله تعالى :

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

(سورة يونس آية ٣٢)

فــإن اعــتقدت خــلاف ما في هذا القرآن فأنت بالدليل القطعي ضال ، لا سمح الله .

وإذا اعتقدت أن الأجل (العُمر) بحسب العناية بالصحة، فــإذا اعتقدت أن الأجل متعلق بذلك فهذا اعتقاد باطل ، لأن الإنســان لا يمــوت إلا إذا انتهــى أجله ، ولكننا لا نُنكر أن العــناية بالصحة واجب ، و لكن هذه العناية لا ترتبط بالعمر ولا تؤثّر فيه ..

أخ كريم من إخواننا روى لي قصة ، فقال أنا ولدت في بيت ولي عمّان فوالدي له غرفة ، وعمي له غرفة ، وعمي الثاني له غرفة ، وفي الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء وُلدت فــي غرفتنا و الغرفة الملاصقة لها هي غرفة عمي ، وفيها زوجــته ، وقــد أصــيبت بمرض عضال خطير ، وأستدعي أربعة أطباء لمعالجتها ، ومن غرائب المصادفات أن الأطباء الأربعــة اتفقــوا على أنها لن تعيش أكثر من ساعة . فأنا ولــدت وكبرت وترعرعت ودخلت المدرسة ، وتخرجت فيها

وعملت مع والدي ، وتوفي والدي ، وتزوجت ، وانتقلت من بيت إلى بيت إلى بيت ، واشتريت آخر بيت وهو الذي أنا فيه ، وأصبح عمري خمسة و أربعين عاما وجاءت زوجة عمي لتزورني . ولو قال أربعة الأطباء أنها انتهت بعد ساعة ، فلقد عاشت بعد ذلك خمسة وأربعين عاما ، إذن كلام الأطباء باطل .

إن الطبيبَ له عِلم يُدِلُّ به

إن كان للناس في الآجال تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته

حار الطبيب وخانته العقاقير

أيها الإخوة الأكارم ، أنا أقول الآن هذه الكلمة هل تعرفون من البطل ؟ البطل هو الذي يأتي اعتقاده مطابقا للواقع ، ويأتي حديثه مطابقا للواقع ، وتأتي حركاته مطابقة لمنهج الله عز وجل ، ولنا مَثل في آلة غالية الثمن ، معقدة التركيب ، عظيمة النفع ، وأنت حريص حرصا لا حدود له على أن تستعملها وفق تعليمات الشركة ، فكيف بك وأنت المخلوق الأول ؟ .

إذن : كلمة حق و خطيرة جدا و أنا أتمنى على كل أخ أن يعمل في مراجعة أفكاره عن الدين هل هي صحيحة ، وهل معتقداته صحيحة ، و هل تصوراته عن الله صحيحة ، وهل معتقده بالنبي عليه الصلاة و السلام صحيح ، وهل

آراؤه فـــي القضـــايا المعاصـــرة صحيحة ، و ما قيمة رأيك أنت .

قلـــت لكـــم مـــرة لقد جرت حرب أهلية في بلد مجاور ودامـــت أربعة عشر عاما ، وانتهت والحمد لله وهذه الحرب الأهلية يمكن أن تفسر تفسيرا عربيا ، نقول هذا البلد أصبح ساحة صراع للقوى العربية ، ويمكن أن تفسر هذه الأحداث الدامـــية تفسيرا طائفيا ، يمكن أن تفسر تفسيرا دوليا ، إنه مركز مالي قوي جدا نافس مراكز أخرى ، ويمكن أن تفسَّر تفسيرا قرآنيا ، دينيا ، إلهيا ، قال تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

هـــذا التفسير الديني ، أي هذه التفاسير هي الحق ؟ إنه تفسير خالق الكون .

إذن : إذا توجهت إلى تفسيرات أخرى فتكون في باطل ! لقـــد حصـــل زلـــزال ، فهدمت مدينة بأكملها ، هناك تفسير ســـاذج ، إنه تصدُّع بالقشرة الأرضية أو التواءات داخلية ،

فهـذا تفسـير علمـي ، ولكـن هذا التفسير لا يتناقض مع التفسير الديني ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ١١٧

(سورة هود)

فـلا تكون بطلا إلا إذا استطعت أن تتعرف إلى الحق ، و أن يكـون اعـتقادك حقا ، و أن يكون كلامك حقا ، و أن تكون حركتك حقا .

و إذا كـنت تعاني من مشكلات ، و تفسير هذه المعاناة بقلة الحظ فهذا تفسير باطل ، و هناك تفسير آخر أن تقول : لـي حُسَّـاد كثيـرون رمونـي بحسدهم ، وهذا تفسير باطل أيضـا ، لأنـه لا يسـتطيع أحد أن يضر أحدا ، إلا إذا كان مسـتحقا أو غـافلا ، و لكـن إذا قلت ما من عثرة ، و لا اخـتلاج عـرق ، و لا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم و ما يعفـو الله أكثر ، فهذا التفسير حق ، وأنت في اليوم الواحد أمام آلاف المقولات الباطلة ، فالبطولة أن تتعرف إلى الحق وأن تعـتقد الحق ، وأن تنطق بالحق ، ولن تكون على حق إلا إذا عرفته ، ولن تعتقد به ، ولن تنطق به إلا إذا عرفته ، لـذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : " أصل الدين معرفة الله " .

و مــثلا عــن أصــحاب الصنعات ، فلو فرضنا إنسانا تصــرف في صنعته تصرفا خاطئا ، فنقول إن هذه الطريقة باطــل ، ولو أشاد إنسان بناء على الشاقول ، فسوف نقول هــذا البــناء حق لأنه سيستمر ، ولو أشاد بناء بلا شاقول فــنقول هذا البناء باطل ، لماذا ؟ لأنه سيقع . فما هو الحق إذن ؟ ؛ هــو الشيء الموجود ، ولكن يجب أن نضيف شيئا عندما قال ربنا :

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾

(سورة الحجر)

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ

(سورة الروم آية ٨)

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾

(سورة ص)

الباطل : هو الشيء الزائل ، والحق : هو الشيء الموجود الثابت و من معاني الحق الشيء الموجود الثابت ، والآن سنضيف شيئا ، الموجود حق، أما درجة أعلى ، فواجب الوجود ، ودرجة أعلى فدائم الوجود ، فواجب الوجود ودائم الوجود ، أعلى من ذلك ، ولا موجود آخر معه ، إنه واحد في وجوده ، ودرجة أعلى كامل في وجوده . فهو واجب ودائم وواحد وكامل ، هذه حقائق ثابتة عن الله عز وجل .

الله موجود ، بل هو واجب الوجود ، بل هو أبدي الوجود ، لا شيء بعده ، وهو واحد في وجوده ؟ وكامل في وجوده . فإذا عرفته عرفت كل شيء ، وإن فاتتك هذه المعرفة فاتتك كل شيء ، و الله ما حصَّلت شيئا ، لو ملكت أموال الدنيا ، أو ارتقيت إلى أعلى مكانة في الحياة ، ولو حصَّلت كل الشهوات وما عرفت الحق ، لأن وجودك ليس ذاتيا ، فلو كان وجودك ذاتيا فليس هناك مانع ، لكن وجودك مرتبط بواجب الوجود ، فإذا شاء واجب الوجود وهو الله أن يلغي وجودك تنتهي .

لقد كنا مدعوين إلى عيد مولد في أحد مساجد دمشق ، و الذي دعاني و قدم لي بطاقة الدعوة ، هو أحد إخواننا الأكارم ، كان ذلك يوم الجمعة بعد الدرس ، فتوجهت إلى هذا المسجد ، وفي مدخله رجال عديدون يقفون لاستقبال المدعوين ، صافحتهم واحدا واحدا ، وسألت الذي دعاني في

الطـــريق ، من الذي أشرف على هذا المولد ، قال لي: عمي فلان والد زوجتي ، قلت له أين عمك ؟ ، قال هو في الداخل فلمـــا دخلـــت صحن المسجد ، رأيت رجلا مكتمل الرجولة ، يرتدي الثياب الأنيقة مورد الوجه نشيطا ، لا أعرفه سابقا ، فرحب بي ترحيبا حارا ، وأثنى كثيرا ، فدخلت إلى مكاني في الحفـــل ، وكان أحد الإخوة الأكارم يُلقي كلمة ، وأثناء إلقاء كلمـــته ، تحرك اثنان من المدعوين ، فما فهمت لِمَ تحركا ، ثـــم ألقيت كلمتي ، بعشرين دقيقة ، وبعد أن انتهيت ، جاء رجـــل وهمـــس فـــي أذني أن هذا الذي استقبلك في صحن المسجد قد توفي ، وما استمع إلى كلمتك !!.

لا تعجب فأنت ليس واجب الوجود أنت ممكن الوجود ، والدلـــيل واجـــب الوجـــود أنهى وجوده ، بثانية ، يعني هو ينتظر أن ألقي كلمة ، فما استمع إليها ، وبعد أن دخلت وقع ومـــات ، و نحن والله لم نصدق ، أنهي الحفل ، وذهبنا إلى المستشـــفى ، ودخلـــنا إلـــى غرفة العناية المشددة فإذا هو مســـجَّى ، قـــد فاضت روحه إلى بارئها ، فأنت ليس واجب الوجـــود بل ممكن الوجود ، وأنت ليس حقا ، فالله هو الحق ولو كنت حقا لسرى عليك قوله تعالى :

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾

(سورة الواقعة..)

نحن فرحنا بالأمطار كثيرا ، فماذا لو أن السماء توقفت عــن إنزال المطر ، فأين وجودنا ؟ عند ذلك نرى كل الآبار والأنهــار جفت ، و النباتات في طريقها إلى الموت ، ونحن بعــد ذلــك ، هــل وجودنا ذاتي ؟ لا ، نحن وجودنا متعلق بمشيئة واجب الوجود .

وكــم يكــون هذا الإنسان غبياً إذا ظن أنه موجود وأنه واجــب الوجــود وأنــه يعمل وأنه يكسب المال ، فهذا هو الــباطل ، وهــو اعــتقاد باطل ، فأنت كلما تعرفت إلى الله صغُرت نفسك في عينك وكبُر الله سبحانه وتعالى في عينك ، فمن هو المؤمن ؟ هو الذي لا يرى إلا الله .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ

(سورة الفتح)

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ
وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

(سورة الأنفال)

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ
عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(سورة هود)

فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ
رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

(سورة هود)

قد تسأل ؛ لماذا يتكلم فلان بما ليس قانعا به ؟ .. لأنه لم ير أن الله هو كل شيء ، رأى الله عظيما ، وفلانا عظيما ، وظن أن زيدا وعبيدا وفلانا بإمكانهم أن يفعلوا و يرفعوا و يُخفِضوا ، و ينفعوا و يضروا ، و كلما نقص توحيدك إزداد شركك ، فاعتقادك غير صحيح .

فالقضية أخطر بكثير من أننا حضرنا درسا لطيفا ومعاني لطيفة ومنظمة ! الأمر يتعلق بحياة أبدية ، فهل أنت على حق وهل اعتقادك حق ، وهل تصوراتك حق ، أو

أفعالك حق ، ومواقفك حق ، و هل أعطيت بالحق أم بالباطل ؟ و هل منعت بالحق ؟ وغضبت بالحق ؟ و رضيت بالحق ؟ .

هناك غضب بالحق و رضى بالحق ، وإعطاء بالحق ، وصلة معه أو و قطيعة ، وحينما تعرف الحق أنه واجب الوجود وأنه أبدي الوجود وأنه واحد في وجوده ، وكامل في وجوده ، و لا موجود سواه ، وإليه المصير ، ولذلك تقطع كل العلائق ، وتتجه إلى الخالق . فالقضية أخطر بكثير من أن الإنسان حضر مجلس علم ، وأخطر بكثير من أنه صلى ركعتين ودفع ليرتين ، لأن الأمر أمر مصير ، أبدي ، والقضية قضية حق أو باطل ، قال تعالى :

فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ

(٣٢)

(سورة يونس)

و شيء آخر أنت لو اعتقدت اعتقادا ليس قطعيا ، هل أنت مؤمن بالجنة ؟ والله أغلب الظن ، أن هذا اعتقاد باطل ، وهل أنت مؤمن أن الله عز وجل سيسألك عن كل شيء ؟ والله لن يدقق ؟ ولن يحاسبنا إلا على قدر عقولنا .. فهذا اعتقاد باطل ، وأنت مؤمن بقوله تعالى :

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾

(سورة الزمر)

والله يخاطب النبي ، أي يا محمد ، أفَمَن حقّتْ عليه كلمةُ العذابِ أفأنتَ تُنقِذ مَن في النار .؟

إن الإنسان أحيانا و من خلال دروس غير منضبطة ، من خلال خطب غير دقيقة ، من خلال أقوال في جلسات غير صحيحة يتسرب الباطل إلى ذهنه وعند ذلك سوف يتصرف بالباطل . فنسأل لم تغش يا فلان ؟ فيقول أنا عندي أولاد ماذا أصنع ؟ .. فهذا كلام باطل ، وإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، و إن لكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا ، فأخطر شيء أن تنقّي عقيدتك من كل غلط ، من أمثلة ذلك ما اتُّهم به الأنبياء :

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة يوسف)

فيا أخي هذا نبي لن يقع في الزنا ، و هذا اعتقاد باطل ، و هذا التفسير للآية باطل " و لقد همت به وهم بها " همَّ بدفعها وهمَّت بجذبه ، أو ولقد همت به ، ثم وقف . في

القراءة ، ثم نُكمل : " وهمَّ بها لو لا أن رأى برهان ربه " ، فهذا هو التفسير الحق ، عن الأنبياء .

الله عز وجل يُلقي نورا في قلب المؤمن يُريه الحق حقا و الباطل باطلا ، أما بعض التفاسير أنه رأى أباه في المحراب فقال له إياك ، فنحن نريد التفسير الحق .

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

(سورة السجدة)

فيجب أن تفهم القرآن فهم حق وليس فهم باطل ، وأن تفهم كلام النبي فهم حق :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون اللهَ فيغفر لهم

صحيح مسلم

ما المقصود بهذا الحديث ؟ هل تُلحق بنفسك ذنبا إذن ، ليس هذا هو المعنى ... المعنى إذا بلغتم درجة لم تشعروا بذنوبكم فأنتم موتى ، لذهب الله بكم فمن أمضى سهرة بالغيبة ونام مرتاحا ، فالنبي الكريم قال :

" الغيبة أشد من الزنا " .

رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي مرفوعا

فـإذا ارتكـب الإنسان المعاصي ولم يشعر بشيء فهو مـيت ؟ أمـا المؤمن فيملأ الليل بالعمل الصالح ، فيجب أن تكون عقيدتك صحيحة ، عن الله عز وجل ، والله قال :

يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ

(سورة آل عمران من الآية ١٥٤)

و هناك مَن أكثر أفكاره عن الله غلط ، و أكثر تصوراته و معتقده و فهمه غلط ، يقول إن رسول الله كان ماشيا في الطريق فطرق باب زيد ، ففتح الباب ، و بدت زوجته زينب مـن دون ثياب وقد وصل شعرها إلى أسفل ظهرها فأعجب بهـا النبي وقال سبحان الله ، سبحان مقلب القلوب !.. من قال لك إن هذه القصة صحيحة من قال هذا ، نبي عظيم يفعل هـذا ؟ أنـت مـؤمن لا تفعله ، لذلك هذه القصة باطلة ، مدسوسة دسنا .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾

(سورة الحجر)

و يـزعم أحدهم أن امرأة حسناء صلّت بين الصحابة ، وهـل بينهم صلت ؟ إنها وضيئة وحسناء ، و بعضهم صلى خلفهـا ليرى محاسنها في أثناء الركوع والسجود و بعضهم

صلى أمامها ، فنزل قوله تعالى : " و لقد علِمنا المُستقدمين منكم ولقد علِمنا المُستأخِرين " ، إنه تفسير باطل ، و هم أعظم من ذلك ، وهؤلاء أصحاب رسول الله ، فأنت يجب أن تعرف الحق ، و أن تعرف ما يليق بالحق ، و أن تعرف أسماء الله الحسنى و صفاته الفُضلى ، و يجب أن تعرف ما يليق بالأنبياء ..

و قيل عن نبي الله داود : عنده تسع و تسعون امرأة ، وأحب زوجة أحد قواده ، فقال قدموه قدموه في الحرب لعله يموت و نأخذ هذه الزوجة ، (يقولون) فعاتبه الله عز و جل و قال يا داوود أعرض عن الهوى ، هذا تفسير غير صحيح ، سيدنا داوود انشغل بعبادته عن حل مشكلات الخلق ، فأرسل الله له ملكين تسورا المحراب ، وافتعلا خصومة وسمع من الأول ولم يسمع من الثاني ، قال له قد ظلمك ، ليعود إلى مصلاه ، فالهوى الذي نهي عنه هوى رفيع ، هواه في الإقبال على الله عز وجل يجب أن تفسِّر التفسير الذي يليق بالأنبياء ، ويليق بهذا الدين العظيم ، ونحن نريد أن نعتقد اعتقادا صحيحا ، ونقول قولا صحيحا ، وأن نطبق تطبيقا صحيحا لنكون على الحق .

و الآن : فالحق ؛ هو القول المطابق للواقع بدليل ، فأنت إذن لا تقبل كلاما غير صحيح ، لا يطابق الواقع ، إذ هناك دجالون كثيرون ،فهذه علاقتها مع زوجها سيئة ، فيقولون لها ، إنك تحتاجين إلى خروف أسود وأبيض ،

تذبحينـــه لكـــي يحبك ، فهذا كلام باطل ، كله دجل وكذب ، و نحـــن عـــندنا قرآن كريم ، و في هذا البيت معصية ، إذ يدعـــون إلـــى الله عز وجل عن طريق ضرب الشيش فقط ، مـــاذا علمـــتموهم ؟ ولـــو أن مريضـــا معه آلام مبرحة في المعـــدة ، وزار طبيـــبا ، فقـــال له انتظر ، ونصب حبلا في العـــيادة ، وصعد يمشي عليه فرأى المريض أعمالا خارقة ، وهـــو مريض ، يحتاج إلى دواء وعلاج ، فماذا يستفيد إذا سار الطبيب على حبل وكان بهلوانا .

أقـــول لـــك هذه الأمثلة ، أنت بحاجة إلى علاج ، وإلى راحـــة نفسية وإلى توازن ، وإلى سعادة و إلى حقيقة ثابتة لا تكتشـــف الأيام أنها زائفة ، ويمكن أن يعتقد المرء اعتقادا إلـــى أمـــد طويل وفي النهاية يظهر أن هذا الاعتقاد باطل ، و لا أساس له من الصحة ، وما سبب كما يقولون إلا دمار الإنسانية ، إذن كلمة الحق ، أن الله هو الحق .

يجـــب أن تعرف أن اعتقادك إذا كان مطابقا للواقع فهذا الاعتقاد حق وأن قولك إذا كان مطابقا للواقع فهذا حق .

ومـــا قـــولك إذا ركـــب أحدهم سيارة ، فقيل له لِمَ هذا الضـــوء و ما فائدته ، إنه ضوء الزيت ، يتألق ليسلّيك في الطـــريق قال له فقط ؟ قال : فقط ، فهذا التفسير صحيح أم غلط ؟ وهل التصديق صحيح أم غلط ، وهل الكلام صحيح أم غلـــط ؟ إنـــه غلط ، لأن هذا إذا تألق وبقيت ماشيا لاحترق

المحرك ، فيكلفك خمسين ألفا ، أما لو تألق ووقفت مباشرة فيكلفك مائة ليرة فقط .

يجب أن تكون معلوماتك ، وتصوراتك ، واعتقادك ، ومواقفك ، وعطاؤك ومنعك وصِلَتُك وقطيعتك وغضبك وسرورك ، كله بالحق ، والنبي كان يمزح ولا يمزح إلا حقا ، فيمكن أن تمزح و لكن مزح حق ، لا خدشا لمشاعر إنسان ، ولا تحقير إنسان ولا تحقير حرفة أو مهنة ، ويمكن أن تَروي طُرفة مُمتعة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ، ولا يمزح إلا حقا .

كلمة حق أتمنى على الله عز وجل أن تكون واضحة ، وبالقرآن وردت مئات المرات ، والله هو الحق ، أما معنى إحقاق الحق ، وأن كل ما سوى الله لا وجود له إلا بالله ، وفي أية لحظة إذا أراد الله لشيء أن يزول فإنه يزول ، يقول له : كُن فيكون زُل فيزول ، إذن ما سِوى الله ممكن الوجود وإذا وُجد فبالله ، وإذا استمر فبالله ، وإذا انتهى فبالله ، و هناك دعاء للنبي عليه الصلاة والسلام : " اللهم أنا بك وإليك " . موجز أنا بك يعني قائم بك ، والله ماذا قال ؟ قال : قُل اللهم مالكَ المُلك "، فهو مالك المُلك ، وكل شيء يُملك فاللهُ مالِكُه فعينك مِلْكه ، وأنت ترى بها ما دام قد سمح لك أن ترى بها ، وفي أية لحظة لو شاء أن تفقدها، تفقدها بلا سبب !!!

السمع و اللسان وكل ما تملك هو مالكه ، حدثني أخ قال لـــي : بمستشفى الأمراض العقلية ، هناك قسم خطير جدا ، رقم ٦ هذا القسم نزلاؤه كما خلقهم الله عز وجل ، يمزّقون كل ثيابهم ، ويأكلون من نجاساتهم ودمائهم وشعورهم ، أي شـــيء يوضع في هذا القسم يتلف ، فهم أقوياء البنية ، لكن عقلهم معطّل !!! فأنت لك مركز ، ولك عمل ، وتُتقن حرفة ، وأنت تفعل كل ذلك بالله ، فلو أخذ ما وهبه لك، انتهيت !!! وبيـــتك أنـــت عمّـــرته ، ورتّبته وزينته فلو صار في عقلك خلـــل ، فأهلك يطرقون أبواب المسؤولين حتى يسمحوا لهم أن يضعوك في مستشفى الأمراض العقلية ، لأنهم لا يطيقون أن يـــتحملوه . فقد كنت أنت الأب وأنت مالك البيت ، وأنت اشتريته ورتبته ، وأنت الآن لا تملك شيئا ، وفي أية لحظة يفقـــد الإنسان عقله ، يفقد بصره ، و سمعه . و أنت عندك كليـــتان تعمـــلان بانتظام ، وإلى الآن لا يوجد سبب معروف لفشـــل وظائـــف الكليتين الفجائي ، فجأة تقف الكليتان عن العمـــل ، فتصـــبح الحياة جحيما ، لا يُطاق ، فيُعرض على الطـــب كـــل أســـبوع مرتين ، وكل مرة سبع ساعات ، مرة بهـــذه اليد ومرة بالأخرى ، ومرة بالقدم ، تسبب لك مواقف عصـــبية صعبة ونرفزة وضيق نفس ، أين آمالك ، هل تملك كليتيك ؟؟!!! لا والله ، وهل تملك دسام القلب ؟ لا والله .

قـــال لـــي أخ كـــنت أصعد إلى رابع طابق فصرت على الـــثالث أتعـــب ثم على الثاني أتعب ، ثم على الأول أتعب ثم

علــى درجتــين أتعب ، عمل عملية بتكلفة مليون ليرة وما نجحــت !!! أنــت تملك شرايين قلبك ؟ لست بمالكها ، وهل تملك البنكرياس الذي يعطيك الأنسولين بشكل منتظم ؟ إنك لا تملكه ، إذن أنت مقصِّر.

لي قريب في ريعان شبابه ، أصيب بفقر الدم ، وهو من أسرة غنية ، وغذاؤه جيد والكريات ثلاثة ملايين بالميليمتر المكعب ، درس الطب أيضا فحار الأطباء في أمره ، إلى أن اكتشف أحدهم أنه يوجد خلل في الطحال ، فأخذوا عينة إلى مخبــر ، فــوجدوا الطحــال ليس مقصِّرا .. بل يقوم بنشاط زائــد ، و الطحال مهمته إذا وجد كريَّة دم ميتة يحللها إلى هيموجلوبــين وإلى حديد ، فيُرسل الحديد بطرود بريدية إلى نِقى العظام ليعاد تصنيعه مرة ثانية ، ويرسل الهيموجلوبين إلى الكبد ليكوِّن الصفراء فصفراء الكبد ، وحديد نِقى العظام أساسه تحلُّل كريات الدم الحمراء الميتة ،.. هذا الطحال يقوم بنشاط زائد عن نشاطه الحقيقي ، وانتهى الأمر بالوفاة بعد فترة .

فأنــت حــياتك مرهونة بأن لا يزيد نشاط الطحال و ألا يــنقص الأنسولين ينقص و ألاَّ يُخطيء الدسام وألا يضيق الشريان، و ألا تقف الكلية ...إلى آخر الأعضاء؟

واعلــم أن نقطــة دم تــتجلط (أي تتجمد) في الدماغ تسبب الشلل ، وأنت لا تملك شيئا :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ
وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٢٦﴾

(سورة آل عمران)

وأمـــا عن وجودك ، وسعادتك فأحيانا يعطيك الله الدنيا مـــع الإنقباض ، فكل المال ليس لـه قيمـة ، ولو أعطاك المال وســـلب مـــنك الطمأنينة فحياتك في قلق ، ولو أعطاك المال وسلب منك الصحة ، أو الاستقرار والشعور بالأمن ، فحياتك لا قيمة لها ، قال تعالى :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم
مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

(سورة الأنعام)

أيها الأخ الكريم : أهم ما في حياتك أن تعرف الحقيقة ، و الحق ؛ هو كل قول وافق الواقع بدليل ، أما بلا دليل ، فهو يقلّد غيره !! فإذا قال أحدهم أشهد أن لا إله إلا الله ، فحقيقة الكلام حق ، و ما الدليل ؟ إنه لا يعرف ، فهذا كلام بلا دليل ، فالحق أن يأتي كلامك مطابقا للواقع مع الدليل .

الآن لو أن اعتقادك بالحق اعتقادا غير قطعي ، فلا قيمة له ، قال تعالى :

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

(سورة البقرة)

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾

(سورة الحجرات)

فلو كان في اعتقادك ارتياب ، أو تردد ، أو عدم قطع ، أو كان اعتقادك بالشيء ثلاثين بالمئة فما دون فهذا اسمه وهم ، وإن كان اعتقادك خمسين أو حول خمسين بالمئة فهذا اسمه شك ، وإذا كان اعتقادك سبعين بالمئة فما فوق ، أو كان اعتقادك تسعين بالمئة أطلقوا عليه غلبة ظن، أما

إذا كان مائة بالمائة ، فهذا هو الحق و إيمانك بالجنة والنار والحساب قطعي ، وأن المُرابي سوف يمحق الله ماله وأن الزاني سوف يفتقر ، وأن الذي لا يغُض بصره عن محارم الله لا بد من أن يشقى في بيته ، وأن الذي له مال حرام سوف يُتلفه الله ، وأن هناك وقفة بين يدي الله عز وجل ، فإذا اعتقدت بهذه الأمور اعتقادا قطعيا جازما مائة في المائة ، فأنت على حق ، فالحق لا يتناسب معه الظن ، ولا غلبة الظن ولا الشك ولا الوهم ، قال المعرّي :

زعم المنجِّم والطبيب كلاهما لا تُحشر الأجساد.. قلت : إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولي فالخسار عليكما

إن ما يقوله المعرِّي باطل لأن هذه عقيدة باطلة ، فهو يقول : " إذا وُجدت آخرة نكون قد استفدنا ، وإن لم توجد نكون ما خسرنا شيئا " ، فهذا ليس دينا ، لأنه شك .

الحق لا يحتمل وهما ولا شكا ولا ظنا ولا غلبة ظن ، ولا يناسبه إلا القطع

كل قول مقطوع به ، موافق للواقع ، وأي قول خالف الواقع فهو باطل فيمكن أن تنفي عن الدين آلاف الأفكار ، وآلاف المعتقدات الزائفة ، وآلاف القصص الباطلة ، وكل شيء خالف الواقع .

عزل سيدنا عمر سيدنا خالد بن الوليد ، الذي خاض مائة معركة أو زهاءها وفي كل هذه المعارك كان منتصرا ،

فلما عزله ، اقرأ كتب التاريخ يقول لك ، كان بينهما حزازات فـي الجاهلية ، فلما صار خليفة شفى غليله ! هل هكذا كان أصحاب رسول الله ؟! لو كانوا كذلك والله الذي لا إله إلا هو مـا خـرجوا مـن مكة ، ولم يفتحوا العالم .. وأنت تسمع تفاسـير كثيـرة جدا عن ذلك ولقد عثرت على تفسير حق ، جاء سيدنا خالد إلى سيدنا عمر ، فقال له ، يا أمير المؤمنين لِمَ عزلتني ، فقال : والله إني أحبك يا أبا سليمان ، فقال : لم عزلتنـي ، قال : والله ما عزلتك يا ابن الوليد إلا مخافة أن يَفتَتِن الناس بك ، لكثرة ما أبْليت في سبيل الله .!!!

كـاد الناس يظنون أنك أنت الذي تنصرهم ، خِفت على العقـيدة ، فـأردت أن أريهم أنني لو عزلتك يبقى النصر ما دمـتم مؤمنـين !!! هذا التفسير يليق بسيدنا عمر ، ويليق بسيدنا خالد ، وهذا تفسير حق "

وأحـيانا تقرأ تفاسير وتقرأ قصصا غير صحيحة وغير معقولة ، تهتز بها الصورة المتألقة للصحابة الكرام .

إذن : الحق لا يقبل الشك ولا الوهم ولا الظن ولا غلبة الظن ، ولا يقبل إلا القطع أي اليقين .

والآن يقولون : " الكلام واقعي إلى حد ما " ! فهذا ليس حقا ، و واقعي ثمانين بالمائة فليس حقا ، و واقعي خمسين بالمائـة فلـيس حقا ، و واقعي نوعا ما ، فليس حقا الحق واقعي مائة بالمائة ، دائماً و أبدا .

و مـــا كان مقطوعا به ، وموافقا للواقع ، فعليه دليل ، ولـــو ألغـــي الدليل صار تقليدا ، ولو اعتقدت في الله تقليدا لغيرك ، فهل عقيدتك مقبولـة ؟

و إذا قبلنا التقليد بالعقيدة ، كأن يقول لك إنسان : " إن الله عـــز وجـــل لـــيس رحـــيما لأنـــه يبتلينا بهذه الكوارث والمصـــائب والأمراض !!! فإذا قلت له : " صح أنا سأقلدك الآن " وتأتـــي يوم القيامة ، فيقول لك الله عز وجل : " لِمَ اعتقدت أنني غير رحيم ؟ " تقول : يا رب أنا قلّدت فلانا هو قـــال كـــذلك فصدّقته فيقول لك : أين عقلك ؟! كان يجب أن تستعمله لتهتدي إليّ .

لذلك لا يمكن أن تقبل من الإنسان العقيدة بالتقليد ، لأنه بالتقلـــيد لا تقـــوم عقـــيدة والذي يجعلك ترفض التقليد هو الدلـــيل ، فـــلا تقبل بلا دليل ولا ترفض بلا دليل ، بل عوِّد نفسك المنهج العلمي ، فإن قيل لك قصة ، فقل من أين أتيت بها ؟ وإذا كنت ناقلا فليكُن لانقل صحيحاً ، وإذا كنت مدعيا فقدِّم دليل ، ولا يُبنى شيء على أغلب الظن . :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾

(سورة الحجرات)

الحق يحتاج إلى دليل ، وإلى مطابقة للواقع وإلى قطع ، فـــإذا اســـتطعت أن تعمل مراجعة لكل أفكارك وكل معتقداتك وكـــل تصوراتك حتى تجعل منها كلها مطابقة للواقع قطعية الثـبوت وعلـيها دلـيل فأنت من الفائزين ، وإن هذا العلم ديـــن فانظـــروا عمَّن تأخذون دينكم ، كما قال عليه الصلاة و السـلام : " و عـن ابـن عمر : " دينك دينك إنه لحمك و دمـــك " ، " خـــذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا " .

فـــالله هـــو الحـــق ، وكلامه هو الحق ، والجنة حق ، ومعنـــى حـــق موجـــودة ، و النار حق ، و الحساب حق ، و العـــذاب حـــق ، و الصراط حق و الحوض حق ، و غض البصـــر ؟ إنه حق ، فما معنى حق ؟ أي لو طبَّقته لقطفت ثمـــاره ، والأمانـــة حـــق ، فلو كنت أمينا لوثق الناس بك فالأمانـــة غِنَى ، وأي شيء تطبِّقه ، تقطف ثماره ، فالوقت ثمـــين وغـــال والحياة لا تحتمل إلا التطبيق ، وإن كنت من رواد المســـاجد ، فإن لم تطبِّق ، فلن تقطف شيئا ، وتكون كل حركاتك عشوائية ، والتطبيق هو الأساس .

و هـــذا الكـــلام مؤداه خطير ، أي مؤداه أن تتعامل مع الـــدين تعامُلا جديا ، أما أن تقول : باركنا يا سيِّدي باركنا ، وهـــو لا يطـــبِّق شيئا من دعوتك ، وهل تباركنا يا سيدي ، وتقـــول باركتمونا بهذا المجيء وأنتم في مكان به انحراف واخـــتلاط ؟!! ويقولـــون دعـــا العلمـــاء وصنع لهم غداء ،

وقـــال : " تباركنا بأنواركم " ، أفهذا الكلام حق أم باطل ؟ ، إذا كـــان باطـــل فـــلا تقـــبله بل رُدَّه ، و إذا كان حقا فاقبله وطبِّقه .

و حيـــنما تقول إن الجنة في الآخرة أبدية والحياة زائلة فهـــل عملك يتوافق مع اعتقادك ؟ ، قد يكون الاعتقاد حقا ولكـــن التطبـــيق باطل ، وهل تقبل من طبيب أن يقول لك ، إيـــاك والدخان فإنه سرطان في الرئة وضيق في الشرايين ، وجلطة وهو يدخِّن أمامك ، هذا كلامه باطل لو كان يوقن بما يقول ما فعل هذا .

إذن : كلمة حق كلمة كبيرة جداً فالله هو الحق ، ومعنى هو الحق ؛ أي لابد من أن يُظهر الحق ، وإن كنتَ على حق فلابـــد من أن ينصرك الله ولو بعد حين ، أما إن كنت على باطـــل فلا بد من أن يخذلك ولا بد من أن يفضحك ، فكن مع الحق أبداً و إلا فهناك خذلان وفضيحة ولكن المشكلة ، التي أتمنـــى من الله عز وجل أن تكون واضحة عندكم ، هي أن الله عز وجل يُرخي الحبل ، أي أنك تستطيع إلى أمد بعيد أن تفعل ما تشاء وأنت سالم ، حتى تكون مخيَّرا ، ولو بعث لك ضربة كلما غلطت فتستقيم ولكن ليس عن حب لله ، ولا عن طاعـــة له ، بل تستقيم خوفا منه ، وعندئذ أنت لست مخيرا بـــل مســـير ، و معنى مخير أي يمكنك أن تأكل مالا حراما و تســـتمتع به عشر سنوات و بعدئذ تأتي الضربة ، ويمكنك أن تقيم علاقة محرمة ولا تقع بك مصيبة .

أعرف رجلا أقام علاقة مع امرأة لا تحل له ، ويملك تجارة ، ومكاتب واستيرادا وله مركز قوي وسيارة وسياحات إلى أوربا وإلى تركيا ، فاعتقادك وأنت مؤمن أنه لا بد من أن يدمَّر بعد حين ، لكنه هو يظن أنه لم يقع في مكروه .

وإذا كان إنسان راكب سيارة وليس فيها مكبح (فرامل) وهي تمشي في طريق منحدر ، وهواء عليل ، يقول لك ماذا ، ليس معك مكبح و هناك منعطف في الآخر هناك حادث حتمي ، لو أيقن أنه ليس معه مكبح لصاح ، انتهينا ، قال تعالى :

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

(سورة التكاثر)

وأنت إذا رأيت دخانا وراء جدار فستحكم مائة بالمائة أنه لا دخان بلا نار ، و ذهبت إلى خلف الجدار ، فرأيت لسان اللهب ، الأول علم اليقين ، و عندما وقعت عينك على ذات النار فهذا عين اليقين ، فإن قربت يدك منها فلسعتك بحرارتها فهذا حق اليقين ، الحق مائة في المائة ، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

إذن لا بـــد مـــن أن نتعرف إلى الحق ، و لا بد من أن نعـــتقد حقا وأن نقول حقا وأن نسلك المنـهج الصحيح لنكون على حق ، وحتى نستحق أن يرفعنا الله عز وجل ، في الدنيا والآخـــرة وحينما يُحِقُّ اللهُ الحق يسمح لعباده الطائعين أن يســـودوا ، ولـــيس سوى الله عز وجل ، و تأمّل معي الآية الكريمـة :

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

(سورة القصص)

إذن خُلاصة الدرس هي :

يا رب ماذا فقد من وجدك؟!! وماذا وجد من فقدك؟!!

* * * *

وإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

* * *

و هـــناك في الكون حقيقة واحدة وهي الله ، كل شيء يقـــرِّبك منها فهو حق ، وكل شيء يبعدك عنها فهو باطل ، فعلـــيك أن تعـــرف الله ، وأن تعرف منهجه ، وأن تطبِّقه ، وهـــذا هـــو الحق ، وما سِوَى ذلك كله باطل ، وأنتم ترون بأعيـــنكم ، أنه قد يصمُد الباطل سبعين عاما وبعدئذ يتهاوى

كبـيت العنكـبوت ، لأنـه باطل فالفكرة باطلة والمبدأ باطل والتطبيق باطل . وإذا رأيت بأمّ عينك جدارا بُني بلا شاقول ، فـيقول المهـندس لابد من أن يقع ، مهما طال بقاؤه.. لأنه باطل :

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

فمـن صـفات الـباطل الثابـتة أنه زهوق ، فإن كان اعـتقادي بـاطلا فهو زهوق ، وإن كان سلوكي باطلا فهو زهوق .

و الحمد لله رب العالمين

*****

العدل

العدل

أيهـــا الإخـــوة الأكارم : الاسم اليوم هو : " العدل " فقد اتفقـــت الأمـــة علـــى إطلاق هذا الاسم على الله تعالى وهو مصـــدر عدَل يعدِل عَدلا فهو عادل ، فمن أسمائه جل جلاله الحكَم العَدل ، هذا المصدر أقيم مقام الاسم ، كأن تقول الرَّب بدل الراب ، والبَّر بدل البار ، والرِّضا بدل الراضي ، والعَدل بدل العادل ، فمن أسماء الله الحسنى: العدل .

الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى عَدْل في خلقه ، وعدل في تشريعه وعدل في أمره التكويني ، وفي أفعاله

هـــو عـــدل في خلقه ، فمكان اليد مناسب جدا ، و في موقـــع متوســـط ، و الشـــيء المعتدل الذي هو بين الإفراط والتفـــريط ، فمفتاح الكهرباء إذا وضع في مكان يتناسب مع أهل البيت ، فالأب يضع يده هكذا ، و الأم والابن وجميع من فـــي البـــيت يستعملونه براحة فهذا المكان معتدل ولو كان مرتفعا لاحتاج الأمر إلى سلَّم ، ولو كان منخفضا مع الأرض لاحتاج الأمر إلى أن ينبطح الإنسان ليتألق المصباح ، أما أن يكون هذا المفتاح في مكان معتدل بين الارتفاع والانخفاض فهـــذا المكـــان اســـمه مكـــان معتدل ، والاعتدال من العدل والاعـــتدال هو التوسط ، ودائما التوسط هو الموقف الأكمل بين الإفراط والتفريط .

و لو أن الإنسان رأى في كأس الماء كل الكائنات الحية التـــي بــــه ، لما شرب الماء ، فلو أن العين بلغت من الدقة بحيث ترى كل شيء لاستحالت حياتنا شقاءً ، ولو أن العين بلغـــت من ضعف الرؤية أن لا ترى الشيء الخطر ، إذن في الحالة الأولى إفراط وفي الثانية تفريط ، فحاسة الرؤية في حد معتدل ، فالله سبحانه وتعالى عدل في خلقه .

و أمــــا عن حاسة السمع ، فهناك أصوات لا تسمعها ، ولـــو سمعتها لما نمت الليل ، فالموجات الصوتية تتخامد ، وليســـت كالأمـــواج الكهرومغناطيسية التي لا تتخامد ، وقد ذهـــبوا إلى كوكب المشتري وبقيت مركبة الفضاء تطير في الفضـــاء بسرعة أربعين ألف ميل في الساعة ، ست سنوات إلى أن وصلت ، وأرسلت منه رسائل بالراديو ، كما يقولون إن الأمـــواج الكهرومغناطيسية لا تتخامد بل تبقى سعتها كما هي ، لذلك فهذه الأمواج هي سبب البث الإذاعي ، والفاكس والـــتلكس ، فالأمـــواج الصوتية العادية تتخامد ، ولو كانت كالأمـــواج الكهرومغناطيسية ، لسمِعتَ في دمشق وفي هذا المســـجد كـــل صوت في الأرض ، كصوت أمواج البحار ، ومعامـــل الفولاذ ، و انفجارات البراكين ، و لأصبحت الحياة مســـتحيلة ، إذن حاسة السمع و تخامد الأصوات هذا خلق معـــتدل ، بين الضجر الذي لا يُحتمل وبين الضعف الذي لا يقابَل إذن :

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(سورة القمر)

بصرك بقدر ، وسمعك بقدر ، ورؤيتك بقدر ، والإنسان أحيانا تُجرح يده ، وأحياناً لو أمسك باب الثلاجة يحس بلسع الكهرباء الساكنة و لو تناول طعاما فيه حمض يتألم ، فيقال لك عرق ملح ، ولو أن الأعصاب الحسية نمَت أكثر مما هي عليه لأصبحت الحياة مستحيلة ، وكذلك أعصاب الضغط وأعصاب الحس والسمع والرؤية والحركة .

فمفصل المرفق في مكان معتدل بحيث يمكن أن تأكل ، ولو لم يكن هذا المفصل فلا بد من أن تنبطح كالقطة ، إذ تضع الصحن على الأرض وتنبطح وتأكله بلسانك !!! ولا يوجد طريقة ثانية فمكان المفصل معتدل .

كذلك وضع اليد على الكتف ، فلو كانت على الورك إلى الأسفل مع القدم أو لو أن العين في قمة الرأس أو في الظهر أو في الكف ، فما معنى الله خلقك؟

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

أي بحواسك وأعضائك وأجهزتك والغدد الصماء وجهاز الهضم والقلب والرئتين ... إلخ.

والاعتدال بخيوط النسيج فلو أن الثوب يهترئ من لبسة واحدة ، فليس معقولا أن تتصور إنسانا اشترى قطعة جوخ وفصَّلها وأخذ قياسات ، ثم تعال غدا وبعد غد ، وبعد شهر انتهت ثم لبسة واحدة و إهترأت ! فترى الخيط له متانة معتدلة تلبسها سنة أو سنتين وتهنأ بها ، ثم تهترئ ، إذن فتماسُك الخيوط أيضاً معتدل .

وهذه الدجاجة تعطي كل يوم بيضة ، فلو أعطت كل شهر بيضة لكان البيض غالي الثمن ، و لو كان ثمن العلف للبقر يفوق ثمن حليبها فلن يربِّي أحد بقرا ، إذن كمية الحليب التي تنتجها البقرة معتدل بالقياس إلى ثمن العلف !!.

ويمكن أن تسير بهذا الطريق إلى مائة عام ، فتشعر بالآية الكريمة : " إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقناهُ بِقدَر " لا إفراط ولا تفريط ولا تهور ولا تقصير ، ولا مبالغة ولا إيجاز ، بل كل شيء خلقه الله باعتدال ، فهو عدل في خلقه .

كما أن بُعد الأرض عن الشمس ، باعتدال فلو أن الشمس أقرب لأصبحت الأرض فرنا ، ولو أنها أبعد لأصبحت الأرض قبراً جليديا ، إذن" الشمسُ و القمرُ بِحُسبان " المسافات بمنتهى الدراسة الدقيقة .

والطفل يبقى في بطن أمه تسعة أشهر ، ولو بقي خمس سنوات فهو أمر لا يحتمل ، ولو كان الحمل أسبوعا واحد لأصبح عندك مائتنا ولد وهذا شيء لا يحتمل أيضا ،و الحمل تسعة أشهر فلو كان المبيض عند المرأة ينتج البيوض إلى ما لا نهاية كالرجل فإنك تراها في الخامسة والثمانين حاملا ويجيئها المخاض وتريد أولاداً وهي بلا أسنان ، فالبيوض فيها عدد معتدل وحينما تنتهي في سن اليأس أي ، في الخامسة والأربعين إلى الخمسين لا يوجد حمل ، فهذه رحمة الله بالمرأة ، فهو عدل في خلقه .

هذه أمثلة مرتجلة غير معدة مسبقا ، من خلق السماوات والأرض و الشمس و القمر والليل والنهار ، ولو كان النهار خمسين ساعة وطاقتك ثماني ساعات ، تفتح المحل وتغلقه وتذهب إلى البيت وتنام في النهار وغيرك يعمل ، لا ينيمك الليل ، تعود وتعمل مرة ثانية فحياة لا تُحتمل ولو جعل النهار خمسين ساعة والليل خمسين ساعة تنام وتستيقظ وتعمل وتنام وتستيقظ وتعمل ، قال تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

(سورة القصص)

إذن : يجب أن تؤمن بأن طول الليل وطول النهار وبُعد الشمس و القمر عن الأرض ، وحجم القمر و الأرض ، محسوب باعتدال ... و لو أن حجم الأرض خمسة أمثال حجمها الحالي ، فوزنك يتضاعف خمسة أمثال و تصبح حركتك أشغالا شاقة لأن وزن الإنسان متعلق بحجم الأرض ، و الدليل أن وزن الإنسان على سطح القمر سدس وزنه الحالي، يقل من ستين كيلو إلى عشرة !!!.

إذن : حجم الأرض وكثافتها وقوة جذبها وبعدها عن الشمس وعن القمر ودورانها السريع في النهار ساعة ، والبَطيء خمسون ساعة فسرعة دورانها باعتدال .

وأما المحاصيل ، فلو أن القمح ينضج تباعا كالبطيخ ، لاحتجنا إلى أن نمسك سنبلة سنبلة هل نضجت فنقطعها أم لا ؟ فنتركها فهذه ، تحتاج ثلاثة أشهر ثم تستحصد فينضج القمح في يوم واحد ، أما الفواكه فتنضج تباعا .

إذن :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

(سورة الإنفطار)

فالله سبحانه وتعالى عدل في خلقه ، أي خلقه في درجة مناسبة حكيمة معتدلة دقيقة مدروسة كما يقولون ،

تصـــور لو كان قشر الطماطم للبطيخ ، فيمكن أن تأكل بطـيخة فـــي حـــياتك لا تنتقل معك ، وتصور قشر البطيخ للطماطم ، فتصير كلها قشرا .. القشر معتدل والحجم والقوام و الطعم معتدل والحلاوة معتدلة فتصميم ربنا عجيب .

وقـــد يصـــنع الإنسان حلويات بمقادير غير دقيقة ، أما ربـــنا عـــز وجل فتأكل التفاح و الإجاص والكمثرى والعنب والتين والبلح ، وكله باعتدال

إذن : أول معنـــى مـــن معاني العدل : عدل في خلقه ، يعني خلقه بحكمة بالغة ، وآية أخرى تعبر عن هذا المعنى نفسه :

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ

(سورة الأنعام من الآية ٧٣)

يعنـــي بالحق :بالدرجة الحكيمة ، المعتدلة التي لا تزيد ولا تنقص ، فتأمل خلقك ، وتأمل طعامك :

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾

(سورة عبس)

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ
ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

(سورة الطارق)

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ
﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

(سورة الغاشية)

هذا في خلقه .

والآن فـــي أمره : أمرك أن تصوم ثلاثين يوما في العام فلو أمرك أن تصوم ستة أشهر ، فشيء فوق طاقة البشر !! والدلـــيل فـــي رمضان آخر خمسة أيام يشعر الإنسان أن كل يـــوم شـــهر ، فثلاثون يوماً هذا هو الحد المعتدل أمرك أن

تصـلي خمــس مــرات-فلو كان خمسين صلاة وكل صلاة خمسون ركعة لما أطقنا ذلك فالأمر معتدل :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ

(سورة البقرة من الآية ٢٨٦)

الصــيام معتدل ، قال لك حج في العمر مرة ، أنفق ربع العشــر ، بينما نرى بعض الضرائب ثمانون بالمئة إلى ثلاث وتســعين فكم يشعر الإنسان أنه مغبون ؟!!! ، بينما الزكاة رُبــع العشر ، النسبة المعتدلة بالألف خمس وعشرون ليرة وبالمائة ليرتان ونصف ،وفي مائة ألف ألفان وخمس مائة ، وفــي ملــيون خمســة وعشرون ألفا فالرقم مقبول ، ومعه راحــة ، فالزكاة ، والصيام ، والحج ، وحتى الأوامر قال لك غُض من بصرك ، فلو كان الإنسان يمشي في الطريق ولقي مــنعطفا حادا وفجأة مرت أمامه امرأة فما كف بصره ،هذه معفــو عــنها لأنك غير منتبه ، فالنظرة الأولى لك و الثانية عليك ... فلم يقل لا تنظر بل قال :

قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ

(سورة النور من الآية ٣٠)

ولولا حرف "مِن" لهلكنا جميعاً ، فالأمر معتدل .

أمــر غــض البصر معتدل ، وأمر الزكاة معتدل ، وأمر الصوم معتدل فأنت مسافر قال لك لا تصم :

أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ

(سورة البقرة من الآية ١٨٤)

وأنــت مســافر قــال لك صلِّ ركعتين فقط ، أقصِر في الصلاة والقصر عند السادة الأحناف واجب .

وعلى موعد مع السيارة ومع الطائرة ومع المطار فِكرُك مضــطرب فقال لك صلِّ الظهر ركعتين ، واجمع جمع تقديم وجمــع تأخير فالشرع معتدل ، والله عدل في خلقه ، وعدل في أمره .

قبل أن نتابع الموضوع ، فما حظ العبد من هذا الاسم ؟ نحــن دائما بأسماء الله الحسنى لنا هدفان كبيران ، الهدف الأول أن نتعــرف إلــى الله ، وهل في الحياة كلها موضوع أجدر أن نعرفه من الله عز وجل؟ أي هذه الذات الكاملة التي ستبقى في جوارها إلى أبد الآبدين ؟

و إذا أراد إنســان الــزواج ، فإنه يخطب عشر سنوات ويقــول هــذا زواج أي يبقــى إلــى الأبــد معها ، أربعين أو خمســين سنة ، اسأل الأزواج كلهم عشت معها خمسين أو خمسا وخمسين ، أو ستين سنة فلا يوجد زواج إلى الأبد ومع ذلك يخطب عشر سنوات ، وقال أحدهم لما بدأت والدته

تخطـب لــه خــرجت من البيت وبقيت تخطب خمسة عشر عاما ، ثم استقر الرأي على فتاة كانت قد وُلدت يوم خرجت والدته أول مرة لتخطب له.. يقول لك إنه زواج ، ويريد أن يعـيش معهـا عمرا ، فأنت سوف تعيش مع الله إلى الأبد ، وهل هناك ذات تستحق أن تعرفها غير الله عز وجل ، وهل هــناك موضــوع أخطــر من أن تعرف الله تعالت قدرته ، فلــذلك ولله الأســماء الحســنى فادعــوه بها ، فإذا قلت يا لطيف ، يا رحيم يا غني يا قدير ألا ينبغي أن تعرف ما معنى قدير ؟!!.

وهناك أشخاص كثيرون يصابون بمرض فيقول الطبيب لأحدهم ليس لك أمل في الشفاء فتراه ينهار ! لأنه لا يعرف أن الله قــادر على شفائه مهما يكن المرضَ عُضالا ، ومهما يكــن كــلام الأطــباء قطعا ، وهناك بنت لا أمل في شفائها فالنتــيجة مــوت ، وربنا عز وجل يخلق الشفاء كما خلق المــرض، ويخلــق من الضعف قوة ، و من الضيق فرجا ، ومــن اليأس مخرجا ، وعندما يقول الإنسان يا قدير وييئس فهــو لا يعــرف القدير ، والذي نريد أن نقوله ، هو أنك إذا عرفت القدير زال عنك اليأس ، وأنا أؤكد: إذا أيقنت أن الله ســبحانه وتعالى قادر على أن يشفيك من أخطر مرض وبلا ســبب فهذا هو الإيمان الذي لا يأس معه ، يا ربّ لا كَرْب وأنت الرب، وهل يتألم الإنسان والله موجود ، ويخاف والله

موجـود ؟؟ إنـه يطمئـنه ، و ينصره و يقويه و يشفيه فاسمعوا كلام سيدنا إبراهيم في قوله تعالى :

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾
وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى
لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

(سورة الشعراء)

يخلـق ، و يهـدي ، و يـرزق ، و يشفي ، و يحيي ، و يمـيت ، و يغفر ذلكم الله رب العالمين ، و أقول لكم : لا يمكن لمؤمن بالله ، أن يحزن أبداً فالله دائماً معه قال تعالى :

وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم
بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ
سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

(سورة المائدة)

و هناك شخص لديه بعض القوة أو المركز في المج
يقول لآخر : " أنا معك فلا تخف وهذا رقم هاتفي " ، والا
يـريد أن يقاتـل الـنـاس ظلمـاً ؛ فيطمـئن بوجـود
الشـخص .... فمـا بالك بالمؤمن إذا طمأنه الله عز و
وقـال لـه : " ولقد أخذ اللهُ ميثاق بني إسرائيل وبعثنا م
اثني عشر نقيبا وقال اللهُ إنِّي معكم لئن أقمتُم الصلاةَ وآ
الـزكاةَ و آمنـتُم برُسُلي و عزَّرتموهم و أقرضتُمُ اللهَ قر
حسـناً لأكَفِّـرَنَّ عـنكُم سـيِّئاتِكم ولأدخِلـنَّكُم جنَّاتٍ تجر
مـن تحـتها الأنهارُ فمَن كفر بعدَ ذلك مِنكُم فقد ضلَّ سو
السبيل " .

فـنحن نقول لماذا تتعلم أسماء اللهِ ؟ من أجل أن تس
بها، فتعرف أن الله رحيم فالقضاء ولو بدا فيه قسوة ول
يـنطوي على رحمة لتعلم ، و لتعلم أن الله قدير وأنه غ
إذن حينما تعلم أن الله سبحانه وتعالى قادر على شفائك ،
مرضك فأنت مؤمِن إذن لا تيئس .

ولماذا كانت نسب الانتحار في أعلى مستوياتها في ب
الغـرب ؟! لأنهـم لا يعـرفون الله بينما في بلاد مظاهر
الحضارية متواضعة ، و الحياة فيها خشنة و الأمور صعبة
و مع ذلك فالانتحار فيها نادر جدا !! و السبب الإيمان با
عز و جل .

كـان لـنـا أستاذ في الجامعة في علم النفس ، فحض
مؤتمرا لأمراض النفس في أوروبا ، و قال لنا : لقد قلت ف

المؤتمـر إن نسـب الأمراض النفسية في بلادنا قليلةِ جدا ، والسـبب أننا نؤمن بالله ونرضى بقضائه وقدره ، والحقيقة المـؤمن يقول : هكذا يريد الله ، هذه مشيئة الله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، واستمع معي لهذا الحديث:

ورد فـي الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قـال: (أرسلت إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبـي عليه الصلاة والسلام تدعوه وتخبره أن لها صبياً في المـوت ، فقـال: ارجـع إليها فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ ولـه مـا أعطـى وكـل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب) .

الـذي أخـذه ، فهو له ، و الذي أعطاك فقد تفضل به علـيك ، فإذا أيقنتَ أن لله ما أعطى و لهُ ما أخذ فلا مشكلة إذن .

موت طفل صغير في أسرة يسبب آلاما لا تُحتمل ، بينما صـحابي جلـيل لـه ابن مريض بمرض عضال ، فجاء من السـفر وهو قلق عليه قال يا فلانة كيف الصغير ؟ قالت له فـي أهدأ حال ، إطمئن ، ففهم منها أنه قد شُفي فأعدت له الطعـام ، وفي بعض الروايات: تزينت له،وجامعها... وفي الصباح قالت له لو أن الجيران أعارونا عارية ثم استردوها أتغضـب ؟ قال لا قالت وكذلك فعل الله بابننا ، حين قالت له فـي أهدأ حال كانت تعني أنه ميت ، يقولون إنه ذهب إلى النبـي عليه الصلاة والسلام وقص عليه القصة ، فقال عليه

الصلاة والسلام : " بارك الله لكما في ليلتكما " وتروي الأخبار أنه أنجب غلاما أنجب عشرة حفظة للقرآن !!!

وهذا هو الفرق بين حادث وفاة الابن في أسرة مسلمة ، وبين حادث وفاة الابن بأسرة غير مؤمنة ، فالحالة الأخيرة تنتهي غالباً بجنون الأم .

إذن : نحن نعرف أسماء الله من أجل أن نسعد بها ، وأنت مع الله إلى أبد الآبدين فإذا عرفته في الدنيا فهذا عين العقل ، وذلك أن تعرفه قبل فوات الأوان ، وأن تعرفه وأنت في حياتك الدنيا معافى .

والشيء الثاني : ما حظك من هذا الاسم ؟ أنت كمؤمن ماذا تستفيد من هذه الأسماء ؟ والنبي الكريم يقول : " تخلّقوا بأخلاق الله " .

فأما حظ العبد من هذا الاسم فهو أن يحترز عن طرفي الإفراط والتفريط ، يعني لا إفراط ولا تفريط ، ففي أفعال الشهوة يحترز عن الفجور الذي هو الإفراط وعن الجمود الذي هو التفريط .

و قد نجد إنسانا كما يقال زير نساء ، إنه غارق في الشهوة إلى قمة رأسه ، عدواني ، ينتهك أعراض الناس ، هذا فجور ، وقد تجد إنسانا كما قالت المرأة : " يا أمير المؤمنين إن زوجي صوّام قوّام ، لم ينتبه سيدنا عمر رضي الله عنه فقال : " بارك الله في زوجك " ، فقال له

أحـــدهم : " إنهـــا تشـــكوه يا سيدي ولا تمدحه " ، فجاء به ونصحه ، و قال له : " إن لأهلك عليك حقا "

و تروي الكتب عن قصة أخرى أيضاً أن السيدة عائشة دخلـــت عليها امرأة بحالة زرية مُهملة نفسها ، فسألتها عن حالهـــا ، فقالت إن زوجي صوام قوام لا وقت له من أجلي ، فـــي النهار صائم وفي الليل قائم ، فالنبي أرسل إليه وقال يا فـــلان : أليس لك بي أسوة ؟ ونصحه أن يعطي كل ذي حق حقـــه ، وفـــي الـــيوم التالي جاءت هذه المرأة إلى السيدة عائشـــة ، كمـــا تروي الأخبار عطِرة نضِرة ، فسألتها عن حالها فقالت:" أصابنا ما أصاب الناس ".

فـــإذن: نحـــن حيـــنما نعرف اسم العدل ، كيف نتخلق بـــأخلاق الله فـــي هذا الاسم ؟ قال : أن نحترز عن الإفراط و هـــو الفجور ، و التفريط و هو الجمود و نبقى في الوسط و هي العفة ، قال تعالى :

وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾

سورة المؤمنون

هذا الموقف العدل في علاقتك بالزوجة .

و مــع الأولاد ، إياك أن تعطيهم عطاء يُفسدهم ؛ أو أن تحــرمهم حرمانا يحقدون به عليك ، فأعطه المبلغ الكافي ، وأعطــه حاجته ، ولو أعطيته فوق حاجته فإنك قد أفرطت ، ولو أعطيته أقل من حاجته فإنك قد فرّطت .

قال صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة و قد قالت له : إن أبــا ســفيان رجــل شحيح وإنه لا يعطيني من النفقة ما يكفينــي و يكفــي بَنيَّ إلا ما أخذتُ من مال بغير علمه فهل علــيَّ فــي ذلــك جُــناح ؟ فقال : خُذي ما يكفيك و ولدك بالمعروف .

و الكســوة : اللــباس . وقــوله : " بالمعــروف " أي بالمتعارف في عرف الشرع من غير تفريط ولا إفراط .

وفي أفعال الغضب يجب أن يحترز الإنسان عن التهور الــذي هو الإفراط ، والجبن الذي هو التفريَط ، ويبقى على الحــد الوسط وهو الشجاعة ، وفي العقل يحترز عن الدهاء والخبث والمكر والخداع أو عن البلاهة والغباء ، ويبقى في حد كما قال : " لست بالخب ولا الخب يخدعني " .

وأدق موقــف لســت مــن الغباء بحيث أخدع و لا من الخــبث بحــيث أخدع . حينما قال الله عز و جل : " و كذلكَ جَعلناكُم أمَّة وَسَطا " أي في وضع معتدلٍ بين الإفراط و بين التفريط .

و في تربية الأولاد من السهل أن تكون عنيفا ، والعنف لا يحتاج إلى بطولة لقد ضربته كفين فحطّمته ، و لكنه حقد عليك !!!

عن أبي هريرة : " علّموا، ولا تعنّفوا ، فإن المعلّم خير من المعنّف ".

وأيضا لا تُرخي له الحبل حتى يتجاوز حده !! فالاعتدال أن يبقى ابنك راغبا فيك خائفا منك " رغَبا ورَهَبا " وهذا حد دقيق جدا فدائما الحالات المتطرفة سهلة ، فسهل تكون لينا فتعصر ، وأن تكون قاسيا فتُكسر والخير وأن تكون بينك وبين الناس شعرة إن شدوها أرخيتها وإن أرخوها شددتها فهذه هي البطولة ، البطولة أن يكون الذي حولك في حيرة من أمرك ، هم يرجونك ويخافونك في وقت واحد . قال تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

(سورة البقرة من الآية ١٤٣)

والآن العدل في أفعاله ، لقد تحدثنا عن العدل في خلقه وعن العدل في أمره و بقي العدل في فعله ، فيجب أن تعلم علم اليقين أن في الكون عدالة مُطلقة ، لكن قد تُفاجأ بسؤال ، يا أخي فلان مستقيم بعمله التجاري فمحله التجاري

كله منضبط ، وأسعاره مسجلة ، و معتدلة ، ومعه مستندات كاملــة فجاءه موظف وافتعل مخالفة وكتبه ضبطا وزجه في السجن أليس هذا ظلما صريحا ؟

الجواب : هذه الحادثة وحدها هي ظلم ظاهري ، أما لو ربطت حياة هذا الإنسان في بيته ، مع أهله و جيرانه ، ومن هــم دونــه و مــن هــم فوقه وجمعت الحسابات كلها على بعضــها ، لــرأيت فــي هــذا البلاء منتهى العدل وبالتعبير الــتجاري يوجد حساب لا ظلم فيه ، أما حساب السندات هذه وحدها ففيها ظلم ، و ضُمَّه على ما فعله البارحة في البيت قبل أن ينام .

قصة حدثت من عشر سنوات ، اثنان تشاجرا في سوق أحــدهما معه سلاح فأطلق رصاصة ، فما أصابت خصمه ، وهــناك مــن ســمع شــجارا فمد رأسه من دكانه فجاءت الرصاصة في عموده الفقري فشُلَّ تماما

فاستوقفني رجل وقال : يا أستاذ أنت تحدِّثنا عن عدالة الله ، فمــا صنع هذا ؟! إنه رجل صالح فتح دكانه ليسترزق ويســعى على عياله وهو يبيع أقمشة ، ولا ذنب له ، سمع شجارا ، فمد رأسه فجاءت هذه الرصاصة في عنقه فأصبح مشــلولا فــأين عدالــة الله ؟ قلت : والله أنا أعرف أن الله عــادل ، ولكــن هــذه القصــة أنت أطلعتني على فصل من فصــولها ولعــل لهذه القصة فصول لا نعرفها أنا و لا أنت و أنا أسلّم لعدالة الله .

و الله الذي لا إله إلا هو ،إنها من غرائب المصادفات ، والأصح أنها ليست مصادفات ،فقد حدَّثني صديق لي من الميدان حدَّثني بعد عشرين يوما عن قصة عابرة ، قال : لنا جار كان وصياً على أموال أولاد أخيه الأيتام وبقي لهم معه عشرون ألفا ـ ثمن بيت ـ فالقصة قديمة وكان البيت ثمنه عشرون ألف فرفض أن يعطيهم هذا المبلغ فشكوه إلى أحد علماء الميدان الشيخ حسين خطاب ، فاستدعاه واستدعى أولاد أخوته ، فأصر على عدم دفع المبلغ فقال الشيخ حسين بالحرف الواحد رحمه الله : يا بني هذا عمكم إياكم أن تشتكوا عليه ، هذه الشكوى لا تليق بكم ، ولكن اشكوه إلى الله " هذه القصة تمت الساعة الثامنة مساء ، في اليوم الثاني مد رأسه من الدكان فأصابته الرصاصة فشُلّ !!!! .

قصة أخرى رمزية ، يقولون إن شوحة قالت لسيدنا سليمان اسأل لنا ربك هل هو مَهول أم عَجول؟ فلما سأل اللهَ عز وجل ، قال له : " قل لها إنني مَهول لا عجول فلتأخذ راحتها " ، هذه الشوحة رأت أناسا يشوون اللحم فخطفت هذا اللحم إلى عشها ، ولكن قطعة جمر بقيت متعلقة بقطعة لحم فأحرقت العش كله !!! عادت إليه من توها ، فقالت يا سليمان الحكيم ، ألم تقل لي قبل قليل إن الله مهول ؟ هاهو ذا عجول !!! فلما سألَ الله عز و جل قال : " قل لها هذا حساب قديم !! ".

وقال لي رجل هل من المعقول أن يعاقبني الله على ذنب لم أفعله حتى الآن ، قلت هذا عن ذنب قديم ، فيجب أن تؤمن بعدالة الله المطلقة :

عن قتادة قال : عقوبة بذنبك يا ابن آدم . قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : " لا يُصيب رجلا خدش عود ، ولا عثرة قدم ، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر".

و مرة كنت راكبا مع أخ في سيارته ، فتجاوز حده مع سيارة فضربه فتوقعت أن الذي ضُربت سيارته - وصار بها أضرار بالصاج و بالأجهزة - سيكون عصبي المزاج و يغضب و يتعالى صوته .. فنزل ، و نظر إليه ثم قال له : " أنا مسامح " فاستغربتُ والله ، فلما رجع صديقي إلى سيارته رأيت على خده دمعة ، فقلت له ما القصة يا فلان ؟ قال لي والله أنا من سنة قد ضَرب لي شخص سيارتي و وجدتُ في سيارته نساء محجبات فكبُر عليَّ أن أزعجه ، فقلت له : " أنا مسامح ". فربنا بعد عام عاملني كما عاملتُ ذلك الشخص !!!.

يجب أن تبلغ درجة من اليقين أنه : " إعمل ما شئت فكما تَدين تُدان " .

" البرُّ لا يَبلى والذّنب لا يُنسى و الديَّان لا يموت" ، يجب أن تكون باراً بوالديك ، فالله عز و جل يُلهم أبناءك أن

يكونوا بررة بك وإن تخدِم تُخدَم ، قال صلى الله عليه وسلم لبلال الفقير: " أنفِق يلالا ولا تَخشَ مِن ذي العرش إقلالا" .

" أنفِق أنفق اللهُ عليك " ولا أعتقد إلا وكل واحد منكم معه مائة قصة ، بل مائتان وألف ، كما يُعامل الناس يُعاملونه بالمثل .

القصة المعروفة عندكم ، رجل عنده زوجة يحبها وتحبه يأكلان دجاجا ، طرق الباب فتحت فإذا سائل يسأل ، فهمَّت أن تعطيه من هذا الدجاج فسبَّها زوجُها ووبَّخها ونهرها وقال " اطرديه " ، نفَّذت أمره وطردته ، وتمضي سنة أو سنتان فتسوء العلاقة بينهما ويشتد الخصام ويطلقها ، فتقترن بزوج آخر وتعيش معه حياة سعيدة وبعد خمس أو ست سنوات ، وهي مع زوجها الثاني ، وتأكل دجاجا كما كانت تأكل مع الأول ، طرق شخص الباب ، فذهبت لتفتح فاضطربَت قال زوجها : " مالك ؟ " ، قالت : " سائل " قال وماذا في ذلك ؟ " ، قالت له "أتدري من هذا السائل إنه زوجي الأول ؟ " قال أتدرين من أنا؟ أنا السائل الأول " !!!.

طبعا هذه قصص ، وأنا متأكد أنه لا يقع شيء في الأرض إلا وفق عدالة مطلقة ، فدائما إذا سمعت قصة فيها ظلم ، فسأنصحك هذه النصيحة : قل : أنا سمعت فصلا أو عدة فصول فقط ، و بقي فصل لا أعرفه ، و لو عرفته لرأيت العدالة المطلقة ، فاعرف الفصل الأخير ، دائما ولا

تتسرع ، وتمهّل ولا تحكم و قل الله أعلم وكفى بربك بعباده خبيرا بصيرا ، الله يعلم ونحن لا نعلم .

و العوام لهم كلمات لا أحبها " إذا شفت الأعمى طبو مالك أرحم من ربو " لا أحبها ، لا تقولوها إطلاقا ، ولا تعتقد أنه كُف بصره بسبب الظُلم فارحمه وعاونه واخدمه وخفّف عنه وهذا واجب ، ولكن لا تعتقد أن حرمانه من البصر بسبب ظلم قدَّمه ، فالله عز وجل بيده الخير ، ولعل ذلك خيرٌ له .

فاعلم علم اليقين أن الله عز وجل عدل في خلقه ، وعدل في أمره وعدل في فعله ، أفعاله كلها عادلة ، ولذلك أقول مرة ثانية : " ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر " وشيء آخر :

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

(سورة الشورى)

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

(سورة الكهف)

وتقرأ عن زلزال أصاب البلدة الفلانية ، تحب أن تفهمها فهما ماديا أنه اضطراب القشرة الأرضية ؟ هذا الزلزال قوته

ثمانـــية بمقـــياس رختر فأغادير في شمال إفريقيا من أجمل مدن المغرب ، تقع على البحر الأطلسي لكن فيها من الفسق والفجور والنوادي العارية ، والملاهي الليلية ، ودور البغاء والفنادق التي هي غارقة في الإثم حتى قمّتها ما لا سبيل إلى وصـــفه... بثلاث ثوان أصبحت أغادير قاعاً صفصفًا لا ترى فـــيها عِـــوَجا ولا أمـــتا . أعـــتقد أن الزلزال بحكمة ، قال تعالى :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

(سورة النحل)

إذن : فـــالله سبحانه و تعالى عدل في خلقه ، وعدل في أمـــره وعـــدل في فعله ونحن المؤمنين ينبغي أن نقف بين الإفراط والتفريط وأن نكون معتدلين في كل أفعالنا

و الحمد لله رب العالمين

*****

القابض الباسط

القابض الباسط

أيها الإخوة الأكارم : مع الدرس الخامس عشر من دروس أسماء الله الحسنى ، والاسم اليوم القابض الباسط .

الحقيقة أن إخوة كثيرين جدا ممن تابوا إلى الله توبة نصوحا وممن اصطلحوا مع الله ، دائما يسألون هذا السؤال ، فيقولون أحيانا نشعر بالسعادة و الغبطة و السرور والانشراح بحيث نرى أنفسنا في الجنة و تأتي علينا ساعة أخرى فنشعر بالانقباض و الضيق بحيث نتمنى الموت فما تفسير هاتين الحالتين ؟ الحقيقة إن الإجابة على هذا السؤال المتكرر الذي يعانيه كل مؤمن موجودة في هذا الدرس .

فمن أسماء الله تعالى أنه القابض و الباسط و أول ملاحظة ، هي أنه لا يجوز أن تقول إن الله قابض فقط ، لأنك إذا قلت قابض فمعنى ذلك أنك تصفه بالمنع والبخل و لكن إذا قلت إنه قابض باسط ، فمعنى ذلك أنك وصفته بالقدرة والحكمة ، وإذا جمعت بين الاسمين فقد وصفت الله سبحانه وتعالى بالقدرة والحكمة ، لأن الله عز وجل يقول :

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(سورة البقرة)

وهكـــذا إذا أردت أن تعــرفــ السبب ،فهو:يقبض ليبسط و يضـــر ليــنفع و يمنع ليعطي ويُذِل ليعز ، فأنت سائر في طريق الصواب .

و الشـــيء الثانـــي ، هـــو أن معنى القبض باللغة هو الأخذ ؛ والبسط هو التوسيع والنشر ، وهذان الشيئان وهذان الأمران يعمان جميع الأشياء ، فكل أمر ضيَّقه الله عز وجل فقد قبضه ، وكل أمر وسَّعه فقد بسطه ، وإلى بعض أبواب القبض والبسط . اليمن : الرزق ، قال الله تعالى :

ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾

(سورة العنكبوت)

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

(سورة الروم)

فـــلا تقل فلان ذكي وثان عنده خبرات في التجارة رائعة جدا وثالث اجاد التخطيط ، ورابع مقتدر وآخر متيقظ ، فالله عـــز وجـــل يقبض ويبسط و يرزق ويسلب ويعطي ويمنع ، فإذا أراد أن يرزقك ألهمك الوسائل والأساليب و الموضوعات

والمواقف والتحركات المناسبة للربح ، وإذا أراد أن يقبض وكنت غنيا فقد سرت في طريق الإفلاس وأنت لا تدري ، وإذا أراد أن لا يرزقك لحكمة أرادها سد في وجهك كل الأبواب ، إذ تكون ذكيا جدا ففي هذا العمل تسلم المحل وفي هذا العمل تفك الشراكة ..

فإذا قال الله عز وجل : " والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون " أو قال الله عز وجل : " الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر " فاعلم علم اليقين أن الله هو الرزاق ، وهو الذي يسلب الرزق والعوام يقولون إذا أعطى أدهش وإذا حاسب فتَّش ، لكن أيها الأخ الكريم إياك أن تظن أن البسط عند الله عز وجل فيه معنى الإسراف ، وأن القبض فيه معنى البخل، وهذان المعنيان يجب أن لا يردا عليك إطلاقا ، فإذا تحدثت عن أن الله يقبض ويبسط ، فليس إذا قبض قبض بخلا ولا إذا بسط بسط إسرافا ، بل يقبض عن حكمة و قدرة و علم و تقدير ويبسط عن إكرام وتوسعة وامتحان ، فبسطه إكرام أو امتحان وقبضه معالجة أو وقاية ، والدليل قول الله تعالى :

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾

(سورة الشورى)

هذا المعنى الأول متعلق بالرزق ، والمعنى الثاني متعلق بالسحاب قال الله تعالى :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾

(سورة الروم)

هذا السحاب ينتشر في السماء كما يشاء الله عز وجل ، وقد يقبضه عن قوم ويبسطه لقوم ، مطرة واحدة في منطقة ثمانـــون مليمترفي ليلة واحدة بينما مقداره يكون في منطقة أخرى مليمتر واحد ، معنى هذا انه قبض عن هؤلاء وبسط لأولئك .

و المعنى الثالث ، يقبض و يبسط في الأنوار والظلال ، قال تعالى فيما يتحدث عن الليل و النهار :

ثُمَّ قَبَضۡنَـٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

(سورة الفرقان)

أين النهار إذا جاء الليل ، و أين الإشراق و الوضوح ، و أيـــن الليل إذا جاء النهار : تكون في وحشة و في خوف

و في قلق ، فتشرق الشمس فتحس بالراحة ، و بالأنس و الطمأنينة ، إذن يقبض و يبسط ، يقبض النور و يبسطه .

و المعنى الرابع أن الله عز وجل يقبض الأرواح ، فإذا قبض روحه أماته ، وإذا بسطها أي أحياه ، فالأرزاق و السحب و الظلال و الأنوار و الأرواح يقبضها و يبسطها ، و المعنى الخامس الأرض أيضا يقبضها الله عز و جل قال الله تعالى :

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(سورة الزمر)

فبَسْط الأرض : هو جعْل الدنيا صالحة لحياتنا ؟ و قبضَها : أي إنهاء عملها ووظيفتها .

والمعنى السادس أن الله سبحانه وتعالى يأخذ الصدقات أي يقبضها لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

" عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد إذا تصدق من كسب طيب تقبلها الله منه وأخذها بيمينه ورباها كما يربي أحدكم مُهره وإن الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال في كف الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا " مسند الإمام أحمد

لكن الموضوع الحساس الذي نحتاجه جميعا هو أن الله سبحانه وتعالى يقبض القلوب ويبسطها ... والخوف والرجاء للمستقبل ، فأنت دائما تخاف من الله عز وجل أو ترجوه ، و القبض و البسط للحاضر فأنت الآن في حالة قبض أم في حالة بسط ؟ .. فإذا قلت لا أعرف فمعنى ذلك أنت خارج المدرسة . و خارج التعليم كله ، فاسأل طالبا كم أخذت بالرياضيات ، و كم أخذت باللغة العربية ، فإذا قال لا أعرف فمعنى ذلك أنه خارج المدرسة كليا ، فالمؤمن الصادق بين حالتي القبض والبسط .

و الحقيقة إذا قبض الله عنك الأحوال الطيبة ، شعرت بالوحشة و بالضيق ، و بالحرمان ، و شعرت أنك مردود ، ثم شعرت أنك مرفوض ، ضن الله عليك بالتجلي ، فقد تلوت القرآن وما شعرت بشيء وقمت إلى الصلاة وما شعرت بشيء ، ثم أردت أن تذكر الله عز وجل فما شعرت بشيء ، فهذه الحالة ما اسمها ،إنها حالة قبض ، إذ تحس أن الله عظيم وأن الله جل جلاله كبير ومتعال ، ومن أنت حتى يتجلى الله عليك فالله عز وجل مُربِّي ، فإذا بسط الله للإنسان الأحوال والسرور والانشراح والأنس وإذا استمر هذا الحال الطيب فتراه بعد حين يقصِّر في عباداته ويتهاون في صلواته ، ويتكاسل في أعماله الصالحة ، أما حينما يأتي القبض ، فيأتي مع القبض الضجر و الضيق ، فتقول " يا رب لماذا أنا على هذا الحال " ، فيأتي مع القبض الخوف ثم

القلق . إذن فربنا عز وجل يعالج المؤمن ، ولكن هذا الكلام أقوله للمستقيم أما غير المستقيم فتأتيه حالة انقباض وليست معالجـــة بل هي نتيجة طبيعية لمعاصيه ، وكل معصية معها انقــباض ، حتــى أن علمـــاء النفس الأجانب ، قالوا : إن المنحرفين يشعرون بكآبة .

والآن يســمي علماء النفس الأمراض الشائعة الوبائية فـــي الشباب بأمراض الكآبة وأسبابها الانحراف عن الفطرة العالية الراقية التي فُطروا عليها ، وكل إنسان مفطور فطرة عالية فإذا انحرف عنها وأساء وتعدَّى وبَنى متعه الرخيصة على حقوق الآخرين فيشعر بالانقباض والكآبة ، وهذه خارج درســنا فأنا أتحدث عن المؤمنين المستقيمين الورعين ، إذ أحــيانا تصيبهم حالة الانقباض ، وهذه حالة نسميها علاجا مــن الله عز وجل ، فالله عز وجل يقلب المؤمن بين القبض والبســط ، فتــراه أحــيانا مــتفائلا ، طليق اللسان واضح الســرائر ، بشوش الوجه ، وتشعر به أنه مبسوط ، و أنه سعيد ، يمشي واثقا من مشيته ، ويتحدث واثقا من حديثه ، و هذه الحالة اسمها حالة البسط ، فالله عز وجل تجلى على قلبه باسم الجميل ، إذ جمّله فأحس بالجمال ، والسعادة .

و لكــن هــنا يــوجد منزلق ، فعندما يشعر المؤمن أنه قــريب مــن الله و متفوق و فالح و ناجح و فائز و الناس مساكين ضعيفون ، ضعيفو الهمة و العزيمة ، و مقصرون ، و غارقون في المعاصي ، و بعيدون منقطعون و مطرودون

ملعونون ، و هو وحده في سعادة ، و هذا الشعور بالانبساط يأتـــي معـــه أحـيانا انــزلاق ، و عجب ، أو كبر أو تعال أو استطالة على الآخرين ، فالعلاج حالة أخرى مضادة وهي القبض ، فتراه بعد أيام مستكينا فتقول له خير فيقول الحمد لله ، فتراه ساكتا ، أو يتلعثم لسانه ، فيشعر بضيق ، إذ يقوم ليصلي فما يشعر بطمأنينة و يقرأ القرآن فما ترتاح نفسه ، فهــذه الحالـــة علاج رباني لمن أعجب بنفسه ، و تاه على عباد الله ، و استطال باستقامته ، هذه حالة القبض .

أمـــا البسط ، فحينا يتألم ويتضايق ، ويشعر بالوحشة ، ويتصحر قلبه ، فقد ينزلق مع القبض إلى حالة مرضية وهي اليأس ، فإذا شارف اليأس جاءت حالة مضادة وهي البسط .

و الــدرس مــوجَّه للمؤمنــين ، فــإذا كان الكلام لغير المؤمنين فنقول له لمَّا عصيت الله عز وجل أشعرك بالضيق وخالفــت فطــرتك شعرت بالكآبة وهذا مرض ، ولا يوجد إنسان يرتكب إثما أو معصية إلا ويشعر أن الأرض لا تسعه على اتساعها ، قال الله تعالى :

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

(سورة التوبة)

فهــؤلاء الذين أمر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه أن لا يكلمــوهم ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه فحالة القبض هذه للعاصي والمنحرف والمقصر .

و لــو فرضــنا أن الوالدة الجليلة طلبت منك حاجة في منتصــف اللــيل " دواء " مثلا ، فقلت لها لا أستطيع فإنني أشــعر بحاجة للنوم ، أو ليس هناك صيدلية تفتح أبوابها ، فهذا الشعور بالذنب يورث كآبة ، وهذا موضوع آخر ، فإذا قصــر الإنسان في أداء واجباته ، أو ارتكب معصية أو إثما أو خــرج عن خط الاستقامة أو اغتاب ، أو أطلق لسانه في أعراض الآخرين ، أو أكل ما ليس لـه ، أو نظر ما لا يحق لــه أن ينظــر إليه ، فإذا وقع في معصية أو مخالفة يشعر بالقــبض ، وهــذا القبض ليس موضوع درسنا اليوم ، هذا قــبض المعصــية. فاعلم أيها الأخ الكريم أنك بين حالتين ، القــبض والبسط ، لأن الله هو القابض وهو الباسط فإذا كان القبض يناسبك قبضك إذ قبض الأحوال عنك ، وضيَّق عليك الدنــيا و أشعرك بالسأم والضجر ، وبالوحشة والبعد إذ أبى أن يتجلــى علــى قلبك ، وإذا اقتربت مع القبض إلى اليأس تجلــى علــى قلــبك فأشــعرك بالقــرب والأنس والسرور والانشــراح ، فأنت أيها المؤمن بين حالتي القبض والبسط، فما العلاج ؟ العلاج أنك إذا استحققت من الله حالة البسط ،

فإيـــاك أن تتـــزلق مـــنها إلـــى الغرور أو إلى الاستعلاء أو الإعجاب أو أن تستطيل على عباد الله .

إذن مع البسط هناك منزلق هو الإعجاب " لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أكبر " ، فما الذي هو أكبر ؟ " العُجْب " وإذا أصـــابتك حالـــة القبض ، فما ينبغي أن تنزلق منها إلى اليأس .

إذن : رب العالمـين هو رب النفوس إذ يربي الأجساد بإمدادها بالمواد ويربي النفوس بتقليبها من حال إلى حال ، قال الله تعالى :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

(سورة الشعراء)

فأنـــت أيها المؤمن تتقلب من حال إلى حال ، من حالة بســـط إلـــى حالـــة قبض ، فأنت موضع عناية الله عز وجل وتربيته ، فلذلك استسلِم .

أمـــا إذا جاءك القبض إثر معصية أو مخالفة أو عدوان أو انحراف ، فهذا قبض المعصية وهذا موضوع آخر ، فأية معصية وراءها إحساس بالكآبة وهذه هي الفطرة .

وربـــنا عز وجل لمَ أودع فيك العقل ؟ .. لتعرفه ! ولمَ أودع فيك هذه الفطرة العالية ؟ .. لتعرف خطأك .

فـــبالعقل تعـــرف ربك وبالفطرة تعرف خطأك ، إذ يأتي الانقباض

وعن النواس بن سمعان الأنصاري قال : سألت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال :" البر حسن الخلــق والإثــم مـــا حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس " صحيح مسلم

واعلــم أن معـــك ميـــزانا ، إذا كذب الإنسان أو اعتدى أو خـــان أو نظر نظرة لا تحق له أو استطال بلسانه أو فإن يشعر بالانقباض ، وهذا إذا كان فيه إحساس .

و أحـــيانا تـــنطمس الفطـــرة ، ويتعطل الميزان ، فهذا الإنســـان لا يعي الخير : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فـــي قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فإن زاد زادت فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون سنن الترمذي

فالمعاصي تلو المعاصي والمخالفات والانغماس في الدنيا والتطاول على خلق الله وترك العبادات وترك الذكر ، و ينتهي بقلب مغلف :

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

(سورة البقرة)

إن ختم حكمي ، فإذا امتلأ القلب من حب الدنيا ، فليس هناك محل لشيء آخر فيه ، إذا ختم القلب ختما حكميا ؟ فالقبض والضيق والوحشة الناتجة عن المعاصي هذه علاجها الطاعات والتوبة أما القبض الذي ليس له سبب ظاهر لمن يمشي في طريق الإيمان فهذا القبض معالجة إلهية لطيفة ، وقد قال العلماء في عدة مصادر " إنه على المؤمن أن يصبر حتى تنجلي هذه الحالة بتقدير الله عز وجل ".

وهناك تعريف لطيف جدا للقابض للقشيري ، يقول : " القابض الذي ملك زمام كل شيء "، ومن معاني القابض القدير ، فأحياناً أنت لا تستطيع أن تدس الحزن بقلب إنسان إذا كان سعيدا ، ولو كلمته لا يبالي بكلامك ، لكن ربنا عز وجل قدير ومعنى قدير أنه ملك زمام كل شيء يقبض ويبسط كيف يشاء يقبض العقل فلا يفهم يقول لك ما فهمت .

ـــ دخـــل طالـــب مغرور على امتحان ؛ وهو صديق لي ، فجاء سؤال مؤتمر برلين في التاريخ ، قال بقيت ساعة وأنا أفكر أين عقد هذا المؤتمر؟ وهو اسمه مؤتمر برلين عقد في بـــرلين .. ! أحيانا يرى الشيء على خلاف ما هو عليه في الامـــتحانات ، فالإنســـان إذا اعتز بعقله وتاه بذكائه يرتكب حماقـــات يتـــرفع عنها الحمقى ، ليريه الله عز وجل أنه هو القـــابض ، يقـــبض عـــنك الفهـــم ، ويقبض العقل فلا يفهم ويقـــبض القلب فلا يغنم ، تراه يقول : " ضاق قلبي " ، هذه المشـــاعر لـــيس لها سبب واضح ، فالبيت واسع والزوجة ممـــتازة والأولاد أصحاء والدخل يسير فلا مشكلة ، ويقول: "يضـــيق قلبـــي ، وأكاد أموت ضيقا " فتقول له قلبك بيده ، القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن .

وهـــناك قلب كبير ؟ مفعم بالسعادة والرضى وبالإشراق الرباني وقلب متصحر ، كالصخر لا يرحم ولا يلين ولا يتأثر ولا يبكـــي وإن يقـــبض القلب فلا يغنم ويقبض الصدر فلا يفرح ، ويقبض الرزق فلا يمنح، " فيقول أرمي بالطلب يمينا فيـــرتد شمالا " ، وهذا أحد الشعراء المهجريين ترك لبنان إلى بلاد المهجر إلى أمريكا ، فقال :

أغرّبُ خَلفَ الرزق وهو مُشرّق وأقسم لو شرّقتُ راح يُغرّب

يعنـــي فـــإذا أراد الله عز وجل ألا يرزقك لو ذهبت إلى أقصـــى الدنـــيا لو ذهبت إلى بلاد الغنى و إنك تعيش فيها

فقيــرا ، وقد يرزقك في بلدك في أصعب الظروف ؛ لأنه هو الرزاق ، هذا هو الإيمان .

قــال : ويقــبض الــروح فــلا تفرح ، فيأتي " التشاؤم والسوداوية " ويقبض النفس فلا تمرح ، ولا يفر من حكمه وقضائه خلق من خلقه ، حكيم في فعله وتقديره ، لذلك قال ربنا عز وجل :

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

(سورة الأعراف)

كلمــة متين هذه صفة الأجسام التي تتحمل قوى الشد ؟ وأمــا القســاوة فصــفة الأجسام التي تتحمل قوى الضغط ، فالمــاس قاسي أما الفولاذ المضفور فمَتين ، ولذلك فبعض الحبال العظيمة تحمل الجسور الكبيرة فالتيليفريك مثلا على أي شــيء يُحمل ؟ على حبال من الفولاذ المضفور فالفولاذ المضفور من أمتن المعادن والماس من أقساها ، وربنا عز وجــل وصف كيده بأنه متين ، وكأن الله عز وجل شبَّه كيده بحبل متين لا يمكن أن يُقطع والكافر مربوط به ، ولكن هذا الحبل مرخى فالكافر يتوهم أنه طليق ، فهو يتحرك ويؤذي ويــتكلم ويتبجح ويتفلسف ويتحدى ويتطاول ، ويوقع الأذى بزيد وعبيد وهو يظن أنه يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير ، في لحظة واحدة يشُد اللهُ الحبل فإذا هو في قبضته ،

وهـذا الحـبل لا يمكـن أن يُقطع ، وهذا معنى قول الله عز وجل " وأملِي لَهُم إنَّ كَيدي مَتين ".

و معنى القابض يمكن أن يغلق عليك عقلك ، وأن يجعل قلبك متصحرا وأن يصير نفسك سوداوية المزاج متشائمة ، وهناك حالات كآبة تدفع أصحابها إلى الانتحار ، لكن المؤمن بالله عز وجل في منجى من ذلك

رأي آخر للقشيري ، قال " القبض والبسط حالان يهذّب الله بهمـا الذاكـرين "، ألـم يقل النبي الكريم " أدَّبني ربي فأحسن تأديبي " .

فأحـد إخوانـنا الكرام عنده معمل متواضع ، وأخ من إخـوان المسجد علم أن هذا المعمل لفلان ، في اليوم التالي ذهـب إلـيه ، وهـو معمل يصنع ألبسة ، يبيع في الجملة خمسـمائة إلى ألف اثنَي عشرية ، وهذا الأخ دخل إلى هذا المعمـل وطلب منه ست قطع فكأن هذا الطلب أهان صاحب المعمـل ، فقـال أنـا لا أبيع مفرَّقا (قطَّاعي) ، فقال له : " شـكرا " ، و انصـرف خجلا ، فيقول صاحب المعمل لقد مرت ثلاثة وعشرون يوما وما دخل معملي إنسان ليشتري ! أمـا الآن فأبـيع ولو قطعة واحدة ... و هذا تأديب الله عز وجـل ! تتكلم كلمة في غير موضعها فيحجبك عنه أسبوعا فتغلـي ضـجرا فـإذا كـان هناك تقصير أو تجاوز ، فيأتي القـبض ، ومـا القـبض إلا دليل على أن الله رفضك ، أي

رفـض عملك ، ورفض التصرف ، فما أقبل على قلبك،و ما تجلى عليك ، وهذا لمن عنده حساسية بالغة .

وهـناك ميزان تزن به السيارات ، تصعد فوقه فيسجل عشـرين طنا ، وهذا الميزان لا يزن أوقية بُن ، ولا خمسة غـرامات ذهب ولا ماسة ثلاثين قيراطا ، وإذ وضعت عليه كيسـا وزنه مائة كيلو فلا يتحرك ، وهناك أشخاص عندهم ميـزان غيـر حسـاس ، وهـو لا يفكر بربه أبدا " ، وهذا الإنسان ليس موضوع درسنا .

أما المؤمن فبعد اللطف التام والتوجه إلى الله عز و جل يملـك حساسية مفرطة ، فإذا شعر أن قلبه في الصلاة غير مُقـبل يشعر أن هناك شيئا ، فلعله قال كلمة ، أو خطر في بالـه خاطـر لا يليق ، أو أساء الظن بالله عز وجل ثم لعله تكلم كلمة في غير محلها مع إنسان فانكسر قلبه .

ولـذلك أقسم ربنا عز وجل في القرآن الكريم ، بالنفس اللـوامة ، فهـناك نفـس مطمئـنة : هـي نفس الأتقياء الصـديقين ، أهل الإحسان ، و هناك نفس أمارة بالسوء : هي نفس العصاة ، أما نفس المؤمن فلوَّامة ، وهي دائما في حسـاب عسير مع نفسه ، فيقول : ، لعلي تكلمت كلمة ، أو مـنعت هذا العطاء عن فلان ، أو هل تألم فلان مني ؟ فهو دائمـا في حالة حساب شديد مع نفسه ، و هذا معنى النفس اللوامة .

قال : القبض والبسط حالان يهذّب بهما عباده الذاكرين ، ويفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة ، فإذا هجم القبض على أحدهم فإنه يهجم على صدره من أبواب الجلال و حكمة الكبير المتعال ، و تكثر الخواطر فيشتد الخوف ، و يتذوق العبد جلال الله عز و جل ، فتمنع الذات الإلهية عن العبد و تحس بالجلال ، و إذا اشتد عليه هذا الحال أي لطف الله به فعند ذلك المقدار الذي يطيقه ينفرج صدره بالبسط ، و إذا هجم عليه حال القبض و شعر بالخوف فالله عز و جل حكيم لا يسحقه بل يعطيه قدراً من القبض على قدر طاقته و عندئذٍ يأتيه حال البسط ، وهذا كلام يتوجه إلى أناس لهم خبراتهم مع الله ولهم صفاؤهم ولهم صدقهم و حرصهم على طاعة الله بل لهم ورعهم وعندئذ يصبح قلبهم ميزانا دقيقاِ وحساسا ، ونرجو من الله عز وجل أن نملك هذا الإحساس .

أما قلنا : هناك ميزان لا يتأثر ولا يتحرك ولا بمائة كيلو هذا معد ليزين حجما كبيرا ، كسيارة شاحنة ، أما وهناك ميزان ، ترى عنده الصائغ يغلق المروحة أثناء وزن الذهب لأن الهواء الصادر عنها يغير كفة الميزان و هناك ميزان لو وزنت به ورقة في وزن دقيق ، ثم كتب على الورقة كلمة واحدة رجحت الكفة ، بوزن المداد ، فكلما ارتقى المؤمن يدق ميزانه ، فقل لي ما مستوى ميزانك أقل لك من أنت .

الميـزان دائما له حس زائد ناقص درجة ، ولو فرضنا عـندنا ميـزان حـرارة غال جدا وقسنا عليه ميزان حرارة رخيصا يفرق درجة ، نقول حس هذا الميزان زائد أو ناقص درجـة ، وحـس هذا الميزان زائد أو ناقص غراما ، فكلما اشـتد الحـس قل الخطأ ، والمؤمن كلما ارتقى أصبح عنده ميـزان دقيق جدا في محاسبته نفسه ، والكلمة التي أقولـها دائمـا ، " مـن حاسـب نفسه في الدنيا حسابا عسيرا كان حسـابه يـوم القيامة يسيرا ، ومن حاسب نفسه في الدنيا حسابا يسيرا كان حسابه يوم القيامة عسيرا " .

وعـن موضـوع القـابض الباسـط ، فأصحاب عليهم رضـوان الله قالوا يا رسول الله غلا السعر فسعِّر لنا ، فقال عليه الصلاة و السلام : " إن الله هو الخالق القابض الباسط المسعر " .

و الـذين ضـمنوا المشـمش في الغوطة قدروه بسعر عشرين واشتروه بهذا السعر وباعوه بخمس ، والإنتاج كان غزيـرا جـدا ، والكمـية الكبيرة خفضت الأسعار فإذا قال النبيصـلى الله علـيه وسـلم يقـول : " الله هو المسعر" ، فالكمـيات بـيد الله . ومرة في الجزيرة أنتج ثمانين كيس قمـح ، والعادة عشرة ، أو خمسة عشر ، وكل سنة يخرج موسـم بكمـيات مذهلة ، مرة الزيتون ومرة البطاطا ومرة البصـل و تـرى الأسـعار تنخفض إلى أرقام خيالية ، فالله هـو المسـعر ، والله القـابض يقـبض فـتكون الكمـيات

قليلة ـ فالأسعار عالية ، فيبسط ـ فتكون كميات كثيرة ـ فالأسعار منخفضة ، وإن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط المسعر .

وقال بعضهم : القابض الذي يكاشفك فيقيك ، والباسط الذي بجلاله يكاشفك بجماله فيبقيك ، فأنت بين أن يقيك وبين أن يبقيك ، وهو القابض الباسط ، والقابض الذي يقبض الصدقات من أربابها فيربِّيها والباسط الذي يبسط النعمة وينميها و يهنيها ، إذ يقبض الصدقات ويبسط النعم .

والقابض هو الذي يخوفك من فراقه ، والباسط الذي يؤمنك بعفوه وإطلاقه ، والإمام الغزالي يقول : " القابض الباسط من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم "، فمثلا ، أنت داعية فإذاً حدثت الناس عن رحمة الله و كرمه وعطائه وعفوه ، وقلت لا تخافوا يا إخواني فالقضية سهلة والله غفور رحيم ، ولا يسعنا إلا عفوه وكرمه ، ومن نحن أمام عفو الله إذا جعل كل دعوته الجانب المشرق ، ألا يكون حكيما .

والإمام الغزالي كان يكتب كتابا فوقفت دويدبة فانتظرها حتى شربت من مداد القلم فلما مات رآه أحد تلاميذه وقال يا سيدي ما فعل الله بك ، قال رحمني الله بهذه الدويدبة التي انتظرتها حتى شربت ، وكل عمله ليس له قيمه ؟ إذ يلتبس

عليك الأمر ، فمثل هذا الكلام ليس فيه حكمة . فأنت ما علاقتك بالقابض الباسط ؟

تحدثنا عن الله عز وجل كيف يقبض الأرواح ويبسط الحياة ويقبض الأرزاق ويوسعها ويقبض القلوب .

والآن السؤال أنت مؤمن فما علاقتك بهذا الاسم ؟ أي إذا دعوت إلى الله عز وجل يجب أن تجري موازنة دقيقة بين أن تطمِّع الناس برحمة الله وبين أن تيئِّسهم من عقابه ، فاليأس مرض والطمع مرض ، فإذا ذكرت الجانب الرحماني فقط وعفوه وكرمه وتجاوزه وحلمه ، ولم تذكر عذابه وعقابه وإيلامه وما عنده من عذاب مقيم فلست محسِنا ولست حكيما في ذلك ، إذن يجب أن تجمع بين القبض والبسط حتى في دعوتك إلى الله عز وجل، لأن الإنسان بحسب مَا تلقِّمه وبحسب ما تغذيه ، وماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عُذِّبت امرأة في هِرَّة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار قال فلا هي أطعمتها ولا سقتها ولا هي أرسلتها فأكلت من خشاش الأرض "صحيح البخاري

ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خوفنا ، وقال مرة : عن أبي هريرة قال رجل يا رسول الله إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول الله فإن فلانة

يُذكـر مـن قلـة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثـوار مـن الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في الجنة مسند الإمام أحمد

وعن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالـي قال فلا تعطه مالك قال أرأيت إن قاتلني قال قاتله قال أرأيـت إن قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلته قال هو في النار "صحيح مسلم .

إنـه أسلوب مخيف ، إذ قال عن الذين ماتوا في الحرب وذلك هم في النار، قيل فقد مات في الحرب و الجهاد ، قال هو في النار ، كي يدعو أصحابه إلى أن يحاسبوا أنفسهم ، فماذا أردت من هذا الجهاد ، لعلي أردت سمعة ؟ أو جاها ، أو غـنائم ، فأنت تقرأ أحاديث النبي فتعجب ، فأحيانا تخاف خـوفا شديدا لسبب تافه وأحيانا تسمع النبي عليه الصلاة والسـلام ، يطمئنك ويبشرك ويلقي عليك من رحمة الله عز وجل الشيء الكثير .

فأنت الداعية اقتد بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وهناك دعـاة كـل حديثهم عن جهنم و دعاة كل حديثهم عن الجنة وعن الحور العين ، فهؤلاء بهذا الحديث قد أخطأوا وهؤلاء بهذا الحديث قد أخطأوا ، وكما أن الله قابض باسط فيجب أن تكـون مـرة في دعوتك تخوّف عباد الله من معصيته ومرة تحببهم في طاعته .

وإلـــيكم دليلا آخر ؟ ورد في بعض الأحاديث القدسية :
" أن سيدنا موسى قال يا رب أي عبادك أحب إليك حتى أحبه بحـــبك ، قـــال يا موسى أحب عبادي إلي تقي القلب ، نقي الـــيدين ، لا يمشي إلى أحد بسوء ، أحبني وأحب من أحبني وحببنـــي إلى خلقي ، فقال يا رب إنك تعلم أني أحبك وأحب مـــن يحـــبك فكيف أحببك إلى خلقك ، قال يا موسى ذكِّرهم بآلائي ونعمائي وبلائـــي " .

هـــنا الدقة : " ذكرهم بآلائي " ، بهذه الآيات الدالة على عظمتي كي يعظموني وذكرهم بنعمي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائـــي كـــي يخافونـــي ، إذن لا بد من أن يجتمع في قلب المـــؤمن تعظـــيم لله من خلال الكون ، ومحبة له من خلال النعم ، وخوف منه من خلال النقم .

و أحـــيانا يـــريك ربـــنا إنســـانا مصابا بمرض خبيث ، أو توقـــف كليتـــين فحياته جحيم ففي كل أسبوع تغسل فيه الكليـــتان مـــرتين فيشعر منه بانقباض شديد وهناك أمراض وأوبـــئة وأمراض عضالة ، وفقر شديد ، والله عز وجل قد يمـــنع حتـــى يـــندفع الفقير إلى أن ينقّب في القمامة ، والله بعيني هذه رأيت أناسا كثيرين يبحثون في القمامة عن شيء يأكلونه ، ألم يقل : " إذا أعطى أدهش وإذا حاسب فتش "

" يـــا موســـى ذكرهم بآلائي و نعمائي و بلائي " ذكرهم بآلائـــي كي يعظموني ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ،

و ذكــرهم بنعمائـــي كــي يحبونـــي ، و ذكرهم ببلائي كي يخافوني " .

و هـــناك حــالات كثيــرة ، يتجاوز فيها الإنسان حدَّه ، فــيؤذي مخلوقًا من مخلوقات الله عز وجل ، فربنا عز وجل يجعله يدفع الثمن باهظا ، حتى يرتدع مَن حوله ، ويخافون فإذن هذا البلاء بلاء ردعي ، وهذا الإكرام إكرام تشجيعي ، ولكن العطاء الكامل يوم القيامة ، قال الله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

(سورة آل عمران)

أما ربنا إذا أكرم إنسانا في الدنيا فهذا إكرام تشجيعي له ولغيره وإذا عاقب إنسانا فهو عقاب ردعي له ولغيره ، فإذن يجــب أن يكــون فـــي القلب حب لله عز وجل وخوف منه وتعظيم له .

و الحمد لله رب العالمين

*****

محتويات الكتاب

الإسم	الصفحة
مقدمة	٣
الله	٥
لا إله إلا الله	٢٣
السلام	٥٩
المؤمن	٩٣
المهيمن	١٢٥
ذو الجلال و الإكرام	١٥٩
الحى	١٨٣
البارئ المصور	٢١٧
البديع	٢٤١
التواب	٢٦٥
الحق	٢٩٣
العدل	٣٢٧
القابض الباسط	٣٥٣
المحتويات	٣٨٨

منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET